بسم الله الرحمن الرحيم

جامعة شندي

كلية الدراسات العليا

كلية الآداب – قسم التاريخ

الحياة الإجتماعية والثقافية في الدولة الفاطمية في المغرب ومصر

(297هـ – 567هـ/ 909م – 1171م)

بحث مقدم لنيل درجة ماجستير الآداب في التاريخ

إعداد الطالب:

سامي العبيد محمد أحمد

إشراف الدكتور:

حسن عوض الكريم علي أحمد

أبريل 2019م

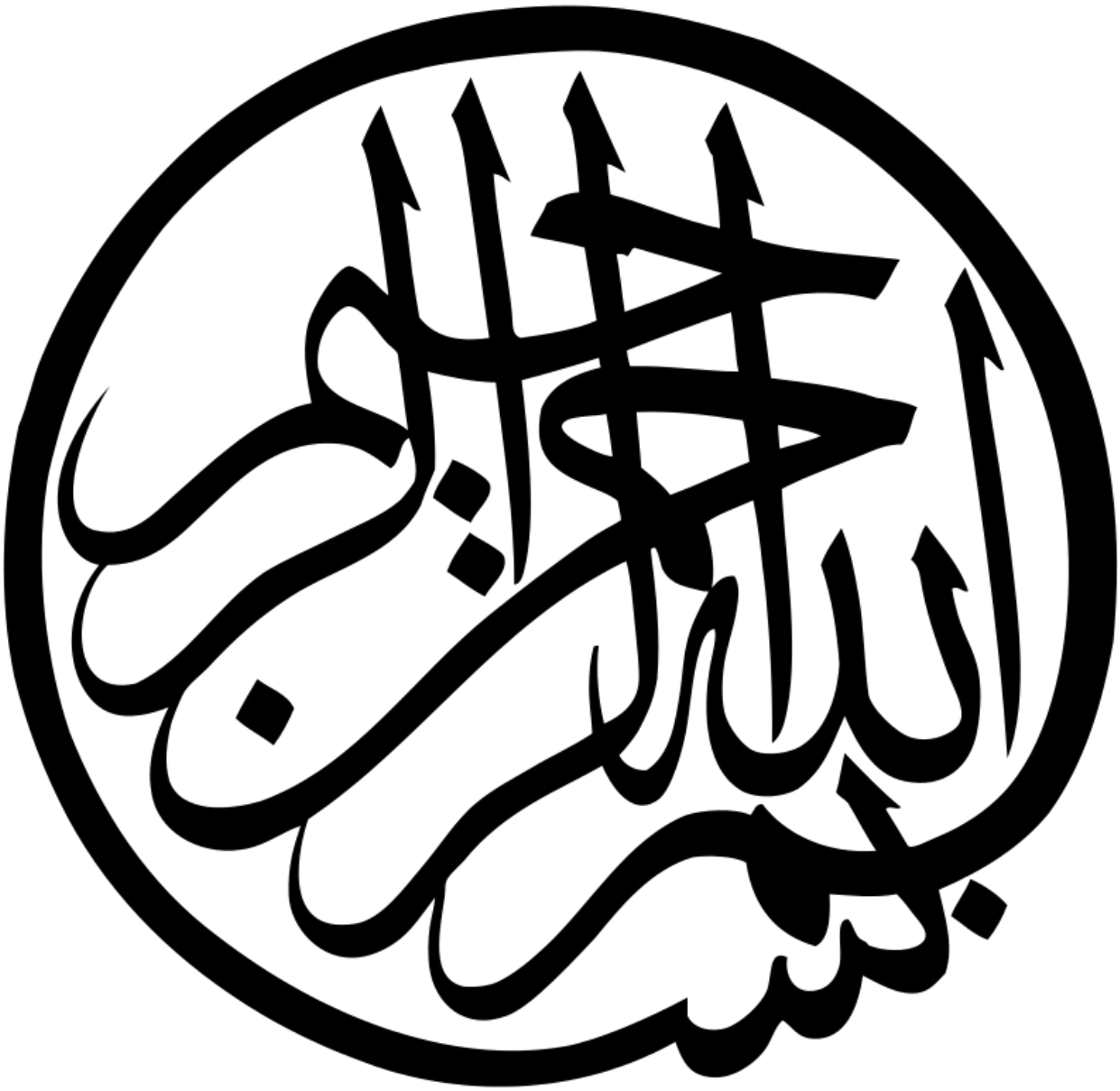
بسم الله الرحمن الرحيم

المحتويات

الرقم	الموضوع	الصفحة
1	قائمة المحتويات	أ- ث
2	الآية	ج
3	الأهداء	ح
4	الشكر	خ
5	المستخلص	د
6	Abstract	ذ
7	المقدمة	ر- م
8	**تمهيد**	1- 18
	الفصل الأول	
9	**الحياة الاجتماعية في الدولة الفاطمية في المغرب**	20
10	**المبحث الأول:** السلطة والمجتمع	20
11	السلطة وعلاقتها ببعض القبائل المغربية	20 -26
12	السلطة والعلماء	26- 28
13	السلطة والعبيد	28 - 34
14	**المبحث الثاني:** طبقات المجتمع في عهد الفاطميين	35
15	طبقة الخلفاء ورجال الدولة	35 - 38
16	طبقة الجند	38 – 44

17	طبقة التجار	44 – 47
18	طبقة العامة	47 – 52
19	**المبحث الثالث:** العادات والتقاليد في بلاد المغرب الإسلامي	53
20	الطعام	53 – 55
21	اللباس	55 – 57
22	الإحتفالات	57 – 61
	الفصل الثاني	
23	**الحياة الاجتماعية في الدولة الفاطمية في مصر**	63
24	**المبحث الأول:** موقف الفاطميين من أهل السنة والذمة	63
25	موقف الفاطميين من أهل السنة	63 – 65
26	موقف الفاطميين من أهل الذمة	65 – 70
27	**المبحث الثاني:** عناصر المجتمع وأثرها في الحياة العامة	71
28	طبقات المجتمع في العصر الفاطمي	71 – 72
29	الأسرة الحاكمة	72 – 75
30	المغاربة	75 –76
31	السودانيون	76 – 77
32	الأتراك	77 – 80
33	طبقة العامة حياتهم وعلاقتهم بالدولة	80– 84
34	**المبحث الثالث:** الأعياد والإحتفالات والطعام والشراب ودور المرأة	85
35	الأعياد الدينية الإسلامية العامة	86 – 94
36	الأعياد والإحتفالات الشيعية الخاصة	95 – 99
37	الطعام	99– 102

38	الشراب	102- 104
39	دور المرأة في العصر الفاطمي	104- 108
	الفصل الثالث	
40	**الحياة الثقافية في الدولة الفاطمية في المغرب**	109
41	**المبحث الأول:** المراكز والمؤسسات الثقافية في المغرب إبلّن العصر الفاطمي	109
42	المراكز الثقافية	109- 114
43	المؤسسات الثقافية في المغرب في العصر الفاطمي	114-119
44	**المبحث الثاني:** النشاط العلمي في المغرب أبان العصر الفاطمي	120
45	العلوم الشرعية	120-124
46	العلوم النقلية	124- 135
47	العلوم التطبيقية	136-140
	الفصل الرابع	
48	**الحياة الثقافية في الدولة الفاطمية في مصر**	142
49	**المبحث الأول:** دور الجامع الأزهر في الحياة الثقافية في مصر الفاطمية	142
50	تأسيس الأزهر	142-145
51	دور الأزهر في التدريس	145-149
52	الأزهر في ظلال الفاطميين	150-151
53	مشاركة الأزهر في الحياة العقلية في عهد الفاطميين	151-159
54	الأزهر جامع الدولة الرسمي	159-162

55	**المبحث الثاني:** دور المكتبات ودار الحكمة والوزراء في الحياة الثقافية في مصر الفاطمية	163
56	دور المكتبات	167-163
57	دور دار الحكمة في القاهرة	176-168
58	دور الوزراء في الحياة الثقافية	181-176
	الخاتمة	
59	الخاتمة	184-182
60	قائمة المصادر والمراجع	195 -185
61	قائمة الملاحق	203 -196

الآية

"وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ"

سورة القصص الآية "15"

إهداء

الي العين الساهرة.....

الي نبع الحنان الذي لا ينضب ....

الي من أضناها التعب لننعم بالراحة والامان ....

الي من تنحني أمام عظمتها الهامات وفي وصفها تخجل وترتجف الكلمات ...أمي الحبيبة أطال الله بقاءها

الي الغالي الذي وهب حياته وصحته في سبيل أسرته لتحيا دائما حياة كريمة الي من شجعني علي هذا العمل ومنحني الغالي والنفيس ... والدي حفظه الله

الي من تقاسمت معهم هموم الدنيا وأفراحها...

الي من عشت معهم صدق المحبة والعطا ...

الي نور المحبة في حياتي ....

أخواتي الجليلات

الي من تكبدت معي المشاق

زوجتي الغالية

الي كل من ساهم في إنجاز هذا العمل المتواضع

الشكر و التقدير

الحمد الله ،والصلاة والسلام علي أفضل النبيين محمد الصادق الأمين عليه صلوات ربي وأفضل التسليم ،أما بعد .....

إقراراً بالفضل لذويه ونزولاً عند قول النبي صلي الله عليه وسلم : من لا يشكر الناس لا يشكر الله ، فان الواجب يدفعني الي أن أخص بالشكر بعد الله تعالي نبع المعرفة أستاذي المشرف علي الرسالة الدكتور: حسن ع وض الكريم علي أحمد الذي تفضل عليّ بان أعطاني الكثير ولم يبخل عليّ جهداً، في تقديم العون المعرفي والمعنوي، فكان نعم الاستاذ ونعم المشرف فجزاه الله عني كل خير وبارك الله له في علمه وعمره، الشكر اجزله لاسرة جامعة شندي عامة وعلي وجه الخصوص كلية الاداب قسم التار يخ، ولا يفوتني ان اتقدم بالشكر والتقدير للزملاء بقسم التاريخ اخيراً كل شكري وتقديري وإمتناني لكل من ساهم وأعان في هذا الجهد المتواضع.

ولكم مني خالص شكري وتقديري

الباحث

المستخلص:-

تناول هذا البحث الحياة الاجتماعية والثقافية في الدولة الفاطمية في المغرب و مصر في الفترة (297-567هـ)-(909-1171م) وهي فترة مهم ة في التاريخ الاسلامي إذ تمثل فترة طويله استمرت حوالي271 سنة من تاريخ الدولة الفاطمية في (المغرب ومصر). هدف هذا البحث إلى توضيح مدي إسهام الفاطميين في الحياة الاجتماعية والثقافية لبلاد المغرب ومصر وعكس الدور الاجتماعي والثقافي للخلفاء ورجال هذة الدولة في تغيير نمط الحياة. إتبع الباحث في هذا البحث المنهج التاريخي الوصفي وذلك بوصف الحوداث التاريخية وسردها ثم جمع مادة البحث من المصادر والمراجع العربية والمعربه والرسائل الجام عية. توصل الباحث لعدد من النتائج منها ان الفاطميين استعملوا عدداً من الوسائل لترسيخ حكمهم واستفادوا من حالة الانقسام القبلي في مجتمع المغرب ، كذلك تألف المجتمع الفاطمي في المغرب ومصر من طبقات غنية مترفة واخري فقير ة معدمة، واهتموا ايضا باهل الذمة واعطوهم الكثير من الحقوق ، ومن ناحية ثقافية استقطب الفاطميون مش اهير الادباء والمفكرين والعلماء ، وانشاؤوا دُور للكتب والعلوم وفي مقدمتها دار الحكمة والجامع الازهر الذي لعب دوراً كبير في نشر المذهب الشيعي وثقافتة، وقد اوصي الباحث باجراء م زيد من الدراسا ت حول الجانب الاجتماعي والثقافي ، والاهتمام بالمخطوطات التي تتحدث عن الت اريخ الفاطمي ولم يتم تحققها بعد.

Abstract:

This study deals with social and cultural life in the Fatimid state in Morocco and Egypt during the period (296-567 AH) - (909-1171). It is an important period in Islamic history. It represents a long period of 271 years from the history of the Fatimid state in Morocco and Egypt.

The purpose of this study is to clarify the extent to which the Fatimids contribute to the social and cultural life of the Morocco and Egypt and to reverse the social and cultural role of the caliphs and men of this country in changing the lifestyle.

In this study, the researcher followed the descriptive historical method by describing the historical events and narrating them, and then collecting the research material from the Arab sources and references.

Through the study, the researcher reached a number of results that the Fatimids used a number of means to consolidate their rule and benefited greatly from the state of tribal division in the society of Morocco. The Fatimid society in Morocco and Egypt consisted of rich and luxurious classes and other poor, In a cultural sense, the Fatimids attracted the most famous writers, thinkers and scholars, and created a role for books and sciences, foremost among which was Dar Al-Hikma and Al-Azhar Mosque, which played a major role in spreading the Shi'ism and its culture. The researcher recommended a concise study on the social side And cultural interest of the Fatimids, and the interest in manuscripts that speak of Fatimid history and have not yet been rephrased and classified.

المقدمة

شهد المغرب الإسلامي حركة سياسية دينية ثقافية خلال القرن الرابع الهجري، وكانت هنالك ظروف د اخلية وخارجية ومتغيرات أثرت فيه، أنتهت إلى ظهور دول قامت على أسس فكرية ومذهبية ، وأنتقلت تلك الأفكار إلى المغرب هروباً عن الخلافة العباسية وسيطرتها ولعل أهم هذه الأفكار والدعوات الدعوة الشيعية الإسماعيلية التي وجدت في المغرب أرض خصبة بفعل حب المغاربة لآل البيت ونشاط الدعاة الإسماعيلية لنشر مذهبهم وإقامة دولتهم (الدولة الفاطمية).

وإذا كان البناء والعمران يندثر بفعل الزمن وظروفه فأن ما تبقى من الدول الحضارات وثقافتها، وما قدمته للبشرية ، وحملت الدعوة الفاطمية أفكار غير التي كان عليها أهل المغرب ومصر ، فإن الفاطميون كانوا شيعة إسماعيلية وأهل المغرب ومصر كانوا سنة، مما نتج عن أختلاف وصراع بين المذهبين وهذا ما أدى إلى أثراء الناحية الفكرية ببلاد المغرب ومصر كذلك أن فترة الوجود الفاطمي في المغرب ومصر تركت أثار واضحة المعالم فـي حياة المجتمع شملت كل المجالات، سياسية، اجتماعية، ثقافية، اقتصادية ، وظهرت بعض القوى الاجتماعية والتي تشبثت بالسلطة وصعدت أخرى كان ت أقل منها شأناً، وهذا ما دفع بنا لمعالجة هذا الموضوع .

بعنوان: الحياة الاجتماعية والثقافية في الدولة الفاطمية في المغرب ومصر (297-567هـ) - (909-1171م) .

أهمية البحث :-

تتناول هذه الدراسة الحياة الاجتماعية والثقافية في الدولة الفاطمية في المغرب ومصر (297-567هـ) - (909-1171م) وهى فترة مهمة في التاريخ الإسلامي وهي فترة طويلة أستمرت حوالي 271 سنة من تاريخ الدولة الفاطمية في المغرب ومصر حتى سقوط الدولة الفاطمية .

أهداف البحث :-

الرغبة في معرفة مدى إسهام الفاطميين في الحياة الاجتما عية والثقافية ببلاد المغرب ومصر ، كذلك معرفة مدى تأثر المغاربة والمصريين في الحياة الاجتماعية والثقافية في بلاد المغرب ومصر وماهي أهم المستجدات التي أستخدمت في عهد الدولة الفاطمية .وهذا من خلال الاجابه علي الاسئلة التالية:

*ما هي التغيرات التي طرأت علي الحياة الاجتماعية والثقافية للمغرب الاسلامي ومصر بعد قيام الدولة الفاطمية ؟

* تقييم أحوال الحياة الاجتماعية والثقافية لبلاد المغرب الاسلامي ومصر في العهد الفاطمي.

منهج الدراسة :-

أتبع الباحث في هذا البحث المنهج التاريخي الوصفي وذلك بجمع المعلومات ووصف الحوادث التاريخية وسردها وتحليلها.

مصادر ومراجع البحث :-

قام الباحث بجمع مادة البحث من بعض المصادر والمراجع ومن المصادر التي أستفاد منها الباحث كتاب المجالس والمسايرات ، للقاضي النعمان، الذي يعد وثيقة هامة لمعرفة الدور المغربي للخلافة الفاطمية ولا يخلو من موضوعات اجتماعية تهتم بموضوع الدراسة كالعادات والتقاليد كذلك افادنا في نواحي عديدة من البحث فقد قدم لنا مادة خصبة باعتبار ان الكاتب كان معاصراً لهم، كذلك كتاب اتعاظ الحنفاء باخبار الائمه الفاطميين الخلفاء، لتقي الدين المقريزي ، وتمكن من خلالة التعرف علي سيرة الخلفاء الفاطميين واعمالهم ، وكتاب، رياض النفوس في طبقات علماء أفريقية والقيروان، لابي بكر بن محمد المالكي ، وقد استفدت من هذا الكتاب في معرفة موقف المالكيه من الشيعة الاسماعيلية ومانتج عن ذلك م ن صراع ادي الي اثراء الناحية الثقافية والفكرية، كذلك المراجع التي أستفاد منها البلحث، الحياة العلمية في أفريقية ، ليوسف بن أحمد حوالة ،وقد مكننا هذا الكتاب من الاطلاع علي مختلف الجوانب الثقافية للخلافة الفاطمية، وكتاب أهل الذمة في مصر في العصر الفاطمي الأول ، إسلام الشافعي محمود واستفدا منه في موقف الفطميون من اهل

الذمه في الفصل الثاني المبحث الاول ، وكتاب الحياة الاجتماعية في العصر الفاطمي عبد المنعم عبد الحميد سلطان وقد افادنا في تقسيم فئات المجتمع الفاطمي في الفصل الثاني المبحث الثاني.

الدراسات السابقة :-

اما اهم الدراسات السابقة التي توصل اليها الباحث تتمثل في الحياة الثقافية للدولة الفاطمية ببلاد المغرب الإسلامي رسالة ماجستير غير منشورة سميرة عميري ونورة بلهون، جامعة البويرة ، المغرب،وقد استفدت من هذة الدراسة النشاط العلمي في ا لمغرب الاسلامي في الفصل الثالث، وكذلك رسالة دكتوراة بعنوان الحياة الفكرية في المغرب في العصر الفاطمي لرافعي نشيدة ، جامعة الجزائر وقد استفدا منها المراكز الثقافية ودروها في تفعيل الحياة الفكرية.

هيكل البحث :-

تم تقسيم هذه الدراسة إلى مقدمة وتمهيد وأربعة فصول وخاتمة وقائمة ملاحق وقائمة المصادر والمراجع.

بدأ البحث بمقدمة تضمن أهمية البحث وأهدافه ومنهجه والم صادر والمراجع والدراسات السابقة.

وكان التمهيد عبارة عن تعريف ببلاد المغرب جغرافياً وأقسام المغرب وموقع مصر ثم الحالة السياسية في المغرب قبل قيام الدولة الفاطمية ثم قيام الدولة الفاطمية في المغرب ثم انتقالها إلى مصر.

جاء **الفصل الأول بعنوان** الحياة الاجتماعية في المغرب في عهد الدولة الفاطمية وتضمن علاقة السلطة والمجتمع والعلماء والعبيد ثم طبقات المجتمع في عهد الفاطميين وتناول العادات والتقاليد السائدة في بلاد المغرب الإسلامي.

وجاء**الفصل الثاني** للحياة الاجتماعية في الدولة الفاطمية في مصر من خلال موقف الف اطميين من أهل السنة والذمة وكذلك عناصر المجتمع وأثرها في الحياة العامة بالإضافة إلى طبقات المجتمع في العصر الفاطمي الأعياد والإحتفالات الدينية والطعام والشراب ودور المرأة في العصر الفاطمي.

أما **الفصل الثالث** فكان عن الحياة الثقافية في الدولة الفاطمية في المغرب وذلك من خلال المراكز والمؤسسات الثقافية وهي مراكز المدن التي تشكل مراكز ثقافية والمؤسسات من مساجد ومكتبات بالإضافة النشاط العلمي الذي تمثل في العلوم الشرعية والعلوم الفقهية والتطبيقية.

أما **الفصل الرابع** فقد أشتمل على الحياة الثقافية في الدولة الفاطمية في مصر وجاء فيه دور الجامع الأزهر في الحياة الثقافية في مصر الفاطمية وكذلك دور المكتبات ، ودار الحكمة ودور الوزراء في أثراءالحياة الثقافية في مصر الفاطمية . وأنتهى البحث بخاتمة عن أهم النتائج والتوصيات التي ح ققها البحث وقائمة المصادر والمراجع وقائمة الملاحق.

تمهيد

يتناول هذا التمهيد التعريف ببلاد المغرب، جغرافياً وسياسياً قبل قيام الدولة الفاطمية في المغرب ثم انتقالها الي مصر: –

بلاد المغرب: –

بلاد المغرب مصطلح يقصد به كل الأقاليم الواقعة غرب مصر والتي تشمل شمال القارة الافريقية وتتضمن حاليا البلاد الليبية بولاياتها الثلاث (برقة،طرابلس، فزان) وتونس والجزائر بصحرائها المترامية الي تخوم السودان وأخيرا المغرب الذي كان يعرف الي عهد قريب باسم مراكش نسبة الي عاصمتها الجنوبية ويمتد طبيعيا الجنوب الي تخوم السنغال والنيجر[1].

وتسمية هذه المنطقة باسم المغرب تسمية محدثة لم تعرف في القرن الأول الهجري،أطلقها عليه الفاتحون من المسلمين لأنه يعتبر في الجهة الغربية بالنسبة للمراكز التي توجهت منها الجيوش لفتح هذه البلاد[2].

والمغرب عند الكتاب الأوائل يبدا مما يلي افريقيا غربا الي ساحل المحيط فقد ولي يزيد بن عبدالملك يزيد بن ابي مسلم مولي الحجاج بن يوسف الثقفي افريقيا والمغرب وهذا معناه ان المغرب غير افريقيا والمغرب الأقصى هو بلاد مراكش والمغرب الأوسط هو بلاد الجزائر الحالية وخط التقسيم بين المغربين الأقصى والاوسط هو مجري وادي ملوية وما بين تلمسان (تازا) اما المغرب الأدنى فهو بلاد القيروان او ما يسمي اليوم بتونس[3].

---

[1] حسين يونس – معالم تاريخ المغرب والاندلس- الناشر – دار الرشاد – القاهرة -الطبع عربية للطباعة والنشر- الطبعة الثانية – 1997م- ص24.

[2] عبد الله محمد جمال الدين، الدولة الفاطمية قيامها ببلاد المغرب وانتقالها الي مصر الي نهاية القرن الرابع الهجري مع عناية خاصة بالجيش – دار الثقافة والنشر والتوزيع – القاهرة – 1992- ص12.

[3] محمود شيت خطاب، قادة فتح المغرب العربي، ج1، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع – الطبعة السابعة- 1984م- ص13.

اما افريقيا فقد أطلقها الفينيقيون وهي لفظ أفري Aphri البلاد الذين كانوا يسكنون حول مدينتهم القديمة (Utica) وعاصمتها قرطاجة مدينتهم الحديثة وعنهم اخذه اليونان فاطلقوه على اهل البلاد الأصليين الذين يسكنون المغرب من حدود مصر حتي المحيط[1].

اقسام المغرب:

وينقسم المغرب الي ثلاث اقسام حسب قربه وبعده عن مصر والشام وهي: –

1–المغرب الأدنى: يشمل المساحة من غرب الإسكندرية في الشرق الي مدينة بجاية في الغرب (برقة،طرابلس، تونس، شرق الجزائر الان).

2–المغرب الأوسط: وهو عبارة عن المنطقة من (بجاية) شرقا الي وادي ملوية غربا (وسط الجزائر وجزء من دولة المغرب ، مراكش الان)[2].

3–المغرب الأقصى: يبداء من وادي ملوية شرقا الي المحيط الأطلسي غربا (بقية القطر الغربي ومراكش) حتي المحيط الأطلسي الان.

ان حد بلاد المغرب هو ضفة النيل بالإسكندرية الي مدينة (سلا) وينقسم الي اقسام فقسم من الإسكندرية الي طرابلس وقسم من طرابلس وهو بلاد الحرير ويقال لها أيضا بلاد الزاب الأعلى، ويلي هذه البلاد بلاد الزاب الأسفل وحدها مدينة تيهرات، تأتي بعد ذلك بلاد(طنجة) وحدها مدينة (سلا) وهي اخر المغرب[3].

هذا ويخترق بلاد المغرب سلسلتين من الجبال تبتدئ من المغرب الأقصى وتنتهي في تونس، السلسلة الشمالية منها تسمي (الاطلس الشمالي) والجنوبية تسمي الاطلس الصحراوي، ويعرف جبل الاطلس هذا باسم (درن) ، والواقع انه يأخذ أسماء متعددة تختلف في كل بلد عن الاخر

[1]محمود شيت خطاب ، المرجع السابق، ص63.
[2]عبدالله محمد جمال الدين ،مرجع سابق، ص12.
[3]محمد علي دبوز، تاريخ المغرب الكبير، الجزء الأول، القاهرة ، الطبع عربية للطباعة والنشر، 1964 م، ص3.

فهو في بلاد المغاربه(الكداوي) وفي داخل بلاد البربر (العياشي) واوله عند المحيط من جهة الغرب واخره عن ثلاث مراحل من الإسكندرية، وهذه المنطقة الجبلية ليست من النوع الصحراوي القفر وانما اغلبها حدائق ومزارع حيث تتجود الزراعة في نجودها، اما الصحراء المغربية فيزرع فيها النخيل بأنواعه المختلفة وبها معادن بداء بالأحجار النفيسة وأنواع الثروات المعدنية[1].

ولكن بلاد المغرب كلها تعتبر من ناحية الطبيعة الجغرافية والمناخ إقليميا واحدا له خصائص ومميزات واحدة تجعل من العسير تقسيمه الي وحدات سياسية متميزة بعضها عن البعض[2].

موقع مصر:

تقع مصر في واحد من اكبر المواقع أهمية في الكرة الأرضية[3]، فهي تقع في الطرف الشمالي الشرقي للقارة الافريقية وحيث انها تقع علي احد طرفي افريقيا فهي تربط القارة بأسيا[4] فهي بسيناء طرف في اسيا، كما ان موانيها الواقعة علي البحر المتوسط تجعلها وبشكل ما تلامس أوروبا[3].

وحدودها من اسوان جنوبا الي الإسكندرية شمالاً ومن السلّوم والواحات غرباً الي سواحل البحر الأحمر شرقا. يحدّها السودان من الجنوب وليبيا من الغرب بينما يحدها البحر الأحمر من الشرق وصحراء سيناء من الشمال الشرقي والبحر الأبيض المتوسط من الشمال، ويجري نهر النيل في قلبها من الجنوب الي الشمال الذي يعتبر له أهمية كبري في مصر طوال عصورها التاريخية حتي قيل ان(مصر هبة النيل) ومصر في هذا الموقع الجغرافي جعلها دولة

[1] عبدالله محمد جمال الدين، المرجع السابق،ص12-13.
[2] حسين مؤنس، مرجع سابق، ص24.
[3] وصف مصر، علماء الحملة الفرنسية، ترجمة: زهيدة الشابي، دار الشباب (د.ت) ، ص522.

من الدول التي تتمتع بميزات همزة الوصل بين عالمين احدهما اسيوي والأخر افريقي[1]وبأطلالها علي البحر المتوسط الذي يمثل منطقة القلب بالنسبة للعالم تصبح مصر في قلب قارات العالم القديم (اوربا، اسيا، افريقيا) وبذلك قد لا يكون من المغالاة ما ذهب اليه البعض في وصفها بعاصمة العالم الاستراتيجية[2].

اما بالنسبة للجغرافيين والرحالة المسلمين القدامى والذين كانوا معاصرين او قريبي عهد بالفترة التاريخية فان وصفهم لمصر لم يختلف كثير عن وصف المحدثين سوي بعض التسميات للاماكن والبحار والتي اختلفت تسميتها عن عصرنا الحالي وفي هذا الشأن نقول: أولا، ان الجغرافيين القدماء قسموا الأرض الي أربعة ارباع وان الخلق بجملته علي الربع الشمالي من الأرض وهذا المسكون في الأرض قسمه العلماء الي سبعة أقاليم[3].

وقد ذكر بعضا منهم ان ديار مصر بعضها واقع في الإقليم الثاني وبعضها واقع في الإقليم الثالث[4] بينما ذكر البعض الاخر ان ديار مصر في اول الإقليم الرابع[5]. اما بالنسبة لحدودها فالحد الشمالي لديار مصر بحر الروم[6]، من رفح الي العريش ممتدا علي الجفار الي الفرما، الي ان يصل الي الإسكندرية والحد الغربي ما بين الإسكندرية وبرقة علي الساحل اخذا جنوبا الي ظهر الواحات الي حدود النوبة ، والحد الجنوبي من حدود النوبة المذكورة اخذ مشرقا الي بحر القلزم، والحد الشرقي من بحر القلزم قابله اسوان الي الميزاب الي القيصر الي القلزم الحديثة الي تيه بني إسرائيل[7].

---

[1]بشري الجوهري، الجغرافيا الحضارية، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 1995م- ص19.
[2]جمال حمدان، شخصية مصر دراسة في عبقرية المكان، مكتبة النهضة المصرية. القاهرة، 1970م، ص191.
[3]أبي عبدالله محمد الادريسي، نزهة المشتاق في اختراق الافاق، المجلد الأول، مكتبة الثقافة الدينية (ب- ت)، ص8-9.
[4]تقي الدين المقريزي، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والاثار، الجزء الأول، تحقيق خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، (ب-ت)، ص12.
[5]الاستبصار في عجائب الامصار، بدون مؤلف، تعليق سعد زغلول عبدالحميد، مطبعة جامعة الإسكندرية، 1958م، ص45
البحر الأبيض المتوسط وكان يسمي أيضا البحر الشامي..
[6]عماد الدين إسماعيل ابي الفداء، تقويم البلدان، طبع وتصحيح، زينون وسيلان، دار الطباعة السلطانية، باريس، ص153
[7]أبو الفداء، مصدر سابق، ص 153.

الحالة السياسية قبيل الدولة الفاطمية: -

قبيل الخوض في الحديث عن الدعوة الشيعية وانتشارها في بلاد المغرب وكذلك قيام الدولة العبيدية(الفاطمية) بها لابد لنا من إعطاء لمحة عن الكيانات السياسية او الدول التي كانت قائمة بحد ذاتها في بلاد المغرب الإسلامي قبيل قيام الدولة الفاطمية العبيدية.

1-دولة بني الاغلب في افريقيا:-

في الفترة التي انتقلت فيها الدعوة الشيعية الي بلاد المغرب الإسلامي كانت افريقيا (المغرب الأدنى) تحت سيادة او حكم بني الاغلب والتي تأسست عام(184هـ/800م) وكان حاكمها أيام انتقال الدعوة الشيعية الي بلاد المغرب الإسلامي إبراهيم بن احمد بن الاغلب (261-288هـ/875-901م) والذي ساء حكمه بعد ذلك حيث بداء يحرص علي جمع الأموال كما لم يسلم خواصه فضلا عن خصومه ونتيجة لهذا قام الخليفة بعزله عام(289هـ/902م،) وولي مكانه ابنه أبو العباس ابن إبراهيم بن الاغلب[1]. وقد كان أبو العباس اديبا شجاعا حسن السيرة كثير العدل صاحب معرفة واحسان، انتقل اليه الامر بعد ابيه واقام بتونس عين جماعة من العلماء لإعانته علي الرعية ، غير ان حكمه لم يدم طويلا فقد توفي سنة(296هـ/909م)، مقتولا اثر مؤامرة دبرها له ابنه زيادة الله لأنه سجنه لشربه الخمر واساءته التصرف[2]

[1]شهاب الدين النويري، نهاية الادب في فنون الادب ، تصحيح عماد علي حمزة، دار الكتب العلمية، بيروت، (د-ت) ج24، ص86.
[2]محمد بن ابي القاسم ابن ابي دينار، المؤنس اخبار افريقيا وتونس، ، مطبعة الدولة التونسية، ط2، 1286ه،ص50.

2-دولة الرستميين بتيهرت(تاهرت):-

في الوقت الذي سيطر بنو الاغلب علي افريقيا كان بنو رستم* في تيهرت*حيث نجح هؤلاء في الدعاية لمذهبهم ونشره بين قبائل المغرب الأوسط كلواته وهوارة ونفوسه ومزاته[1]. وعند ظهور الدعوة الشيعية ببلاد المغرب كان حاكم الرستميين او امامهم آنذاك محمد بن افلح* الذي تمكن بفضل علمه وورعه من توحيد صفوف الاباضية الذين ظلوا قوة واحدة الي ان توفي سنة (281هـ/894م)[2]وعندما تمكن الشيعة من السيطرة علي الزاب وبعد فراغه من الاغالبة قصد تيهرت، التي خرج اليه أهلها ووعدوه بتسليم المدينة كما خرج اليه افراد البيت الحاكم واستقبلوه مسالمين وهكذا استولي أبو عبد الله الشيعي علي تيهرت[3].

3-دولة بنو مدرار بسجلماسة: -

قامت هذه الدولة جنوب المغرب الأقصى، حينما اجتمعت العنصرية في مكناسة* ونقضوا طاعة العرب وولوا عليهم عيسي بن يزيد الأسود من موالي العرب اماما لهم، وبنو مدينة سلجماسه*(حاضرة دولتهم سنة(140هـ/757)وبقي عيسي بن يزيد اميرا عليهم نحو خمس عشرة سنة، ثم سخطوا ونقموا عليه، وعمدوا اليه واوثقوه ووضعوه علي سفح الجبل الي ان هلك سنة(155هـ/772م). وولوا امرهم بعده كبيرهم ابي القاسم سمكواين واسول بن مصلان[4]، ليتوفى بعدها سنة(169هـ/785م)، ليولوا مكانه اخاه اليسع بن ابي القاسم المكني بالمنصور، الذي بني سور سجلماسة كما استفحل ملكهم حينما تم بناءها وتشيدها بالمصانع والقصور، وصاهر الرستميين بتزويج ابنه مدرار من اروي ابنة عبد الرحمن بن رستم، ولما توفي سنة(

---

[1]عبد الرحمن ابن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب البربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، دار الفكر بيروت، 1421ه/1976م، ج1، ص121.

* بنو رستم، ترجع التسمية الي عبد الرحمن بن رستم وهو الرستمي لابا في مليون بن عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم من الفرس، عبيد الله بن ابن حردازية، المسالك والممالك، مطبعة بريل، بيروت 1889م، ص87.

* تيهرت: مدينة بالمغرب الأوسط بينها وبين المسايا ست مراحل وهي بين تلمسان وقلعة بن حماد، سميت بعراق المغرب وهي هلي نهر مينة، فيها جميع الثمار، شديدة البرد وكثيرة الغيوم، معجم البلدان، ج2، ص7-8.

[2]سعد زغلول، تاريخ المغرب العربي، منشاة المعارف، الإسكندرية، 1990م، ج3، ص388.

[3]مبارك الميلي، تاريخ الجزائر القديم والحديث، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1990م، الجزائر ، د.ت، ج2، ص38.

[4]احمد بن خالد الناصري السلاوي، الاستقصاء لاخبار دول المغرب الاقصي، دار الكتب، الدار البيضاء 1954م، ج1، ص55.

208هـ/823م) ولي بعده ابنه مدرار ولقب بالمنتصر وطال امر ولايته ثم شهد نزاع ابنه علي السلطة ودامت الحرب بينهما ثلاث سنوات ثم توفي مدرار سنة (253هـ/867م)[1]، فولوا امرهم مدرار بن بقية ولم يزل واليا عليهم حتي توفي سنة(263هـ/877م،) ثم تولي اليسع بن ميمون بن مدرار ببن اليسع بن ميمون المكناسي سنة(280هـ/893م)،ولقب علي اسم جده بالمنتصر، وهو الذي سجن عبيد الله بسجلماسة بأمر من الخليفة العباسي المنتصر حين علم انه هو الذي قام بدعوته الشيعية، غير ان زحف أبو عبد الله الشيعي اليه من افريقيا لإنقاذ امامه كان سببا في القضاء علي دولة بني مدرار بسجلماسة سنة(296هـ/909م) وظفره باليسع وضرب عنقه، وبذلك انتهت دولة المدراريين بعد ان عمرت نحو مئة وستين سنة[2].

4-دولة الادارسة:-

فر ادريس بن عبد الله بن حسن بن علي بن الحسن بن علي بن ابي طالب من الحجاز ومعه مولي اسمه واشر ونجا من موقعة الفخ(169هـ/ 788م) الي المغرب الأقصى[3]، ونزول ادريس علي اوربة عام(789/172م)، وكان اميرهم آنذاك بو ليلي[4] اسحق بن محمد بن عبد الحميد، فأجاره وجمع البربر علي قيام دعوته من كل قبيلة نفوسه ومكناسة وعمات وخمارة ولواته فبايعوه وائتمروا لأمره وتم له الملك والسلطان بالمغرب[5]، ولما قوي واستقام امره بالمغرب، اخذ جيشا عظيما من أبناء قبيلة زناتة واوربة وصنهاجه وغيرها وخرج الي بلاد تامسنا غازيا، ونزل بمدينة سالة[6]، التي فتحها اول الامر ليسهل له فيما بعد فتح سائر بلاد تامسنا[7]حيث سار

---

[1]ابن خلدون، المصدر السابق،ج6، ص172.

[2]ابن عذاري المراكشي ، البيان لمغرب في اخبار الاندلس والمغرب، دار الثقافة، بيروت، 1983م، ص157.

[3]ليلي: مدينة بالمغرب قرب طنجة، اقام بها ادريس بن عبد الله ، ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج3، ص184.

[4]محمد شاكر، الدولة العباسية، ج5، الطبعة الثانية ،القاهر ، دار الكتاب للنشر والتوزيع، ص162.

[5]ابن خلدون، العبر، المصدر السابق، ص195.

[6]سالة: مدينة تقع علي ساحل المحيط الأطلسي عند مصب نهر الرقراق، ابي القاسم ابن حوقل، صورة الأرض (المسالك والممالك والمغاوز والمهالك)، دار مكتبة الحياة، بيروت، 1996م، ص82.

[7]تامسنا: يقال لها كذلك بلاد السوس الأدنى، وهي مملكة بنو صالح ،الحسن بن محمد الوزان، وصف افريقيا، ط2، دار الغرب الإسلامي، 1983م، ج1، ص194.

سار الي تادلة[1]، واسس ادريس مدينة فاس واتخذها عاصمة له واستمر في حكمه حتي توفي(177هـ/793م) فخلفه ابنه ادريس الثاني الذي كان جنين في بطن امه عندما مات ابوه وقام بشؤون البربر مولي ابيه راشد فيما قتل راشد كفل ادريس أبو خالد العبدي حتي كبر فتولي الامر عام(188هـ/804م) وبني مدينة العالية وهي مقابل مدينة فاس[2]، كانت مدة حكمه 25سنة وكان عهده عهد رخاء وفرح وخصب وكان لا يغفل عن مصالح الدين وتوفي في سنة(213هـ/828م) ويقال ان سبب موته عنبة شرقت له في حلقه فمات من حينه[3]، ومن اشهر امراء الادارسة ادريس الثاني (177-213هـ/793-828م) وعلي بن عمر بن ادريس الثاني(221-234هـ/836-848م) ثم يحي الرابع بن ادريس بن عمر(292-310هـ/905-922م)[4].

قيام الدولة الفاطمية في المغرب: -

يعود اول ظهور للشيعة الإسماعيلية في بلاد المغرب الي دخول الداعيان؛ (أبا سفيان والحلواني) الذين اوفدهم جعفر الصادق وقال لهما: المغرب ارض بور فاذهبا واحرثاها حتي يجئ صاحب البذر؛ فدخلا المغرب ونزل احدهما بمرجانة[5]والأخر بسوفجمار وكلاهما ارض كتامة حيث فشت الدعوة الشيعية[6].

اما أبو عبد الله[7] الذي سيحل محل الداعيان السابقين في نشر الدعوة الشيعية الإسماعيلية فقد قضي فترة تدريب عند ابن حوشيب[8] فقد بعث دعوته وركز موقعه في ارض كتامة[1]. فقدم

---

*تادلة: بفتح الدال واللام، من جبال البربر قرب تلمسان وفاس.

[2]محمود شاكر، المرجع السابق، ص162.

[3]علي السنوسي الادريسي، الدرر السنية في اخبار السلاسة الادريسي، مطبعة الشباب، مصر ، 1349ه، ص39.

[4]حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام السياسي والديني والاجتماعي، الطبعة الثالثة ،دارالجيل ،بيروت، ج3، 1996م، ص169.

[5]ياقوت الحموي، معجم البلدان، دار الصادر، بيروت، 1398ه/1977م.

[6]ابن خلدون، العبر، المصدر السابق، ص41.

[7]هو أبو عبد الله الحسين بن محمد بن زكريا المعروف بالشيعي القائم بدعوة عبيد الله المهدي، من اهل صفاء اليمن، كان من الرجال الدهاة الخبيرين بما يصنعون.

[8]القاضي النعمان: افتتاح الدعوة ط2، مؤسسة الاعمال للمطبوعات، بيروت، 1426ه، ص17.

الي مكة أيام الحج واجتمع بجماعة من المغاربة من اهل كتامة وكانوا في حديثهم من طرف في ذكر آل البيت فاعجبوا به وانتسبوا اليه ،وسأله عن مقصده فاظهر انه يريد مصر بقصد التعليم، فاستعجبوا الي مصر وبوصولهم الي مصر ووداعهم له سألوه الصحبة معهم الي بلادهم اذا كان مقصده التعليم والثواب فأجابهم الي ما طلبوا، وقدم معهم الي المغرب وسلكوا طريق الصحراء وعدلوا من القيروان وكان دخولهم ارض كتامة في منتصف ربيع سنة(288هـ/901م)[2].

سار الي جبل يقال له ابكجمان، وفيه فج لأخيار، وقال لهم هذا فج الاخيار، وما يسمي الابكم، وقد جاء في الأثر ام للمهدي هجرة تنبو عن وطن ينصره فيها الاخيار، ومن اهل ذلك الزمان قوم مشتق اسمهم من الكتمان والهم كتامة فتسامعت القبائل ومنع من الجبل والمكايدة ما اذهل عقولهم، واتاه البربر من كل مكان حتي عظم امره و وكان اسمه المتداول عندهم أبا عبد الله المشرقي[3]، وبتعاظم امر المشرقي خشي بعض الكتامين زوال السلطة من أيديهم، حيث نجح الشيعي في قلب الوضع السياسي لصالحه وراوا ان استعمال القوة والعنف لن يكون لصالحهم، واختاروا اصطناع الحيلة فاعزروا احد من بني سكنات بالرئاسة عليهم اذا اخرج الشيعي من بينهم، لكنه رفض وتحول الامر الي حرب بين الفريقين، وعندما احس الشيعي بما يدور حوله، نقله احد كبار كتامه الحسن بن هارون الي مدينة تازورت[4] التي به قومها الذين قاسموه اموالهم[5].

---

[1]ابن خلدون، العبر، ج6، ص195.

[2]محمد بن ابي القاسم ابن ابي دينار، المصدر السابق، ص51.

*كتامة: من قبائل البربر واشدهم باسا وقوة، يقول نسابة البربر هم من ولاد كتام من برنس ونسابه العرب يقولون انهم من حميد،

[3]علي بن محمد الجزري ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1408ه/1987م، ج6، ص451.

*[4]تازورت: كلمة بربرية تعني التل الفخري؛ وتعد اول مدينة تحصن بها أبو عبد الله الشيعي مدعوما من قبيلة كتامة، وكانت قبل ذلك اول مدينة للحكم لأغلب تسقط في يد الفاطميين.

[5]عبد الله محمد جمال الدين، الدولة الفاطمية، دار الثقافة ، القاهرة، 1411ه/1991م، ص44-45.

كما اجتمع علي نصرته كثير من فروع كتامة كعجيسة وزواوه وبلزمه، واخذ الشيعي يوجه اعوانه للإغارة علي القبائل وارهابها وحثهم علي القتال وشاركهم فيها ووعدهم النصر ودخل حروبا مع اعدائه ممن تكتل ضده من القبائل فاستولي علي الغنائم ونشر أصحابه في مختلف النواحي، فدخل الناس في امره طوعا وكرها[1].

ولما قام لابي عبد الله الامر وانتشرت دعوته أرسل أبو عبد الله رجالا من كتامة الي عبيد الله المهدي في الكوفة ليخبروه بما فتح الله عليهم وانهم بانتظاره، كما زحف علي مدينة مليلة وقاتل أهلها قتالا شديدا حتي مسك البلد بامان فبعث اليه إبراهيم بن الاغلب اثني عشر الف جندي بقيادة ابنه الأحوال الذي التقي مع ابي عبد الله فانهزم أصحاب أبو عبد الله الشيعي وعادوا ادراجهم الي جبل ابكجان[2]. ولما مات إبراهيم بن الاغلب وولي زيادة الله ابن الاغلب والذي اشتغل باللهو واللعب فاشتد امر ابي عبد الله الذي اخذ يغري الناس بقوله: ان المهدي يخرج في هذه الأيام ويملك الأرض فيا طوبا لمن هاجر الي واطاعني[3].

وفي هذه الاثناء دخل عبيد الله المهدي المغرب رفقة ابنه وبعض مرافقيه متنكرين في زي تجار والطلب عليه من كل وجه، ولما اكتشف امره قبض عليه متولي سجلماسة اليسع بن مدار بأمر من المنتصر العباسي[4]. ولقد سمي الشيعي اتباعه من كتامة وغيرهم بالمؤمنين وقادة جندة ضد زيادة الله بن الاغلب واستولي علي رقادة دار ملك بن الاغلب والتي استولي عليها بصعوبة شديدة فدخل رقادة ونزل بالقصر المعروف بقصر" الصحف" وامر بقتل السودان من موالي بن الاغلب فقتلوا عن اخرهم[5].

---

[1] ابن خلدون، العبر، المصدر السابق، ص34.

[2] احمد بن علي تقي الدين المقريزي، اتعاظ الحنفاء بأخبار الائمة الفاطميين الخلفاء، تحقيق جمال الدين الشيال، ط2، القاهرة، 1416ه/1996م، ج1، ص56.

[3] ابن خلدون، المصدر السابق، ص34.

[4] ابي عبد الله محمد بن علي ابن حماد، اخبار ملوك عبيد وسيرتهم، دار الصحوة، القاهرة، د ت، ص37.

[5] عبد الله بن السعد اليافعي، مرآة الجنان وعبر اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1997م، ج1، ص162.

وهرب زيادة الله من رقادة حين ادرك انه لن يقوم له امر بعد انهزام عسكره الأ انه لبس لأنه يترك شيئا من القوة والمال فاخذ زيادة الله بشد الأموال ونفيس الحلي والجواهر واختار من عبيد الصقالبة الف خادم، ولما نادي المؤذن لصلاة العشاء خرج من رقادة قاصداُ المشرق[1]. وبعد ان أدرك الشيعي اخر معاقل الاغلب توجه الي سلجماسه بفك اسره امامه وعند وصوله خرج اليه الوالي مع جمع غفير من مكناسة تمكن الشيعي من هزيمتة واقتحام مدينة سلجماسه واخرج المهدي وابنه أبو القاسم من حبسهما، ثم أرسل الي المنتصر بن اليسع ومن أدركه واتي له به فضرب عنقه سنة (296هـ/909م)[2].

قيام الدولة الفاطمية العبيدية ببلاد المغرب: –

1-ولاية عبيد الله المهدي:(297-322هـ/910-934م)

ولما تم إخراجه توجه المهدي عبيد الله[3]، وعند وصوله الي رقادة استقبل من طرف اتباعه من الشيعة وعلي راسهم أبو العباس (اخو الداعي الشيعي) وسلم عليه فقهاء وشيوخ القيروان بالخلافة والإمامةوهنأوه بالفتح واسلامه واستقر أبو القاسم في قصر الفتح في حين نزل المهدي في قصر الصحن الذي كان يقيم به الداعي أبو عبد الله الشيعي من قبل وكانه أراد ان يظهر بذلك انه صاحب البلاد الفعلي بعد اليوم[4]، فقسم علي وجهاء رجال كتامة اعمال افريقيا وجعل لكل عسكر من كتامة ناحية من البلدان، كما أعاد تنظيم المصالح الإدارية، واذن بإحياء ديوان الخراج الذي احرق بعد هروب زيادة الله، وامر بجني الأموال، ونصب ديوان الكشف، واستعان بالعناصر العربية التي كانت في خدمة الاغالبة سابقا، كما نصب ديوان للضياع، وديوان

[1] عماد الدين ادريس، المصدر السابق، ص133.
[2] ابن عذاري، المصدر السابق، ص156.
*[3] فيهم من ينسبه الي انه من آل البيت الفاطمي " نسبه الي فاطمة بنت الرسول "ص" بقولهم عبيد الله بن احمد بن إسماعيل بن محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق، وقيل عبيد الله محمد بن عبد الله بن ميمون بن إسماعيل بن جعفر ابن محمد، او اول خلفاء الخوارج الباطنية.
[4] الداعي ادريس، المصدر السابق، ص170.

لأموال الهاربين واتخذ عبيدا من السودان والروم، ونصب ديوان للعطاء وبيت المال[1]، ولما تعمق الخلاف بين المهدي وداعيته ابي عبد الله وتمشت بينهما الساعيان واختار المهدي من وجوه كتامة عروبة بن يوسف واخاه حابسة، وامرهم بقتل ابي عبد الله واخاه أبو العباس، وهو ما تم حيث قتلا معا يوم الثلاثاء منتصف جمادي الثاني سنة(298هـ/910م)، وربما هي عاقبة كل من سعي في تأسيس دولة لغيرهم الي حد ما وهي تشبه الي ما نهاية أبو مسلم الخرساني صاحب الدعوة العباسية في المشرق[2].

ولقد تمكن المهدي من اخماد عدة ثورات قامت ضده كالانتفاضة التي قامت بعد وفاة أبو عبيد الله الشيعي من الاغالبة، وكذلك الثورة التي بين اهل افريقيا والكتاميين والتي كانت في شعبان سنة(299هـ/ ابريل911م)، وذلك للعداء الشديد بين الطرفين كما تمكن من اخماد الثورة التي قام بها الهواريين بمدينة طرابلس وإعادة الاستقرار والامن في المنطقة[3].

اما بالنسبة للثورات الخارجية فقد شن حملة تأديبية علي المغرب الأوسط الي تيهرت واستطاع قمع ثورة اندلعت هناك، واخضع القبائل المتمردة[4].

وفي سنة(303هـ/915م) ارسل المهدي جيوشه الي برقة لتأديب والانتقام من أهلها الذين ثاروا ضد الدولة العبيدية وقتلوا عاملهم من رجال كتامة حيث قام بحصار برقة ثماني عشر شهرا وتمكن الجيش من دخولها سنة(304هـ/916م) وفي نفس السنة حارب الفاطميين اهل صقلية وغزوا مصر، وفي ذي القعدة سنة(306هـ/918م)، استولوا علي الإسكندرية واكثر الصعيد ثم رجعوا ولما تم بناء المهدية سنة(308هـ/920م) التي تم التخطيط لبنائها سنة (304هـ/916م) انتقل اليها المهدي لتصبح عاصمة الدولة وكان الانتقال اليها لتفادي الصدام

[1] القاضي النعمان، المصدر السابق، ص302-309.
[2] مبارك الميلي، المصدر السابق، ص133.
[3] ابن عذاري، المصدر السابق،ص163-166.
[4] الراعي ادريس، المصدر السابق، ص180.

مع اهل رقادة الذين كانوا من اغلبهم سنة[1]، وهكذا استطاعت الدولة الفاطمية ان تفرض نفوذها بقوة السلاح علي افريقيا وطرابلس وبرقة وجزيرة صقلية في حكم عبيد الله المهدي[2].

2-ولاية القائم بأمرالله: (322-334هـ/934-946م)

بويع له يوم مات أبو منتصف ربيع الأول(322هـ/934م)، لقب بالقائم بأمر الله حكم الدولة الفاطمية مدة اثنتي عشر سنة وسبعة أشهر عرف حكمه فتح مدائن الروم بصقلية، كجنوة وكان الاسطول بقيادة يعقوب بن إسحاق كما اخرج ميسورا الفتي في عدد من الجيش الي فاس والذي من هزم ابن ابي العافية، كما وجه حملة سنة (323هـ/935م) الي مصر حيث تمكن الفاطميون من دخول الإسكندرية، غير ان محمد الاخشيدي تمكن من صدهم وافشال حملتهم علي مصر[3].

ولقد شهد عصره ثورة ابي يزيد مخلد بن كيلان الخارجي سنة(332هـ/943م)، في افريقيا والذي ابتداء أمره سنه(316هـ/928م) الي أيام المهدي[4]، غير ان امتداد شوكته وكثرة اتباعه فهزم الجيوش وكان مذهبه تكفير اهل الملة وباح اتباعه الأموال والدماء والخروج علي السلطان فحاصر باغايه وهزم الجيوش الكثيرة كما حاصر قسطلييه كما استولي علي الأقاليم البحرية الشمالية كباجه وتونس[5]، وتمكن من دخول القيروان بعدما هزم الكتاميين في واد مجرد وتبعهم الي القيروان ورقادة التي نزل في مائة الف وذلك في صفر(333هـ/944م) خاصة بعد سوء تسير الوالي خليل ابن إسحاق الذي وقف لا يحرك ساكن[6]، حتي انه وصل الي المهدية وحاصرها وبلغ المد ذروته بالوقوف علي بابها، غير انه تراجع[7]، وبينما كان حصار أبو يزيد (

[1] القاضي النعمان ،افتتاح الدعوة، المرجع السابق، ص235.
[2] علي محمد الصلابي، الدولة الفاطمية، ط1، القاهرة، مؤسسة اقراء للنشر والتوزيع ، 2006م، ص62.
[3] ابن عذاري، المصدر السابق، ص208.
[4] ابن الاثير، المصدر السابق، ص75.
[5] المقريزي، الخطط ، المصدر السابق، ص75.
[6] ابن خلدون، المصدر السابق، ص2-6.
[7] سعد زغلول، المرجع السابق، ص174.

صاحب الحمار) مستمرا علي سوسة جر في المهدية حدث جاسم لم يكن له علم به، حيث توفي الخليفة القائم بامر الله تاركا العرش لابنه إسماعيل الذي وضع حدا للهيب هذه الثورة[1].

3-ولاية المنصور بالله: (334-341هـ/946-953م)

هو أبو الطاهر إسماعيل بن القائم بأمر الله ابي القاسم نزار بن الامام المهدي بويع بعد وفاة ابيه سنة(334هـ/945م) غير انه كتم وفاة ابيه خشية الإضطرابات التي قد تحصل كان شجاعا قوي الجأش فهيما ويرتجل الخطبة وبذل المال للجند[2]، ولما استوفي امره جد في قتال ابي يزيد وخرج في طلبه وغير انهزام ابي يزيد توجه من سوسة الي القيروان التي منعه أهلها من الدخول وقتلوا من دخلوا اليها من أصحابه والتحق به المنصور الي القيروان، وأجرت بينهما عدة وقائع لينهزم أبو يزيد ويقتل بعد اسره بأربعة أيام في أواخر محرم سنة(336هـ/947م) فسلخ جلده وملئ قطنا وطيف به في الشوارع[3].وبعد القضاء علي ثورة أبي يزيد بدا المنصور بإصلاح ما افسدته ثورة ابي يزيد بإنشاء اسطول كبير كما أسس مدينة المنصورة، واسند ولاية صقلية الي ابي الحسن الكلبي[4]، وقد ذكر الذهبي شيئا عن كرمه فقال: " وكساهم كسوة فاخرة وعمل لهم وليمة لم يسمع قط بمثلها وكان يهب الواحد منهم المائة دينار والخمسين دينار علي اقدامهم"[5]، وشن المنصور حملة علي تيهرت تمكن فيها من اخماد الاضطرابات التي قامت بها[6]، كما خاض حملة علي قسطلييه[7]، وجنوب الآوراس حينما اشتعلت من جديد الثورة التي

---

[1] ابن عذاري، المصدر السابق، ص218.
[2] شمس الدين محمد بن احمد الذهبي، سير اعلام النبلاء، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1403ه-1983م، ج15، ص156.
[3] ابن ابي دينار، المؤنس في أخبار افريقيا وتونس ،الطبعة الاولي ،مطبعة الدولة التونسية ،1286ه، ، ص 58-59.
[4] رابح بنوار ، المغرب العربي تاريخه وثقافته، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، د.ت، ص173.
[5] الذهبي، المصدر السابق، ص157.
[6] الداعي ادريس، المصدر السابق، ص 436.
[7] مجهول، الاستبصار في عجائب الامصار، سعد زغلول، دار الثقافة العامة، العراق، 1986م، ص155.

اخمدت بشق الانفس وفي ذات المكان الذي اندلعت اول مرة وتمكن المنصور من اخمادها بسرعة واستطاع فرض سلطته[1]،.

توفي المنصور سنة(341هـ/952م) بعد مرض أصابه عند خروجه متنزها الي بلدة جالولاء التي تبعد عن القيروان أربعة وعشرين ميلا وفي طريق عودته هبت ريح شديدة وبرد ومطر وكثر الثلج فمات جماعة من معه واعتل المنصور علة شديدة فمات اثر اعطاءه دواء منوما[2].

4-ولاية المعز لدين الله الفاطمي: (341-365هـ/953-975م)

هو محمد ابن إسماعيل المنصور ولد بالمهدية في رمضان سنة (319هـ/931م) تسلم الحكم في 29 شوال (341هـ/952م) استطاع الخليفة العبيدي ان يمد نفوذه علي معظم بلاد المغرب ففي سنة (342هـ/953م) ارسل عساكره الي لاوراس التي كان يسكنها بني كملان وبعض هوارة فاخضعوا لطاعته كما وجه وزير جوهر الصقلي[3]، في مصر سنة (348هـ/959م) علي راس جيش كبير الي تيهرت التي حارب أهلها واخضعها ثم سار الي فاس التي حاصرها، ليتجه بعدها الي سجلماسة التي دخلها وقتل حاكمها ابن واسول الذي لقب نفسه بالشاكر بالله، وعاد الي المهدية بعد اخضاع المغرب كله الي فلك الفاطميين[4]، وفي سنة (351هـ/962م) كان أعذار المعز لأولاده ولكثير من صبيان مملكته، وقد انفق في ذلك اموالا طائلة.

[1]فرحات الدشراوي، المرجع السابق، ص310.
[2]، منشورات دار الافاق الجديدة، بيروت، لبنان، 1402ه-1986م، ص53-54عارف تامر، المعز لدين الله، ط1،
[3]العزيز الجوزري، المصدر السابق، ص35.
[4]جوهر الصقلي : اصله من العبيد الصقالبة الذين حملوا الي المهدي في حملة من حملات اليه من اسري الاغالبة وهو صيدي اهداء المهدي الي ابنه القائم وما زال القائم بقريه اليه ويعلي من شانه حتي استخلفه علي قصر وعند حملته علي مصر سنة322ه، صرفا اليه النظر في بيت المال كما جعله المعز وزيرا له.

انتقال الدولة الفاطمية الي مصر: –

اتجهت انظار الفاطميين الي مصر بعد ان استقر سلطانهم في المغرب وذلك لضعف موارد بلاد المغرب بالإضافة الي ثورات البربر المستمرة، ويرجع اهتمامها بمصر الي ما تتمتع به مصر من موقع استراتيجي هام من النواحي العسكرية والسياسية، وما كان لها من نفوذ في الحرميين الشريفيين، مكة والمدينة هذا الي جانب وفرة ثروتها وقربها من بلاد المشرق[1]، مما جعلها صالحة لإقامة دولة مستقلة تنافس العباسيين، هذا الي جانب رغبة الخلفاء الفاطميين في اتخاذ مصر قاعدة يوجهون منها الحملات الي بغداد للقضاء علي الخلافة العباسية وإقامة خلافة علوية تكون هي الخلافة الوحيدة التي يدين لها بالطاعة من جميع المسلمين[2].

بداء عبيد الله المهدي بعد تأسيس خلافة بالمغرب في وضع الخطط لغزو مصر، فأرسل في سنة(301هـ/913م)، جيشا من المغاربة بقيادة ابنه أبو القاسم والقائد حباسه بن يوسف واستولي هذا الجيش علي برقه في طريقه الي مصر وتمكن من الاستيلاء علي الإسكندرية فارسل الخليفة المقتدر العباسي موسي الخادم لصد هذه الحملة وانتهت المعركة بهزيمة الفاطميين[3].

اوفد عبيد الله حملة ثانية لغزو مصر سنة (306هـ/918م)، بقيادة ابنه فاستولي علي الإسكندرية سنة (307هـ/919م) وسار الي الجيزة وتمكن الجيش الفاطمي من الاستيلاء علي الاشمونين والفيوم، ولما بلغ الخليفة المقتدر العباسي نبأ هذه الحملة ارسل جيشا بقيادة مؤنس المظفر فانتصر علي الفاطميين[4].

---

[1] زنوبة نادي موسي، محاضرات في تاريخ وحضارة الدولة الفاطمية، دار الثقافة العربية، القاهرة، ص7.
[2] نفسه، ص7.
[3] فرحات الدشراوي، الخلافة الفاطمية بالمغرب، دار العرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الاولي، 1994م، ص372.
[4] زنوبة نادي موسي، مرجع سابق، ص9.

اضطربت أحوال الخلافة العباسية بعد وفاة الخليفة المقتدر فاتخذ عبيد الله المهدي من ذلك فرصة لمعاودة فتح مصر فارسل اليها حملة في سنة (933/321م)، انتهت هذه الحملة أيضا بهزيمة الفاطميين سنة (322هـ/934م)، وبعد ان توفي عبيد الله المهدي تولي ابنه أبو القاسم الذي تلقب بالقائم فتابع سياسة ابيه في غزو مصر فارسل اليها حملة في أواخر سنة (323هـ/935م) فوصلت الإسكندرية في أوائل سنة(324هـ/936م) وانضم اليها بعض زعماء المصريين فارسل اليهم الاخشيد قوة كبيرة استطاعت ان تهزم الفاطميين الذين اضطروا للعودة الي بلاد المغرب[1].

تجددت محاولات الفاطميين للاستيلاء علي مصر في عهد الخليفة المعز وساعدتهم الظروف علي ذلك اذ انه لما توفي كافور سنة(357هـ/968م) اضطربت الحالة السياسية في مصر وقد ساءت الأحوال في أواخر عهد الدولة الاخشيدية وحل بالبلاد الوباء والقحط كما اضطربت الحالة المالية حتي اضطر البعض الي الكتابة للمعز يطلبون القدوم لإنقاذ مصر من الفوضى[2]، وكان الخليفة المعز قد اخذ في الاستعداد لفتح مصر قبل وفاة كافور، ففي سنة (356هـ/967م)، امر بإنشاء الطرق وحفر الابار في طريق مصر ولما توفي كافور سنة(357هـ/968م)، اخذ في اعداد المال اللازم لتجهيز الحملة فعهد المعز الي قائده جوهر الصقلي بقيادة الحملة التي اعدها لفتح مصر، وقد نجح جوهر في الاستيلاء علي الإسكندرية ولما علم بذلك ذوي الراي والنفوذ في الفسطاط استقر رايهم علي مفاوضة جوهر وطلب الامان[3]، وبين جوهر الصقلي في هذا الكتاب ان جيوش الفاطميين قدمت لحماية اهل مصر، كما عرض برنامج الإصلاح الذي سيقوم به، وتعهد جوهر بتامين المصريين علي انفسهم

[1] عبد الله محمد جمال الدين، الدولة الفاطمية قيامها ببلاد المغرب وانتقالها الي مصر الي نهاية القرن الرابع الهجري مع عناية خاصة بالجيش، دار الثقافة، القاهرة، 1411ه-1991م، ص104.

[2] المقريزي، إغاثة الامة بكشف القمة، تحقيق محمد مصطفي زيادة، وجمال الدين الشيال، القاهرة، 1940م، ص11-14.

[3] ايمن فؤاد سيد، الدولة الفاطمية في مصر، تفسير جديد، الدار المصرية اللبنانية، الطبعة الاولي، 1413ه- 1992م، ص73-74.

واموالهم[1]، علي ان اهل الفسطاط وطائفة من الجند لم يقبلوا ذلك واتفقوا علي محاربة جوهر الا ان الهزيمة حلت بالمصريين وطلبوا الأمان من جوهر، فاعد جوهر الأمان للمصريين الذين خرجوا الي الجيزة لاستقباله، وهكذا بدأ حكم الفاطميين لمصر سنة(358هـ/969م)[2].

اتخاذ مصر مقرا للخلافة الفاطمية: –

بعد ان وضع جوهر الصقلي أساس مدينة القاهرة بدا في اتخاذ الخطوات التي تجعلها مقرا للخلافة الفاطمية فامر بحذف الدعوة للخلافة العباسية وجعلها للخليفة المعز، كما ضرب النقود باسم الخليفة الفاطمي، كذلك منع جوهر الناس من لبس السواد شعار العباسيين، كما امر جوهر بان يزاد في الخطبة العبارة التي يتميز بها الاذان عند الشيعين مثل عبارة " حي علي خير العمل الي غير ذلك"[3].

كتب جوهر بعد ان استقر سلطان الفاطميين في مصر الي المعز يستدعيه ليتولى بنفسه شئون حكم مصر، خرج المعز من المغرب متوجها الي مصر وبصحبته كثير من اتباعه وجمع كبير من رجالات دولته، ودخل المعز الإسكندرية في شعبان سنة(362هـ/973م) فاستقبله اعيان البلاد وعلي راسهم قاضي مصر[4]، وقد خرج في اليوم التالي اشراف مصر وقضاتها واعيانها لتهنئته وبذلك استقر به المقام في مصر وأصبحت مصر عند قدوم المعز اليها دار خلافة بعد ان كانت دار امارة وأصبحت القاهرة عاصمة للدولة الفاطمية[5]

---

[1] المقريزي، المصدر السابق، ص107.
[2] ايمن فؤاد، المرجع السابق، ص73.
[3] زنوبة نادي مرسي، مرجع سابق، ص14.
[4] ابي عبد الله محمد بن علي بن حماد، اخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم، دار الصحوة، القاهرة، د.ت، ص88.
[5] نفسه المرجع، ص89.

الفصل الأول

الحياة الإجتماعية في الدولة الفاطمية في المغرب

المبحث الاول :السلطة والمجتمع

المبحث الثاني:طبقات المجتمع في عهد الفاطميين

المبحث الثالث:العادات والتقاليد في بلاد المغرب الاسلامي

المبحث الأول

السلطة والمجتمع

السلطة وعلاقتها ببعض القبائل المغربية

لا غرو في أن رسوخ أي سلطة سياسية في مجتمع ما مرتبط دائماً اطلاع القائمين عليها بطبيعة تركيبته الاجتماعية وميول أفراده السياسية أو في أحسن الأحوال قدرة هؤلاء السياسيين على تصور علاقة ناجحة قد تنشأ بين الحاكم الذي يمثل السلطة العليا في المجتمع، هذا من ناحية ومطامع المحكوم في تحقيق عدالة اجتماعية تزول معها كل الفوارق الطبقية بين فئات المجتمع[1].

لا شك أن بحث هذه الإشكالية الاجتماعية لا نستكمل جميع جوانبها إلا بوضعها ضمن الإطار السياسي الاقتصادي لما له من ارتباط وثيق بالتاريخ الاجتماعي، بل أن الظاهرة الاجتماعية في حد ذاتها ما هي إلا نتيجة حتمية لتفاعل هذه المعطيات فيما بينها، ويبدو أن تفضيل الفاطميين لقبيلة كتامة دون سواها بالمكانة الاجتماعية المرموقة وتمكينهم إياها بالمناصب العليا في هرم الدولة على الأقل كمرحلة أولى من تأسيسها قد أحيا من جديد ذلك الصراع التقليدي بين باقي القبائل الأخرى وخاصة بين كتامة وزناتة[2].

ولا شك أن السلطة الفاطمية حاولت أن تستثمر هذا الصراع القبلي حتى تبقي على مصالحها السياسية قائمة في البلاد متخذة في ذلك كل الإغراءات والذرائع فكانت أحياناً تلجأ إلى فرض نفوذها عن طريق القوة العسكرية وأحياناً أخرى تتبع سياسة الإغراءات سواء بالمناصب أو الامتيازات وشراء الذمم بالأموال أو أن تزرع بذور الخلاف بين قبيلة وأخرى[3].

---

[1] .ابي القاسم بن حوقل ،صورة الارض ،دارمكتبة الحياة ،بيروت ،1996م، ، ص 94.

[2] . أندري برنبن وآخر، الجزائر بين الماضي والحاضر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1984م، ص 100.

[3] . محمد بن عميرة، دور زناتة في الحركة المذهبية بالمغرب الإسلامي، الشركة الوطنية، الجزائر، 1984 ص 173.

يرى فريق من الباحثين المعاصرين بأن المصادر التاريخية لم تشر إلى أي دور إيجابي لقبيلة زناتة البترية أثناء حكم الفاطميين لبلاد المغرب الإسلامي ما عدا ما ذكرته عرضاً عن كونها مثلت أكبر حركات المقاومة لسلطة الفاطميين لكن هل معنى هذا إن إقصاء زناتة من قبل الفاطميين يشكل أحد جذور الصراع بينها وبين قبيلة كتامة لا سيما بعد أن حظيت هذه الأخيرة بنفوذ واسع في إدارة دواليب الحكم ولقد اعتبر (ابن خلدون) أن زناتة من القبائل الرحالة تقوم حياتها على الرعي والفلاحة والاقتصار على الضروري من الأقوات والملابس والمساكن وسائر الأحوال[1].

وقد لاحظ ابن حوقل (أن كثرة زروعهم الشعير وإياها يأكلون إلى جانب الحنطة والقمح)[2]، أما فيما يتعلق بموطن هذه القبيلة فهي تشمل صحراء المغرب ما بين غدامس إلى وادي الساورة ثم طلعت بجماعات منهم إلى التل فاستوطنوا المغرب الأوسط وملأت سهوله وجباله كما استوطن البعض منهم القسم الشرقي من المغرب الأقصى إلى حدود جبال تازة وهم موجودون في كل مكان من بلاد المغرب الإسلامي[3].

اما من الناحية الاستراتيجية فزناتة تمثل همزة وصل بين المغرب الأقصى من جهة وباقي أجزاء المغرب الأوسط (الجزائر) والمغرب الأدنى (تونس) من جهة أخرى فكانت مواطن هذا الجيل من لدن جبهات طرابلس إلى جبل أوراس والزاب إلى قبيلة تلمسان ثم وادي ملوية وكانت الكثرة والرئاسة فيهم قبل الإسلام بجراوة ثم لمغراوة وبني يطرن[4]، بالإضافة إلى ذلك فإن منطقة زناتة تعد مركز اتصال مستمر بين البدو والرحل وسكان المدن والقرى وهو الامر الذي شجع على إزدهار الحركة التجارية بها وخاصة على الطريق المؤدي إلى الساحل من البحر ولذات

[1] . ابن خلدون، المقدمة، ص 121.
[2] . ابن حوقل، صورة الأرض، ص 86.
[3] . عبد الوهاب منصور ، قبائل المغرب، ج 1، المطبعة الملكية ،الرباط ،1968ص 311.
[4] . ابن خلدون، العبر، ج 7، ص 17.

السبب اختارها عبد الرحمن بن رستم ليبني عليها عاصمة ملكه تاهرت[1]، وإذ نحن نركز علي الأهمية التي تكتسبها منطقة زناتة ندرك مدى رغبة الفاطميين المستمرة في السيطرة عليها وقد وجد الفاطميون في قبيلة كتامة المجاورة لمضاربها حليفاً استراتيجياً لتنفيذ خطتهم التوسعية[2]، وقد بدأت معالم زناتة للفاطميين منذ أن كان أبو عبيد الله الشيعي مقيماً في إريكجان وبخاصة حينما نجح الداعي في القضاء على الإمارة الأغلبية فحدث أن أرسل أبو عبيد الله بعضاً من خيرة رجاله في مهمة عند صاحب الدعوة عبيد الله المهدي غير ان هذا الوفد تم تصفيته عند عودته في منطقة الذاب على يد عناصر زناتية بقيادة امير مغراوة محمد بن خزر بن صيلات الزناتي ومنذ تلك الحادثة أصبحت ملاحقة الزناتيين الشغل الشاغل للفاطميين وأدركوا بعدها الخطورة التي تمثلها هذه القبيلة ضد توسع نفوذهم ليس فقط في الغرب الأوسط بل في المغرب الإسلامي ككل[3].

في سنة(298هـ/910م) تجول أبو عبيد الله الشيعي في بلاد البربر وحارب صدينة وزناتة وقتل الرجال وأخذ الأموال وسبى الذرية وخرج في نفس السنة جيش فاطمي إلى قبيلة لواتة فقتلوا أهلها وغنموا أموالهم ونهبت أموال أهالي مدينة تاهرت بعد مذبحة قدرت بثمانية آلاف قتيل[4]، ولم يتوقف الخطر الزناتي على السلطة الفاطمية عند حدود تاهرت فحسب بل تحول إلى مدينة نكور والتي رفض سكانها الاعتراف بسلطة الفاطميين وتسليم مدينتهم وأمام هذا الوضع المضطرب قام الخليفة عبيد الله المهدي بتعيين زعيم قبيلة مكناسة (مصالة بن حوبس) لفرض السيطرة على عناصر الشعب في المدينة وتأديب زعيمها سعيد بن صالح[5].

---

[1] . الحبيب الجنحاني، المغرب الإسلامي، دار الغرب الاسلامي ،الطبعة الثانية ،1986م ، ص 103.
[2] . حسين مؤنس، تاريخ المغرب وحضارته، ج 1، ص 509.
[3] . موسى لقبال، دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ،الجزائر ،الطبعة الاولي ،1979ص 343.
[4] . ابن عذاري، البيان ، دار الثقافة ،بيروت ،لبنان ،الطبعة الثالثة ،1983ص 162.
[5] ، ابن عذاري ، المصدر السابق ، ص 162.

لا شك ان تكليف المهدي لهذه الشخصية البارزة للقيام بهذه المهمة كان متعمداً والغرض منه فيما يبدو إقحام هذه القبيلة في دائرة الصراع عن طريق ضرب زناتة بمكناسة وترك القبيلتين متناحرتين والملاحظ أن هذه الاستراتيجية في إثارة النعرات القبلية من قبل السلطة كثيراً ما تكررت فكانت أسلوباً ناجحاً تنتهجه في مثل هذه الظروف وبخاصة كلما أحست بوجود تهديد قد يضر بمصالحها في المنطقة[1]، ومن أجل أن تحافظ السلطة على ولاء قبيلة مكناسة بادرت إلى مكافأة زعيمها مصالة بن حوبس في مقابل الدور الذي قام به لكبح جماح الزناتيين بأن جعلته على قيادة الجيش بل ونصبته واليا على مدينة تاهرت بالمغرب الأوسط[2]، ومن هنا نستنتج أنه لهذا الأسلوب الذي يقوم على تبادل المصالح المشتركة أصبحت السلطة تتعامل مع كل قواد القبائل المتحالفين معها وكأن هؤلاء أمراء يقومون بإخضاع أجزاء ومناطق لسلطتها وفي المقابل تمنحهم إمتيازات في تلك المناطق التي يخضعونها حتى أصبح وراء المصالح والنفوذ هدف كل قائد يطمح في السيادة والظهور.

لا يمكن تفسير تحول قبيلة مغراوة الزناتية من دور المعارض لسلطة الفاطميين إلى مؤيد لهم إلا بوجود مصلحة سياسية أو اقتصادية قد تجنيها من وراء هذا التأييد فقد رأى زعيمها محمد بن خزر ان الوقت قد حان لإعلان ولائه للسلطة والوقوف إلى جانب الخليفة المنصور بالله في حربه على أبا يزيد مخلد الزناتي على الرغم من ان كل من قبيلتي مغراوة وبني يفرن يجمعهم أصل واحد والذي يتفرع عن القبيلة الكبرى زناتة[3].

أما من جانب السلطة الفاطمية فقد كانت ترى ان كسب ولاء مغراوة في تلك المرحلة الحرجة التي مرت بها الدولة أثناء ثورة.[صاحب الحمار]* دعماً سياسياً وعسكرياً ولا بد من المحافظة

---

[1] . القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، دار صادر ،بيروت ،ج 5، 1915 ص 182.

[2] . نفس المصدر ، ص182.

[3] . ابن خلدون، العبر، ج 7، ص 17.

*أبويزيد مخلد بن كيداد بن سعدالله بن مغيث بن كرمان بن شانا (وشانا هوزناتة)اليفرني الزناتي النكاري (صاحب الحمار)الثائر علي الفاطميين بافريقية

عليه ودعمه ولكي تظهر عن حسن نواياها تجاه هذا التحالف نجد ان الخليفة المنصور بالله يسارع إلى اسقاط الضرائب والقبالات التي كانت مفروضة على عاتق هذه القبيلة قبل ذلك الوقت رغبة منه في تحسين أوضاعها الاجتماعية والاقتصادية[1]، ويتضح بعد هذا أن تبادل المصالح أصبح سمة بارزة في تعامل السلطة المركزية مع بعض القبائل المتحالفة معها والتي كانت إلى وقت قريب تمثل تهديد حقيقي بانسبة لها وفي ظل تنامي الخطر الزناتي تزايدت مخاوف السلطة من اهتزاز مركزها السياسي فعمدت إلى استعمال عصبيات جديدة إلى جانبها مثل قبيلة صنهاجة[2]، وبحكم التنافس التقليدي بين الصنهاجيين والزناتيين[3].

استغلت السلطة الفاطمية هذا الوضع لتقيم تحالف مع الصنهاجيين أو يمكن تفسير هذا التحالف بين طرفين بالمقولة الشهيرة (عدو العدو صديق) وبالتالي فقد رحب الخليفة المنصور بالله بقدوم زعيم قبيلة صنهاجة زيري بن مناد[4] لنصرته في حربه على أبا يزيد الزناتي ومما جاء في هذا الصدد :(وصل إليه زيري بن مناد في عساكر صنهاجة فوصله وفضله وخلع عليه ثياباً كثيرة وأفاض عليهم وعلى كافة صنهاجة الواصلين معه الأموال إفاضة استلم بها قلوبهم[5]، إذ كان تحالف صنهاجة مع الفاطميين ضد قبيلة زناتة قد سمح ببروز دور زيري بن مناد بمظهر القائد العظيم والمحنك فإن بقاء هذا الأخير على ولائه للسلطة لفترة طويلة قد أكسبه ثقة الخليفة المعز لدين الله الفاطمي بان ولاه على سائر المغرب الإسلامي وذلك قبل رحيله إلى مصر[6]، والملفت للانتباه أن الفاطميين كانوا يدركون تمام الإدراك وزن كل قبيلة من قبائل المغرب الإسلامي وتطلعاتها السياسية لذلك يلاحظ انهم في كل مرة يسعون إلى الزج بزعماء القبائل في حروب فيما بينهم حتى يتمكنوا من كسب الوقت وإعادة ترتيب البيت الداخلي حتى وإن

---

[1] . الداعي إدريس، تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب ، بيروت ج 5، 1985 ص 195.
[2] . ابن خلدون، العبر، ج 6، ص 152.
[3] . النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، ج 24، ص 159.
[4] . خير الدين الزركلي، الأعلام، ج 3، دار العلم، بيروت، ط 15، 2002م، ص 63.
[5] . ابن حماد، أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم، مطبعة جول كاربونيل ،الجزائر 1935 ،ص 29.
[6] . المقريزي، الإتعاظ، ج 1، ص 100.

اضطرهم الامر إلى تقديم تنازلات لقبيلة دون الأخرى والملاحظ أيضاً أن اسلوب الدعاية المذهبية الذي اعتمده الفاطميون لجلب الأنصار قد مكنهم إلى حد بعيد من بلوغ اهدافهم السياسية، هذا الأسلوب الذي أثبت نجاحه في إلتفاف القبائل حوله ولعل تلك الشعارات البراقة التي حاول الداعية أبو عبد الله الشيعي تمريرها بين قبائل كتامة خاصة قد لقيت تجاوبا كبيراً حتى بين المعارضين لها فتراه مثلاً يناديهم بالأخيار وأحياناً أخرى بالأخوان[1].

سار الخلفاء الفاطميون على نهج الداعية أبو عبد الله الشيعي في كسب ود كتامة والإشارة بأفضالها على الدولة في كل مناسبة تدعو إلى ذلك فمثلاً حينما تمكن الخليفة المنصور بالله من التغلب على ثورة أبا يزيد الزناتي توجه بخطاب حماسي يشير فيه بخصال كتامة قائلاً لهم: يأهل دعوتنا يا أنصار دولتنا، احمدوا الله على ما خصكم به من نعمته وجسيم منته وفضلكم به على كافة الخلق[2].

ورغم المكانة الاجتماعية التي حظيت بها كتامة لدى السلطة إلا ان هذه الأخيرة ظلت على حذر من ازدياد نفوذها ففي عهد الخليفة عبيد الله المهدي أراد أبو عبد الله الشيعي بمعية بعض رؤساء كتامة أن ينقلبوا على سلطة المهدي غير ان محاولته باءت بالفشل وسرعان ما تفطن لها المهدي فقام بتصفية كل العناصر التي حضّرت لها[3]، وقد لجأت السلطة الفاطمية إلى طريق الإغراء وبالمال لضرب منافسيها أو لإرضاء بعض من تفانوا في خدمة الدولة وفي هذا الصدد تقدم المنصور بالله الفاطمي إلى محمد بن خزر المغراوي بعرض مالي قيمته عشرين جملاً من المال نظير القبض على أبا يزيد مخلد الزناتي[4]، كما تقدم بعرض آخر لزيزي بن مناد

[1] . المقريزي، المصدر السابق، ص 57.
[2] . الجوذري، سيرة الأستاذ جوذر، تحقيق محمد عبدالهادي وكامل حسين ،دار الفكر ،القاهرة ،1954 ،ص 59.
[3] . ابن عذاري، البيان، ج 1، ص 163.
[4] . ابن خلدون، العبر، ج 7، ص 15.

مناد الصتهاجي لاستمالته لا سيما بعد ان اشتد الخناق على الجيوش الفاطمية أثناء ثورة أبا يزيد الزناتي وقد اشتمل العرض على أموال جمة وذهب وتحف[1].

لم يكن الإغراء بالمال الخيار الوحيد الذي راهنت عليه السلطة مع خصومها بل وعن طريق الإغراء بالوظائف أيضاً ومنح الإقطاعات ومثل ذلك ما قام به الخليفة القائم بأمر الله مع بعض الجماعات الزناتية التي والته وهنالك وافاه مصعب بن متّى الزناتي وجماعات كثيرة من زناتة وأمر بإنزالهم وأجرى الوظائف عليهم وأمرهم أن ينزلوا من حيث أصابوا من البلاد[2]، ومما نستخلص ان الفاطميين نجحوا إلى حد بعيد في توطيد سلطاتهم ببلاد المغرب الإسلامي عن طريق خلق تكتلات سياسية في إطار القبيلة والتي تحميها المصالح المشتركة مادية كانت او معنوية، ولذا فإن الحديث عن تحقيق عدالة اجتماعية تتساوى فيها جميع الفئات الاجتماعية والأطياف السياسية أصبحت مسألة جزئية او هي بالأحرى مصالح قبيلة على حساب أخرى تطبيقاً للنظرية السياسية المعروفة فرق تسد.

السلطة والعلماء

بظهور الدعوة الاسماعيلية في بلاد المغرب الاسلامي كان مذهب اهل السنة وبخاصة المذهب المالكي*[3] يمثل مذهب اغلبية السكان والذي يرجع الفضل الكبير في انتشاره بينهم إلى طبقة من العلماء والفقهاء من امثال أسد بن الفرات[4]، وسحنون بن سعيد وما قام به هذا الفقيه من دور سياسي واجتماعي لترسيخ مبادئ المذهب في نفوس الرعية وكان ذلك على أيام الأغالبة بالقيروان[5]، وبوفاة سحنون خلفه جيل ثاني من أهل السنة شهد سقوط الإمارة الأغلبية وقيام الخلافة الفاطمية وقد عمل هؤلاء على تسوير النخبة الاسماعيلية في البلاد لذا كان من

---

[1] . ابن حماد، أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم، ص 27.
[2] . الداعي إدريس، المصدر السابق، ص 217.
* . نسبة إلى مالك بن أنس بن أبي عامر بن عمر بن الحارث والذي ولد سنة 95هـ- 713م وكانت وفاته بين سنتي 178هـ-794م أو 179هـ-795م.
[3] . ابن النديم، الفهرست، دار المعرفة ، بيروت ،1994 ،ص 247م.
[4] . الزركلي، الأعلام، ج 1، ص 298.
[5] . ابن عذاري، البيان، ج 1، ص 109.

الطبيعي أن تتفاعل مواقف هذا الجيل والسلطة الجديدة تفاعلاً تجلت آثاره على حياة السكان[1]، وبرغم التأييد الذي حظيت به السلطة الفاطمية من بعض الفقهاء والأنصار ومن كانت لديهم مصلحة في دعمها[2] فقد ظل السواد الاعظم من اهل السنة معارضاً لسياستها المذهبية والاجتماعية سرعان ما اخذت المعارضة بعد وأشكال من المواجهة كان لها الاثر العميق في حياة المجتمع وظلت مفاهيم مثل المعارضة او المعارضين في نظر الفاطميين مرادفات ذات دلالات حقيرة إذ تردد ذلك في العديد من المناسبات وفي خطابات الخلفاء أنفسهم والتي حسبهم لا ترقى إلى المستوى الاجتماعي اللائق ومثل ذلك ما جاء في خطبة القائم بأمر الله التي نعى فيها والده عبيد الله المهدي حيث وصف من عارضه وحمل السلاح ضده بأنهم (أرجاس، وأنجاس، وأولو الذل والشقاء، خزياء ملعونين في الأرض والسماء[3])، كما وصفهم عبيد الله المهدي قبل ذلك بالسفهاء تارة وبالغوغاء تارة اخرى، وإذ كان السفيه هو من لا يحسن التصرف في أموره كلها فإن مدلول الغوغاء يقترب من معنى صغار الجراد[4].

وقد تعرضت بعض المصادر بالتلميح إلى الوضعية المزرية التي آل إليها علماء السنة في سبيل تبليغ رسالتهم التعليمية والتربوية في المجتمع بالقول (كان اهل السنة بالقيروان أيام بني عبيد الله في حالة شديدة من الاصطدام والستر كأنهم ذمة تجري عليهم في كثرة الأيام محن شديدة[5]).

الظاهر ان سياسة الترهيب والتنكيل التي مارستها السلطة على العلماء لم تمنع الفقيه السردي من مواجهة الخليفة عبيد الله المهدي وانتقاد سياسته الاجتماعية والتي حسبه عملت على تدعيم الوضع في البلاد وتحميله المسؤولية كاملة في اظهار الخمر والعمل بنظام

---

[1] . عبد العزيز المجدوب، الصراع المذهبي بأفريقيا الي قيام الدولة الزيريه ، الدار التونسية للنشر ، تونس ،1975ص 167.
[2] . مصطفى غالب، أعلام الاسماعيلية، دار اليقضة العرابية للتاليف والترجمة والنشر ،دار الثقافة ،بيروت ،1984،ص 15.
[3] . الجوذري، المصدر السابق، ص 57.
[4] . المالكي، رياض النفوس في علماء القيروان وأفريقية وتونس وزهارهم ونسائهم وسيرمن اخبارهم وفضائلهم واوصافهم، دارالغرب الاسلامي للبطاعة والنشر،بيروت ،ج 2، 1981، ص 29.
[5] . القاضي عياض، المصدر السابق، ص 29.

القبالات*[1] الذي أضر بالمستوى الاقتصادي والاجتماعي للفلاحين وملاك الأراضي والمزارعين وأيضاً وضعه للمراصد[2]، ولم يكتف هذا الفقيه بانتقاد سياسة السلطة بل قاد حملة تحريض واسعة من قبائل أهل أفريقية والقيروان على جهة الشيعة وكان ذلك سبب قتله[3]، وقد كان الفقيه ربيع القطان وهو من جملة المالكية الذين اجازوا نصرة الخوارج ضد الشيعة حيث كان يقول لأصحابه انا أول من يشرع في هذا الأمر ويخرج فيه وقد اتخذ الفقهاء من الأسواق مكانا لاستنفار العامة وحملهم على جهاد الشيعة[4]، كما انطوت تحت لواء هذه الثورة بعض الفئات الاجتماعية والتي ربما تكون قد تضررت من سياسة الحكم الفاطمي بما في ذلك فئة التجار مما اعطى للثورة بعدا اجتماعيا واقتصادياً زيادة على البعدين الديني والسياسي[5].

وإن كانت هذه الثورة في النهاية قد فشلت من الناحية العسكرية في تقويض سلطة الفاطميين إلا انها أجبرت الخليفة الثالث المنصور بالله على إعادة النظر في سياسته في البلاد ومن ذلك انه قام بإحداث إصلاحات شملت جوانب اجتماعية واقتصادية لفائدة الرعية فأسقط العمل بنظام (القبالات)* نظراً لأنه تسبب في تدهور الأحوال الاقتصادية للرعية بالإضافة إلى ذلك تقديم إعانات مالية لصالح الفقراء والمساكين في المهدية[6]، كذلك فعل مع أهالي القيروان ومن جهة أخرى فإنه عرض الأمان على من أشهروا السلاح ضده وتعهدهم بعدم التعرض لمذاهبهم[7]، وكخطوة عملية منه لإرضاء اهل السنة والمالكية عموما عمل على تعيين أحمد بن محمد بن أبي الوليد على المظالم وجعل على قضاء القيروان أبا عبد الله محمد بن أبي منظور[8]، ويبدو

---

* . القبالات جمع مفردها قابلة وهي لغة الكفالة واصطلاحا لها مدلولان الأول والثاني الإجارة.

1 . محمد مجمد مرعي، اللنظم المالية في الدولة الاسلامية علي ضوء كتاب الخراج لابي يوسف، دار الثقافة ،قطر،1987 ،ص 155.

2 . المالكي، رياض النفوس، ص 173.

3 . المالكي، المصدر السابق، ص 171.

4 . ابن عذاري، المصدر السابق، ج 1، ص 217.

5 . المالكي، رياض النفوس، ص 341.

6 . الجوذري، سيرة الأستاذ جوذر، ص 51.

7 . ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج 6، ص 171.

8 . القاضي عياض، ترتيب المدارك، ج 2، ص 339.

أن هذه الإجراءات التي اتخذها الخليفة المنصور بالله والتي شملت الاصلاحات في جميع المجالات لقيت ترحيبا واستحسانا بين علماء اهل السنة والمالكية بخاصة[1].

وقصارى القول فرغم تباين مواقف علماء اهل السنة والمالكية من السلطة الفاطمية إلا أنهم كانوا لسان حال الرعية في كثير من القضايا التي تعلقت بأوضاعهم الاجتماعية أو السياسية أو الاقتصادية كما أنهم حملوا لواء الدفاع عن المذهب السني ضد محاولات التشويه التي سعى إليها الفاطميون الشيعة.

السلطة والعبيد

لم يحظ العبيد في أي دولة من الدول بمثل ما حظيوا به في ظل حكم الفاطميين ببلاد المغرب الإسلامي فبحسب إشارات كثير من المصادر نلاحظ لموضوع توزيع أدوار هذه الفئة داخل الدولة على نحو يوحي بأنها أصبحت طبقة اجتماعية لا يستهان بها حيث تمكن بعض أفرادها من اقتحام مناصب عليا في السلطة سواء في الإدارة او الجيش، كما احتلوا مراتب حيوية نافسوا فيها عناصر كتامية كان لها فضل كبير في تأسيس الدولة لذا كان من الأحرى معرفة العلاقة الموجودة بين السلطة وهذه الفئة ومدى تدخل هذه الأخيرة في إحداث نوع من الصراع الطبقي داخل المجتمع ولقد تم استقدام عناصر من العبيد السود والروم من قبل الفاطميين لاستخدامهم في القصور أو كحراس لمرافقة مواكب الخلفاء والأمراء في تنقلاتهم وخروجاتهم الميدانية فقد اتخذ الخليفة عبيد الله المهدي لحراسته إثنا عشر ألف مملوك ما بين رومي وحبشي[2].

لقد بدأ اعتماد السلطة الفاطمية منذ وقت مبكر على عنصر العبيد لتسيير شؤون الدولة العامة ومختلف المرافق الأخرى حيث أسندت لهم وظائف هامة مكنتهم بمرور الزمن من الإرتقاء التدريجي في السلم الاجتماعي وبالتالي أصبح تأثير هؤلاء واضحاً في تحريك عجلة

[1] . المالكي، رياض النفوس، ص 360..
[2] . احمد بن أبي الضياف، اتحاف أهل الزمان في أخبار ملوك تونس وعهد المان، ج 1، ص 156.

الحكم[1]، بالاستناد إلى ما أوردته بعض المصادر الاسماعيلية نجد ان شخصية مثل (جوذر) كان دورها من الأهمية بمكان تمثل السلطة السياسية الثالثة بعد سلطة الخليفة وولي عهده وهذا معناه ان جوذر قد بلغ أرقى مرتبة في السلطة وهي نفس المنزلة التي تكون للوزراء حتى لقب بـ(مولى أمير المؤمنين) وكان ذلك على عهد الخليفة المنصور بالله فكانت التوقيعات والمكاتبات التي يرسلها الخليفة إلى الأطراف والأقاليم لا بد وأن تمر عن طريق جوذر وتحت إشرافه[2]، ويذكر الجوذري بهذا الصدد فاجعل مكاتبتك لمن كبر قدره أو صغر من جميع الناس من جوذر مولى امير المؤمنين إلى فلان بن قلان ولا تكلني أحد ولا تقدم على اسمك اسماً إلا اسم مولاك أبي تميم وإن هذه المكانة التي بلغها جوذر الصقلي[3]*، وإنفراده بها أشبه ما تكون بمنزلة امير السر او المستشار لدى رؤساء الدول في الأنظمة السياسية الحديثة وألف العبيد على اختلاف اجناسهم وأصولهم روم سودان وصقالبة أبرز العناصر ضمن الجيش الفاطمي وذلك منذ الإعلان عن قيام الخلافة برقادة(296هـ/909م) إلى المرحلة التي انتقل فيها الفاطميون من أرض المغرب الإسلامي متوجهين إلى مصر من سنة (361هـ/971م)[4]، وقد امتاز العبيد داخل الجيش الفاطمي بصبرهم الشديد على تحمل القتال والثبات فيه وبأسلوب يختلف عن أهل المغرب الإسلامي عموماً وبفضل هذه الخاصية العسكرية كانوا محل رضا الخلفاء ومن ثم اعتمدوا عليهم في احلك الظروف التي واجهوها في الداخل والخارج[5]، ورغم أن الفاطميين لم يكونوا أصحاب السبق في الاعتماد على أفراد العبيد في الجيش إذ جرت عادة اتخاذ العبيد في الخدمة معمول بها عند اغلب الدويلات الإسلامية قبلهم على غرار بني مدار والرستميين

[1] أحمد بن ابي الضياف ، المصدرالسابق ، ص 156.
[2] . الجوذري، المصدر السابق، ص 52.
[3] . ابن حرداذبه، المسالك والممالك، ص 14.
* . نسبه يرجع إلى الصقالبة وهم شعوب منحدرة من أصول شتى والتي كانت تنزل الأراضي المجاورة للبلاد بين القسطنطينية وأرض البلقان.
[4] . المقريزي، الاتعاظ، ج 1، ص 100.
[5] . احمد امين، ظهر الإسلام، دار الكتاب العربي اللبناني ،بيروت ،1975،ج 1، ص 130.

والأغالبة غير ان العبيد في دولة الفاطميين تمكنوا من بلوغ مناصب خطيرة في الدولة ففي كل المجالات السياسية منها والإدارية أو العسكرية[1].

وبناء على ما تقدم نجد ان العبيد وجدوا المجال امامهم مفتوح للتغلغل داخل السلطة والتنافس على مناصبها اما عصبيات كتامة وصنهاجة ولعل الحروب التي خاضها الفاطميون ضد خصومهم خاصة في المغرب الإسلامي ومصر او ضد الروم قد تركت انطباعا حسنا لديهم في بالوثوق أكثر في قدرات العبيد هذا من جهة ومن جهة اخرى سعوا إلى استغلال ولائهم ليكونوا سلاح لمواجهة التحديات التي تحول دون تثبيت سلطانهم أو تنفيذ سياستهم[2].

نجد ان القائم بأمر الله لم يعد متحمسا لفكرة الاعتماد على رجالات كتامة حلفاء الدولة التقليديين خاصة بعد إدراكه ان بعض رؤسائهم البارزين قد دبروا للإطاحة بعرش والده عبيد الله المهدي وهو ما جعله يتحول عنهم إلى العبيد فهم أبعد ما يكون عن روح العصبية ولا يخشى جانبهم ولقد ادى الطموح المتزايد لبعض الصقالبة مثل (قيصر ومظفر) إلى استغلال هذه الأوضاع المضطربة لينفردوا بالحكم والنفوذ في المناطق التي أسندت إليهم حتى كادوا ينقلبون على دولة المنصور بالله ولكن سرعان ما فطن المعز بخطرهما فقبض عليهما وقتلهما سنة (349هـ/960م)[3].

استمر نفوذ العبيد يمتد في الدولة وبخاصة الصقالبة منهم ونجد ان أغلب الولايات الهامة على عهد الخليفة المعز لدين الله كانت تحت إدارتهم المباشرة مثل (باغاية، سرت، برقة بما في ذلك ولاية المغرب)[4]، ولم يقتصر نفوذ الصقالبة على إدارة الولايات وقيادة الجيوش فحسب بل إرتقى البعض منهم إلى تولي منصب (الكتابة) علماً ان هذه الوظيفة كان لا يتولاها إلا من توفرت فيه شروط معينة مثل ان يكون صاحبها من أرفع طبقات المجتمع ومن أهل المروءة

[1] . الحبيب الجنحاني، المرجع السابق، ، ص 30.
[2] . عبد الوهاب بني منصور، قبائل المغرب، ج 1، ص 319.
[3] . المقريزي، المصدر السابق، ص 101.
[4] . ابن أبي دينار، المؤنس في أخبار أفريقية وتونس، تحقيق محمد الشمام ،المكتبة العتيقة ،تونس ،1967 ،ص 61.

وبالإضافة إلى ذلك أن يكون على قدر كاف من العلم والبلاغة وما تدعو إليه عشرة الملوك من القيام والآداب والتخلق بالفضائل وتطبيق مقاصد الكلام من البلاغة وأسرارها[1] ونظراً لخطورة هذا المنصب أي منصب الكتابة بالنسبة لجهاز الحكم فقد سن الفاطميون بشأنه قوانين صارمة يمنع بموجبها على الكاتب مخالطة العامة في الأسواق أو الأماكن العامة وأن كل من يخالف هذا المبدأ تسقط عليه إجراءات عقابية قاسية بما في ذلك الضرب المبرح[2].

اللافت للانتباه ان منصب الكتابة على خطورته ظل حكراً على العناصر الصقلبية ولم تشر المصادر على تنوعها أنه تولى هذا المنصب كتامي أو صنهاجي رغم انهم كانوا عصب الدولة ورجالها ونستنتج ان الخلفاء كانوا أحرص على إبعادهم من الإطلاع على أسرار الدولة او ربما قلة كفاءتهم في هذا المجال[3]، ربما انتقل مذهب الكتابة من الأب إلى الابن بعد الوفاة وقد تكرر هذا التقليد في دولة الفاطميين بشكل واضح ومثال ذلك أن نظيف الكاتب بعد وفاته انتقل منصبه إلى ولده على الرغم من حداثة سنه وكان ذلك في أيام الخليفة المعز لدين الله[4]، نجد ان الفاطميين قد قصدوا من ذلك تنشئة صغار العبيد على الولاء للدولة ومن ثم الحفاظ على روح المؤسسة وبقائها لأن من شأن الولد حرصه على تشريف سمعة أبيه من خلال حسن تسيير المؤسسة التي تحت يده ويبدو ان هذا النمط الإداري في التعيين له حسناته من حيث تسيير المؤسسات في تلك الفترة وقد أفادت خبرة جوهر[5] ككاتب لدى الخلفاء الفاطميين بأن يرتقي في السلم الإداري إلى منصب وزير[6] في بلاط المعز لدين الله الفاطمي وتحت قيادته كل العناصر الكتامية والصنهاجية وتأتمر بأمره وتنتهي بنهيه وقد بلغ جوهر مكانة عند المعز ويقول المعز : وقد قدمت عليكم من قد علمتموه، يعني جوهر وأقمته فيكم مقام نفسي وجعلته منكم كأذني

---

[1] . ابن خلدون، المقدمة، ص 789.
[2] . الجوذري، المصدر السابق، ص 69.
[3] . نفس المصدر، ص 119.
[5] . الزركلي، الأعلام، ج 2، ص 146.
[6] . ابن أبي دينار، المؤنس، ص 61.

وعيني ومنذ ذلك الحين أصبح جوهر بمثابة المفوض الوحيد للخليفة المعز وهو تشريف لم يحظ به من كان قبله أو من جاء بعده[1]، غير أن جوذر يظل اعظم شخصية بين العبيد حظيت بأداء وظائف عليا في عهد الفاطميين فمن مجرد خادم يعمل في قصر المهدي إلى مشرف على بيت المال وخزائن الكساء وسفيراً للقائم بأمر الله يتوسط بينه وبين أوليائه وسائر عبيده ليرتقي بعد ذلك على عهد الخليفة المنصور بالله إلى منصب المشرف العام على الملك وسائر البلاد مع احتفاظه دوماً بمنصبه السابق[2].

وقد بلغ تفاني جوذر في خدمة سلطان الخلفاء مبلغاً جعله ينال ودهم واحترامهم ويحظى بينهم بسمعة طيبة مكنته من استخدام نفوذه الواسع لرعاية مصالح بني جنسه من الصقالبة فكان لسان حالهم والمكافح عن حقوقهم في العديد من المناسبات بدليل توسطه لدى المعز لدين الله في توظيف أحد أبناء الكتاب الصقالبة ممن تقدمت خدمتهم في الدولة حيث قبل المعز وساطته في رقعة مكتوبة أمضاها الأخير بخط يده[3]، وإن كان الصقالبة قد تمتعوا بكل المؤهلات التي مكنتهم من إعتلاء أرقى المناصب والرتب في السلطة والمجتمع فإن الامر لا يبدو كذلك بالنسبة للعبيد السود الذين ظلوا على خدمتهم كجنود في الجيش الفاطمي أو كخدم لا تتعدى وظائفهم عن الخدمة في القصور وربما كان السبب في ذلك أنهم لم ينالوا حظهم الكافي من التربية والتعليم مثلما هو شأن نظرائهم الصقالبة[4].

اما العبيد الروم فنجد ان المصادر لم تذكر منهم من تولوا وظائف سامية في الدولة على الرغم من كثرة السبي الذي كانت تعود به الجيوش الفاطمية من بلاد الروم[5]، لقد تمتع العبيد عموما والصقالبة تحديداً بكل حقوق المواطنة في المجتمع فزيادة على الوظائف التي شغلوها

---

[1] . الجوذري، المصدر السابق، ص 35.
[2] . نفس المصدر ، ، ص 44.
[3] . ، نفسه ، ص 97.
[4] . ابن أبي الضياف، الاتحاف، ص 156.
[5] . الداعي إدريس، المصدر السابق، ص 50.

فقد كان لهم نصيب أوفر من الامتيازات على الأراضي والإقطاعات تماماً كما كان للكتاميين والصنهاجيين أو ربما يزيدون عنهم سواء استعملوا هذه الأراضي كمساكن لهم او لعائلاتهم أو الاستفادة منها كمستثمرات خاصة[1]، وقد وردت مسألة فقهية بالغة في الأهمية تتعلق بميراث العبيد فقد ورد الفصل فيها من قبل المعز لدين الله تقتضي بجواز توريث العبيد شرط بقاءهم عن الولاء لهم[2]، ويستنتج الباحث من خلال هذا الحكم القضائي أن أحوال العبيد الشخصية تجري مجرى الأحرار والغرض منها إعطاء هؤلاء مزيد من الحقوق الاجتماعية التي تحفظ كرامتهم وتسمح لهم بالاندماج التدريجي في المجتمع شأنهم في ذلك كباقي الطبقات الاجتماعية الأخرى.

وخلاصة ما سبق يظهر جلياً أهمية الدور الذي لعبه العبيد في كل مرحلة من مراحل الدولة الفاطمية وأن ما بلغوه من نفوذ وسلطة يعكس وبما لا يدع مجالاً للشك طموحاتهم السياسية لكن يبدو أن هذه الطموحات لم تكن ترتقي إلى مستوى خلق كتلة سياسية تهدد السلطة بل على العكس فقد رأى الفاطميون فيهم مصلحة مرحلية أما تزايد نفوذ كتامة وصنهاجة لإحداث توازن سياسي وطبقي هذا من جهة ومن جهة أخرى لسد الضربات الموجهة التي تلقوها من طرف زناتة وبعض القبائل المناوئة لهم.

[1] . الجوذري، المصدر السابق، ص 126.
[2] . القاضي النعمان، المصدر السابق، ص 394.

المبحث الثاني

طبقات المجتمع في عهد الفاطميين

لقد عرف مجتمع المغرب الاسلامي على عهد الفاطميين مثل غيره من المجتمعات الأخرى تباينا بين طبقاته الاجتماعية انطلاقا من الحاكم ووصولا إلى الرعية ومروراً بسائر فئاته وبناء على ما تقدم نستهل حديثنا هذا بالطبقة الحاكمة على اعتبار انها تصدرت قمة الهرم الاجتماعي:

1. طبقة الخلفاء ورجال الدولة:

بالرغم من قصر المدة التي قضاها الخلفاء الفاطميون في بلاد المغرب الإسلامي وهي المرحلة التي امتدت من سقوط عاصمة الإمارة الأغلبية سنة(297هـ/909م)حتى خروج المعز لدين الله رابع الخلفاء الفاطميين من أفريقيا متوجها إلى مصر سنة(362هـ/972م)[1] إلا أنهم أظهروا تمسكاً بمباهج الحياة ورغدها فأقاموا القصور والفنادق والحمامات والمنتزهات وما إلى ذلك وبسطوا هالة من القداسة على أنفسهم وأنفقوا بسخاء على بناء حاضرتهم وكل ذلك دليل على عظمتهم ومظهر من مظاهر ثروتهم[2].

ورد في بعض المصادر ما يدل على المغالاة في وصف شخص الخليفة المهدي حتى شبهته بالشمس المنيرة وقد جلس في مجلسه وأحاط نفسه بالحرس والخدم حوله رجال دولته على مراتبهم من دعاة وقضاة وقواد وعلماء وكان الخليفة إذا استوى في مجلسه او كان في خلوته جعل حاجبا على أبواب مقصورته لمنع دخول أيا كان إلا بأمر منه[3]، ومن مظاهر الأبهة والعظمة من مجالس الشعر والأدب التي كانت تعقد في قصور الخلفاء لمدحهم وتعظيم

---

[1] . أبو الفداء، المختصر في أخبار البشر، ج 2، ص 63.
[2] . ابن عذاري، البيان، ج 1، ص 150.
[3] . الداعي إدريس، تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب، ج 5، ص 162.

سلطانهم فقد أغدق الفاطميون على الشعراء والأدباء بسخاء مما جعل هؤلاء يثرون من التردد عليهم ومدحهم للكسب أملا في الحصول على الأرزاق والهبات والهدايا[1].

كما جعل الفاطميون الأطباء مداومين على الخدمة في القصور لتطبيب الخلفاء ومن اعتل من اهل الحكم وكان اكثر الأطباء الذين لازموا الخلفاء الفاطميين من اليهود نجد من بينهم اسحق بن سليمان المعروف بالاسرائيلي والذي كان قد خدم المهدي ولازم المنصور بالله طيلة حكمه[2]، ومنهم أيضاً الطبيب أحمد بن الجزار وهو الذي تولى تطبيب المنصور بالله بعد تطبيب اسحق وقام برعايته أثناء مرضه إلى أن حضرته الوفاة وكان ذلك في سنة(341هـ/952م)[3]، وقد تشبه الدعاة والقضاة بخلفائهم في مجال الصحة فاستقدموا الأطباء وأدنوا منزلتهم فقد خصص الداعية أبو عبيد الله الشيعي جناحا خاصا في قصره برقادة فكان الطبيب بن الجزار يتردد عليه لمعالجته من مرض حصى الكلى[4]، وقد اتخذ الخلفاء الفاطميون السرير*[5] لجلوسهم وتناقلوا في صنعه للدلالة على عظمة سلطانهم وهيبتهم في نفوس الخاصة والعامة وكان أول من اتخذه منهم الخليفة عبيد الله المهدي[6]، كما اختص الفاطميون باستعمال المظلة وهي عبارة عن قبة على هيئة خيمة قائمة على رأس عمود لها مكانة جليلة لعلوها على رأس الخليفة وفي أثناء سير موكب الخليفة يبقى حامل المظلة على يساره مجتهدا لا يزاول ظله عن الخليفة وربما يستخدم الخليفة المظلة أثناء الحروب[7].

---

[1] . القاضي النعمان، الافتتاح، ص 239.
[2] . ابن أبي دينار، المؤنس في اخبار أفريقيا وتونس، ص 60.
[3] . المقريزي، الاتعاظ، ج 1، ص 90.
[4] . أبي إصيبع، عيون الأنباء، ج 3، ص 29.
* . عرفه ابن خلدون بقوله واما السرير والمنبر والنعت والكرسي فهي اعواد منصوبة أو أرائل منضدة لجلوس السلطان ولم يزل ذلك من سنن الملوك قبل الاسلام والعجم.
[5] . ابن خلدون، المقدمة، ج 2، ص 808.
[6] . اليماني، سيرة الحاج أبي جعفر، نشر وايفا نوف ،الجامعة المصرية القاهرة ،ج 1 ، 1936 ،ص 119.
[7] . الداعي إدريس، المصدر السابق، ص 173.

سعى الفاطميون إلى التميز بمظهرهم فاعتنوا بملابسهم وبذلوا فيها بسخاء ولذلك انشأوا دارا للكسوة[1] بالمهدية كان يفصل فيها جميع أنواع الثياب من أكسية الشتاء والصيف حيث كانت في أغلبها موشاة بالذهب أو الفضة او الديباج[2]، وبالغ الخلفاء الفاطميون في أظهار التانق في لباسهم حتى كان لكل يوم عندهم لون ولكل مناسبة بدلة أو اكثر ويبدو انهم كانوا يراعون في ألبستهم تجانس الألوان وتناسقها فقد كان لباس عبيد الله المهدي عشية مبايعته للخلافة في رقادة يشمل على ثياب من خذ وعمامة[3].

من مظاهر ترف الفاطميين واسرافهم أيضا هي قيمة الهدايا التي كانوا يفرقونها على أعيان الدولة وكبار موظفيها، ونجد ان المنصور بالله حينما ضرب السكة بمدينة المنصورية بعث منها ألف دينار إلى جوهر الصقلي[4]، كما تقدم بهدايا لا تقل قيمة عن الأولى إلى زعيم صنهاجة وقائد أجناده زيري بن مناد كان من جملتها خيول مسرجة ولجام محلاة بالذهب والفضة[5]، وتباهى الفاطميون في مجال الحضارة والعمران فشيدوا لأنفسهم القصور الفاخرة والفنادق الرفيعة والحمامات وكثير من المنشآت، ليس هذا فحسب بل عمدوا إلى طمس كل ما كان يرمز إلى حضارة من سبقوهم، وفي هذا الميدان تتجلى هذه الخطوة الخطيرة من خلال الأمر الذي أمر به الخليفة عبيد الله المهدي والقاضي بمحو أسماء الذين بنوا المساجد والقصور والقناطر برقادة وكتابة اسمه عليها[6].

كان من أشهر القصور التي أنشأها الخلفاء الفاطميون وتفننوا في تشييدها قصر المنارة الذي بناه الخليفة عبيد الله المهدي له ولولي عهده القائم بأمر الله بالمهدية في مقابل البحر[7]، كما يعود قصر الإيوان وقصر الخورنق اللذان أنشأهما المعز لدين الله بمدينة المنصورية وما

[1] . ابن خلدون، المقدمة، ص 816.
[2] . الجوذري، سيرة الأستاذ جوذر، ص 39.
[3] . ابن عذاري، البيان المغرب، ج 1، ص 158.
[4] . الجوذري، المصدر السابق، ص 60.
[5] . ابن حماد، اخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم، ص 29.
[6] . ابن عذاري، المصدر السابق، ص 159
[7] . الإدريسي، المغرب العربي من نزهة المشتاق، ص 143.

تخللهما من حجرات وقاعات للجلوس من أبرز بنيان الفاطميين في مجال العمارة ولا شك انها صورة صادقة لما كان يحياه الخلفاء وأهل تلك القصور من ترف اجتماعي[1].

نستنتج من ذلك أن هذه الصورة الحقيقية عن حياة أهل الحكم الذين جمعوا اموال البلاد فأنفقوها على بناء القصور الفاخرة وإعداد لجام الدواب من الذهب الخالص على حساب معاناة الرعية لتبقى بذلك الفوارق الاجتماعية بارزة بين الحاكم والمحكوم وبين الغني والفقير.

2. طبقة الجند:

حرص الفاطميون منذ وقت مبكر على تكوين جيش قوي يكون قادرا على حماية كيانهم السياسي والدفاع عن مصالحهم في الداخل والخارج وهو أسلوب تنتهجه كل دولة تسعى إلى السيطرة والنفوذ بغض النظر عن وسائلها واهدافها ولا شك أن نواة الجيش الفاطمي بدأت تتشكل مع أفراد من قبيلة كتامة من الذين آمنوا بدعوة أبو عبد الله الشيعي فكانوا من بمثابة العصبة حوله تحميه وتدافع عنه ضد خصومه[2]، ومع مرور الزمن تضاعف عددهم وأصبحوا معه في حاجة إلى نظام خاص فتم تقسيم جديد من كتامة قسم كتامة أسباعا وجعل على كل سبع منها عسكر وقدم عليه مقدما وأطلق لكل موضع داعية وسمى المتقدمين والدعاة المشايخ[3]، وفي سنة(296هـ/908م) يقدر عدد الجيش بمائتي ألف جندي بين راجل وفارس ليرتقي هذا العدد عند دخوله إلى رقادة إلى نحو ثلاثمائة ألف جندي[4].

بمجرد إعتلاء عبيد الله المهدي الخلافة برقادة أمسك بزمام أمور دولته واستبد بها مما كان لذلك أثره داخل عناصر بناء الدولة من الكتاميين فاتسعت الخلافات بين المهدي وهؤلاء القادة الذين أظهروا نية في قلب هذا النظام الجديد[5]، ولأن هذه العناصر الكتامية كان لها ثقل عسكري

---

[1] . ابن حماد، المصدر السابق، ص 24.
[2] . القاضي النعمان، الافتتاح، ص 100.
[3] . القاضي النعمان، المصدر السابق، ص 125.
[4] ، نفس المصدر، ص 118.
[5] . ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج 6، ص 135.

عسكري داخل الجيش الفاطمي فقد سارع عبيد الله المهدي إلى تشكيل الجيش من جديد سنة(300هـ/912م) وفي هذه المرحلة ابتدأ نشاط الجيش يتضاعف براً وبحراً وفي الداخل والخارج[1]، ونظراً لاتساع طبقة الجند وما يمكن أن تتطلبه من نفقات وأعباء فقد أنشأ المهدي ديواناً خاصاً يالجيش مهمته إدارة شؤون هذه المؤسسة الحيوية اطلق عليها اسم ديوان العطاء[2].

أما عن شروط الالتحاق في صفوف الجيش الفاطمي أو نظام الإرتقاء في مراتبه فإن الأمر يتوقف على مدى تفاني الجندي في الخدمة فإن ذلك من شأنه أن يرفع من رتبته في الجندية من مجرد جندي بسيط إلى قائد عام على الجيش[3].

أ. عناصر الجيش

تألف الجيش الفاطمي من عناصر مختلفة وكان اعتماد السلطة الفاطمية على كل عنصر منها بحسب كل مرحلة من مراحل الخلافة بالموازاة مع الأهداف التي خططها خلفاء المرحلة المغربية نجد في مقدمة هذه العناصر:

1. **العناصر الكتامية** وقد كانوا نواة الجيش الفاطمي وعصبته ممن ناصروا الدعوة الإسماعيلية ودافعوا عن مبادئها وبما عرفوا به من قوة وشدة بأس من قبل ظهور الدعوة او بعدها، ونسبتهم إلى قبيلة كتامة وإنها من أشد القبائل البربر بالمغرب[4]، ولعل هذه الخصائص جعلت خلفاء الفاطميين يسعون منذ البداية إلى استمالة عناصرها واستغلال إمكاناتهم القتالية[5] ضد خصومهم سواء في الداخل أو الخارج حتى اصبح لهذه القبيلة الدور المتقدم في إبراز تاريخ الفاطميين بالمغرب الاسلامي بخاصة في المجال العسكري[6].

---

[1] . الداعي إدريس، تاريخ الخلفاء الفاطميين، ج 5، ص 60.
[2] . القاضي النعمان، المصدر السابق، ص 304.
[3] . الداعي إدريس، المصدر السابق، ج 5، ص 85.
[4] . ابن خلدون، العبر، ج 7، ص 7.
[5] . حسن إبراهيم حسن، تاريخ الدولة الفاطمية في المغرب ومصر وسورية وبلاد العرب ،مكتبة النهضة المصرية ،القاهرة ،1964، ص 44.
[6] . المقريزي، الاتعاظ، ج 1، ص 62.

أشاد الخليفة المنصور بالله بدور قبيلة كتامة وتضحيات عناصرها لا سيما بعد انتصاره على صاحب الحمار حينما خاطبها بقوله (يأهل دعوتنا يا انصار دولتنا يا كتامة، اللهم إني أصبحت راضياً عن كتامة لاعتصامهم بحبلك وصبرهم على البأساء والضراء[1].

يبدو ان دور العناصر الكتامية في التراجع لا سيما على عهد المعز لدين الله الفاطمي إذ نجد ان المعز بدأ يهاجمهم ويصفهم بأبشع النعوت وذلك من خلال جواب الخليفة على خطاب وجهه إليه جوذر الصقلي في نزاع بين رجل كتامي وبين وكيل جوذر حول قبعة ادعى الكتامي من تملكها فأستأذنه جوذر في دفع ما ادعاه الكتامي فأجابه المعز بقوله: (فلأن يكون العدل منك فيهم أولى أن يكون من هؤلاء السفلة)[2]، ويرى الباحث أن هذا التصريح من المعز يدل على ان الكتاميين فقدوا تلك المكانة التي طالما تمتعوا بها في السابق وأن المعز وضع نصب عينيه الاستفادة من أي عنصر آخر تتوفر فيه الكفاءة والاخلاص في الدولة.

2. **العناصر الصنهاجية** لقد اشتهر العنصر الصنهاجي ضمن طوائف الجند الفاطمي ويبدو ان الفضل في توطيد رابطة قبيلة صنهاجة بالفاطميين يرجع إلى زعيمها زيري بن مناد أو مواقفه العسكرية إلى جانب الخلافة الفاطمية في حربها ضد حركة أبي يزيد الخارجية فيتضح ان المصلحة المشتركة بين الطرفين كانت الدافع في إحداث هذا التقارب وانضم الصنهاجيين تحت لواء الفاطميين كي يسيطروا بهم على قبيلة زناتة عدوهم التقليدي[3]، وقد ظهر هذا التضامن والمؤازرة حينما قدم زيري بن مناد عونا مادياً وعسكرياً للمنصور[4]، مما دفع هذا الأخير إلى الخلع عليه كما عقد له على قومه ومن اتصل بهم من البربر وكان

[1] . الجوذري، سيرة الأستاذ جوذر، ص 59.
[2] . الجوذري، المصدر السابق، ص 122.
[3] . ابن خلدون، العبر، ج 6، ص 153.
[4] النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، ج 24، ص 159.

ذلك في سنة(335هـ/946م)[1]، وزاد من شأن هذه القبيلة على أيام المعز لدين الله أن ساهمت مساهمة فعالة عند خروجه إلى المغرب وقد لمع نجم زعيمها زيري بن مناد حينما دخل مع جوهر الصقلي أرض المغرب من سنة(347هـ/958م) وقد أبلى البلاء الحسن في القضاء على الثائرين به[2].

3. **العناصر الصقلبية** شارك الصقالبة بدورهم في الجيش الفاطمي كجند مرتزقة وكان لهم فيه حضور واسع وفعال وبخاصة بعد قيام عبيد الله بترتيب أفرادهم في الديوان الذي أنشأه لهذا الغرض وقد استفاد الفاطميون أيما إفادة من خدمات هذه العناصر في المجال العسكري حيث برز منهم قواد عسكريون أكفاء قادوا جيوش الفاطميين للانتصار في كثير من المواجهات التي خاضوها ضد خصومهم سواء في البر أو البحر وهو الأمر الذي جعل اعتماد السلطة الفاطميةعلى هذه العناصر الصقلبية لا سيما في الحملات العسكرية الحاسمة فقد استطاع بشرى الصقلبي أن يقود باقتدار الجيش الذي أنقذ عبيد الله المهدي وابنه القائم من أسرهما في سلجماسة[3]، كما تمكن صابر الخادم من الحاق هزيمة نكراء بجيش الروم في البحر سنة(316هـ/928م) وأن يعود إلى المهدية محملاً بأموال وغنائم كثيرة[4].

إذا كانت العناصر الصقلبية قد بلغت مراتب سامية في جيش الفاطميين فقد استغل بعض القواد منهم من الطامحين إلى النفوذ والسلطة مناصبهم العسكرية لإشباع حاجاتهم المادية والانفراد بامناصب التي وقعت تحت أيديهم[5].

---

[1] . الداعي إدريس، المصدر السابق، ص 221.
[2] . ابن الأثير، الكامل، ج 6، ص 354.
[3] . اليماني، سيرة الحاجب جعفر، ص 128.
[4] . ابن عذاري، البيان، ج 1، ص 193.
[5] . القاضي النعمان، المجالس والمسايرات، ص 435.

4. **العناصر الرومانية** لقد أدت العناصر الرومانية هي الأخرى أدوار هامة في الجيش وتميز أفرادها دون غيرهم من الجند بحذقهم بصناعة كل انواع الأسلحة وما يحتاج إليه الجيش لأداء مهامه[1] ولعل ما بلغه جوهر الرومي الصقلي[2] من مكانة يعد صورة صادقة لما يمكن أن تصل إليه عناصر من هذه الفرقة من سلطة ولا غرو في ذلك فقد كشف جوهر عن مقدرات عسكرية تمكن من توطيد من الأمن في جميع أرجاء المغرب في أقل من سنة وإتمام الفتوحات التي استهلها أبو عبد الله في سنة(291هـ/904م) حيث أخضع لسلطان المعز اهالي هذه البلاد حتى دانوا له بالطاعة والولاء[3] فلا عجب إذ ان عظم شأن جوهر الرومي عند المعز لدين الله فاختاره دون سواه لقيادة الحملة العسكرية التي أرسلها لفتح مصر ولقبه بالقائد[4].

5. **العناصر السودانية** يبدو ان تأثير العناصر السودانية في جيش الفاطميين كان ضئيلاً إذا ما قورن بالعناصر الأخرى وربما انتظموا في فرق داخل الجيش تعمل في ظروف استثائية ويتضح هذا الدور بخاصة في شخصية صندل الفتي الذي كان يعمل جاسوساً حربياً لدى عبيد الله المهدي قبل ارتقائه إلى رتبة قائد في الجيش فيما بعد حيث كانت مهمته تتركز على نقل الأخبار بين عبيد الله المهدي وولي عهده في سرية تامة[5] أو ربما أوكلت لهذه العناصر السودانية مهام أخرى مثل قيامهم على تعذيب المخالفين للسلطة الفاطمية ولكن دور هذه العناصر السودانية بدأ يتضح أكثر على أيام المعز لدين الله حيث كانت ضمن فرق الجيش الذي سيره لفتح مصر سنة(362هـ/973م)[6].

---

[1] . الزراكلي، الأعلام، ج 2، ص 146.
[2] . ياقوت الحموي، معجم البلدان، دار الكتاب العلمية ،بيروت ،ج 3، 1990 ،ص 416.
[3] . الذهبي، العبر في خبر من غيره، ج 3، ص 16.
[4] . علي إبراهيم حسن، تاريخ جوهر الصقلي، ص 16.
[5] . اليماني، المصدر السابق، ص 122.
[6] . موريس لومبار، الإسلام في مجده الأول، ترجمة اسماعيل العربي ،المؤسسة الوطنية للكتاب ،الجزائر ،1979 ،ص 92.

خلاصة القول أن كل هذه العناصر شكلت الدعامة الأساسية التي تألف منها الجيش الفاطمي مع الأخذ في الاعتبار إلتحاق بعض العناصر الإضافية به بصفتهم مرتزقة أو بعض العناصر الزناتية التي انخرطت فيه لظروف أمنية بحتة[1]، ومهما يكن من أمر فإن الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية المزرية كانت دافعا مباشراً أو غير مباشر لهؤلاء الجند للالتحاق بصفوف الجيش الفاطمي أملاً في تحسين أحوالهم المعيشية[2].

ب. امتيازات الجند الفاطمي:

لقد وظف الفاطميون كل الاغراءات المادية والمعنوية كي يحافظوا على عاطفة الجيش الذي هو أداتهم لتحقيق أهدافهم السياسية البعيدة لذا عملوا بكل الطرق والوسائل على استمالتهم والتي نذكر منها دفع رواتب مغرية للجند ورغم غياب نصوص دقيقة تشير إلى قيمة الراتب الذي كان يتقاضاه الجندي الفاطمي غير أن بعض الضرائب توحي بأنه كان راتباً مغرياً لا سيما وان الدولة توفرت لديها الأموال الطائلة التي كانت تصلها إما عن طريق السلب والنهب لأموال السائرين أو بواسطة الضرائب المتنوعة ولا شك ان المبلغ المالي العام الذي خصصه المعز لدين الله للنفقة على الجند الكثيف الذي سيره في حملة مصر يعكس حرص الدولة على تحصيل رواتب جندها في الآجال المحددة حيث قدرت قيمة هذا المال مائة ألف دينار واثنين وعشرين ألف درهم[3]، ومن الوسائل التي اتبعوها تمكينهم من الحصول على اقطاعات حيث حرص الخلفاء الفاطميون على ان تكون هذه الأراضي المقطعة قريبة من قصورهم وبها كل المرافق الضرورية التي يمكن أن تلبي احتياجات الجند مثل توفر الأسواق والفنادق والحمامات وذلك حتى تتفادى الدولة حدوث اصطدامات بين الجند والرعية وكان هذا التخطيط العمراني نجده بارز في أغلب المدن التي أنشأها الفاطميون في بلاد المغرب الإسلامي[4]، لكن هذا العزل

[1] . ابن حماد، أخبار ملوك بني عبيد، ص 30.
[2] . المقريزي، الإتعاظ، ج 1، ص 93.
[3] . الجوذري، سيرة الأستاذ جوذر، ص 92.
[4] . ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج 3، ص 160.

العزل العمراني لم يمنع الجند من ارتكاب تجاوزات خطيرة في حق الرعية فامتدت أيديهم بالنهب لأموالها ومواشيها وقد أظهر الخليفة القائم بأمر الله عجزه التام عن وقف اعتداءات الجند المتكررة[1]، ومن الوسائل التي اتبعها الفاطميون مع الجند إغراءهم بالمناصب ولقد مر معنا كيف كانت مكافأة الخليفة المنصور بالله لزيري بن مناد الصنهاجي الذي سانده في حربه على أبا يزيد الزناتي بأن عقد له ولقومه على مدينتي أشير وتهرت وأعمالهما[2]، وأصبح زيري بهذا التقليد أشبه بالأمير في إمارته فتحت يده تقع كافة الصلاحيات بل وعاشت العناصر الصنهاجية في ظل حكمه كمجموعة اجتماعية وكأنها طبقة ارستقراطية محظوظة لا سيما بعد قيام زيري بضرب السكة فعمرت مدينة أشير بالتجار ورغب الناس في سكنها[3].

كذلك من الوسائل التكفل بعائلاتهم بعد الوفاة وهذا إن مات الجندي في المعركة أو أصيب بمكروه أثناء الخدمة فإن الدولة تتكفل بالنفقة على عياله وأهله وتحويل كل حقوق الجندي المتوفي إلى أفراد أسرته[4].

والملاحظ ان هذه الإجراءات العسكرية الاجتماعية لا يزال يعمل بها إلى الآن في الأنظمة الحديثة تحت ما يسمى بقانون تعويض الجنود المتوفين أو المتضررين في الحروب.

3. طبقة التجار:

يبدو ان الوضع الاجتماعي للتجار على عهد الفاطميين كان مريحاً خاصة أن أبا عبد الله الشيعي قد منحهم الأمان وأحسن استقبالهم في جملة وجوه القيروان لما دخلها سنة(296هـ/909م)[5].

[1] . الجوذري، المصدر السابق، ص 43.
[2] . ابن خلدون العبر، ج 6، ص 154.
[3] . النويري، نهاية الأرب، ج 24، ص 161.
[4] . الجوذري، المصدر السابق، ص 137.
[5] . ابن عذاري، البيان، ج 1، ص 120.

يظهر اهتمام الخلافة الفاطمية بتنظيم النشاط التجاري في بلاد المغرب الاسلامي باعتباره مورداً هاماً لنظام الجباية ولتجمع الثروات او توفر عملة نقدية ذهبية ذات شأن وتساهم التجارة الكبرى بخاصة في تجميعها بأيدي التجار في المراكز التجارية النشطة وقد وفرت الدولة لذلك كل الوسائل والإمكانات اللازمة امام التجار لممارسة نشاطهم بما في ذلك تنظيم السوق والتي تشكل المجال الحيوي الذي تدور حوله الحياة التجارية والاقتصادية فكانت هذه الأداة هي وظيفة المحتسب، فقد كان للمحتسب نواب يطوفون في الأسواق يفتشون القدور واللحوم واعمال الطهاة ويشرفون على السقايين لضمان تغطيتهم القرب[1].

وقد عمل الفاطميون بدورهم على حماية المستهلك من خلال تشديد الرقابة على عمل التجار فكان في الغالب ما يصحب المحتسب طائفة من الجند مدججين بالسلاح كي يساعدوه على اداء عمله على اكمل وجه[2].

شهدت بلاد المغرب الاسلامي حركة اقتصادية نشطة خلال القرنين الثالث والرابع الميلاديين وهذا مؤشر إيجابي على ان البلاد عرفت في المقابل حركة اجتماعية دؤوبة ولم تتأثر إلى حد كبير بجو الصراعات السياسية في فترة الوجود الفاطمي[3].

لقد تمتع التجار في العصر الفاطمي بحرية نشاط كبير شجعت عناصر هامةبما في ذلك الأجانب إلى الولوج إلى بلاد المغرب الإسلامي قادمين إليها من مناطق شتى وبخاصة من الأندلس وبلاد السودان وحتى من أوربا وقد لعب التجار اليهود دوراً رئيسياً في انتعاش حركة المبادلات التجارية خاصة بعد أن أحكموا سيطرتهم على أهم تجارتين في تلك الفترة الذهب والرقيق[4].

---

[1] . موسى لقبال، الحسبة المذهبية في بلاد المغرب العربي نشاتها وتطورها ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ،الجزائر، 1971 ،ص 39.
[2] . ابن حوقل، صورة الأرض، ص 77.
[3] . آدم ميتز، الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، ترجمة عبدالهادي ابوريدة ،القاهرة ،ج 2، 1940،ص 184.
[4] . ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ص 20.

يبدو ان النشاط التجاري لم يكن محصوراً على التجار المحليين أو اليهود فحسب بل هنالك ما يدل على دور عناصر أندلسية لم يقل نشاطها عن التجار اليهود حيث أصبحت هي الأخرى تمثل قوة بشرية وإقتصادية لا يستهان بها في بلاد المغرب الإسلامي وأن سنة(290هـ/903م) هي تاريخ ارتباط هذه العناصر الأندلسية ببلاد المغرب الإسلامي وأن مدينة تنس تعد مكاناً لهؤلاء بالمنطقة[1]، يبدو ان الفاطميين اتبعوا سياسة اقتصادية اتسمت بالانفتاح أكثر على العالم الخارجي حتى غدت عاصمة الخلافة المهدية في تلك الفترة من أبرز المدن التي شهدت إقبالاً واسعا للتجار الأجانب الذين كانوا يقصدون إليها بتجارتهم من مختلف المناطق سواء القريبة منها أو البعيدة وأصبحت مرفأ لسفن الاسكندرية والشام وصقلية والأندلس[2].

كان هنالك تجار أغنياء لكن مع ذلك هم فئة قليلة العدد بحكم موقعها في قمة الهرم الاجتماعي وهنالك طبقة التجار الصغار تجار البوادي والأرياف المعزولة الذين طالما اشتكوا من ثقل الضرائب المفروضة عليهم فقد ورد ان اهل البوادي أرغموا على بيع محاصيلهم في مدينة المهدية بأثمان زهيدة وكان ذلك في عهد عبيد الله المهدي[3]، كما ادت سياسة النهب المنظم والإعتداء على اموال التجار من قبل الجيش الفاطمي إلى وقوع انتفاضات بين سكان المدن كما حدث في مدينة القيروان (299هـ/911م) وفي طرابلس بعد سنة من ذلك[4]، كذلك يبرز البعد الاقتصادي لثورة أبا يزيد الزناتي هو أنه من بين الفئات الاجتماعية التي انطوت تحت لواء فئة التجار وكل ذلك بسبب الجيش الفاطمي الذي أصبح يمثل قوة يصعب أحياناً كبح جماحها[5].

---

[1] ، موريس لومبار، مرجع سابق، ص 101.
[2] . البكري، المغرب في ذكر بلاد أفريقية والمغرب، مكتبة المثني ،بغداد ،د،ت، ص 29.
[3] . القاضي النعمان، المجالس والمسايرات، ص 337.
[4] . ابن عذاري، البيان، ج 1، ص 162.
[5] . المالكي، رياض النفوس، ج 2، ص 223.

يبدو أن التجار الأندلسيين كانوا أكثر العناصر تضرراً من سياسة النهب والسلب التي اتبعتها السلطة الفاطمية في بلاد المغرب الإسلامي وفي سنة(230هـ/845م) قدم إخوان من تجار أهل الأندلس في مركب فوقفوا في مدينة عبيد الله فطلب متولي الموضع رحلهم فطلبوا منه أن يرد شيئا منه فأبى، وتدل هذه الرواية على دور (المراصد) التي أقامها الفاطميون على كل تجارة ترد إلى البلاد أو تخرج منها حيث يلتزم كل تاجر بدفع ضريبة معلومة تكون قيمتها بحسب ما يحمل وهي ما يبدو أشبه بضريبة الرسوم الجمركية أو المكوس في عصرنا[1].

وقصارى القول أنه بالرغم من السياسة المالية المجحفة التي طبقها الفاطميون في بلاد المغرب الإسلامي عموما ومعاناة التجار بخاصة من جرائها غير ان هذه الطبقة شكلت العمود الفقري لخلافتهم فكان التجار عنصراً فعالاً في المجتمع فأثروا وتأثروا بما حولهم من احداث دون ان ينقطع نشاطهم الدؤوب ولعل أصدق مثال على هذه الحقيقة هو خروج المرأة إلى السوق ومساهمتها إلى جانب الرجل في إنعاش التجارة[2].

4. طبقة العامة

تاتي طبقة العامة في مقابل طبقة الخاصة ويمثل أفرادها السواد الأعظم من الناس لذا فإن تصنيفها يكون في أسفل الهرم الإجتماعي وقد عرف جرجي زيدان العامة بقوله (هم أخلاط من غوغاء ولفيف من أمم شتى وصناعات شتى وهم جهال أتباع من سبق إليهم من غير تفضيل)[3].

لقد ارتبط مفهوم العامة في نظر الفاطميين بكل ما هو حقير ووضيع فقد شبههم المعز لدين الله الفاطمي بالحجرة التي لا رونق لها ولا جوهر كما وصفت في مواضع أخرى بالحمير والجهال وجاء على لسان المعز في وصفه لهذه الطبقة يقول ابتلانا الله برعي الحمير الجهال

[1] . المالكي، المصدر السابق، ج 2، ص 223.
[2] . نفسه، ص 230.
[3] . جرجي زيدان، تاريخ التمدد الإسلامي، ج 2، منشورات دار مكتبة الحياة ،بيروت ،1967،ص 569.

فإننا لم نزل نتلطف في هدايتهم ومسايرة احوالهم إلى ان يختم الله لنا بالحسنى[1]، عموما إن طبقة العامة يمكن أن تشمل جميع فئات المجتمع والتي تتكون من الزراع والفلاحين وأصحاب المهن والصناعات وصغار التجار والعاطلين عن العمل لذا نجد هؤلاء العوام أشد الناس ارتباطا بالسلطة الحاكمة لعدم توفرهم على موارد مالية مستقرة ونجد ان احوال العامة قد ساءت في القيروان وفي أغلب المناطق التي شملها حكم الأغالبة نتيجة للسياسة الجبائية الثقيلة التي اتبعها أمراء هذه الدولة ضد ملاك الأراضي والفلاحين والتجار لا سيما خلال فترة حكم الأمير إبراهيم بن أحمد(261هـ/289هـ/902/875م)[2].

استمرت أحوال العامة على هذا السوء والتدهور حتى سنة(296هـ/909م) فعمت الفوضى البلاد وانتشر الفساد وأماكن اللهو وقد أسهم بعض حكام الأغالبة من المتاخرين في ذيوع الرذائل بين أواسط العامة فأهملوا شؤون الحكم وقد استغل أبو عبيد الله الشيعي هذه الاضطرابات الاجتماعية في دعايته كي يؤلب قلوب العامة للثورة على حكم الأغالبة وجاء في هذا الصدد واستغل زياد الله بلهوه ولعبه وأبو عبد الله يأخذ المدائن شيئاً بعد شيء عنوة وصلحاً[3].

لم تركن العامة إلى الهدوء إلا بعد ان استوثق حكم الداعي على رقادة معلناً أمامها النهوض باصلاحات اجتماعية واقتصادية لصالحها مستهلا اعماله بمحاربة الفساد وقطع الملاهي في البلاد فكان تصرفه هذا سببا في إلتفاف العامة حوله[4]، لا شك ان أبا عبد الله الشيعي قد راعى جانب العامة بتصرفه حينما أمر أصحاب الخراج بالتزام الكتاب والسنة في جمع الأموال من الناس لذا نجد ان سياسته هذه في جباية الأموال تركت انطباعاً طيباً بين أهالي طنجة خاصة

[1] . بطرس البستاني ،رسائل أخوان الصفا وخلان الوفاء، دار بيروت للطباعة والنشر، ج 4،،1983،ص، 511.
[2] . ابن عذاري، البيان، ج 1 ، ص 131.
[3] . المقريزي، الاتعاظ، ج 1 ، ص 62.
[4] . القاضي النعمان، الافتتاح، ص 246.

وسكان أفريقية فسروا لذلك ورجوا الدخول في طاعته[1] لما نالهم من الجور والأذى في أموالهم وأراضيهم التي تعد مصدر رزقهم واستطاع أبو عبد الله الشيعي بحنكته وذكائه كيف يستميل إليه قلوب العامة مستفيداً من مواطن ضعف الحكم الأغلبي ثم سرعان ما ابتدأ يمني الناس بظهور المهدي الذي سيملأ الأرض عدلا بعد أن ملئت ظلماً وجوراً[2].

يبدو ان حادثة مقتل الداعي أبو عبد الله الشيعي وخبر رجال كتامة على يد الخليفة عبيد الله المهدي في سنة(298هـ/910م) قد أثرت تأثيراً في نفسيات عامة كتامة فأصبحوا يشككون في مهدوية عبيد الله ولم تستوعب ذهنياتهم منه هذا التصرف وهذا جعلهم ينتفضون ضد حكمه بل واقاموا طفلا معتقدين أنه هو المهدي الذي بشر به الداعي أبو عبد الله[3]، والظاهر ان سوء اختيار الخليفة عبيد الله المهدي لبعض عماله على الأقاليم كان سببا في ثورة العامة عليه مثلما حدث في مدينة طرابلس سنة(300هـ/912م) حينما جعل ماكنون بن ضبارة واليا عليها فبسط أيدي بني عمه على أموال الناس فنهبوا دكاكينهم واعتدوا على حرماتهم[4]، وقد كان امام الخليفة فرصة لإصلاح هذا الخطأ الإداري عن طريق عزل الوالي أو استبداله لكنه تجاهل مطالب العامة وأرسل جيشا كثيفا لمحاصرة المدينة وأغرم اهلها ثلاثمائة ألف وأربعين ألف دينار[5].

مما يقيم الدليل على اشتداد الخليفة عبيد الله المهدي على العامة وتسخيرها لخدمته هو انه حينما انتقل مع أهله لسكن المهدية جعلها على قسمين منفصلين عن بعضها البعض انفصالا تاما فالأولى المهدية ابتنى فيها القصور ودوراً لآل بيته ورجال دولته وجنده اما الثانية زويلة وهي على مرمى سهم من الأولى اتخذها سكن للعامة رتب فيها الدكاكين والأسواق فكانوا

[1] . ابن عذاري، البيان، ص 142.
[2] . القاضي النعمان، الافتتاح ص 271.
[3] . المقريزي، الاتعاظ، ج 1 ، ص 68.
[4] . ابن عذاري، المصدر السابق، ص 168.
[5] . ابن أبي دينار، المؤنس، ص 53.

يدخلون إليها للمعيشة ويخرجون بالليل إلى اهاليهم فقيل للمهدي ان رعيتك في عناء من هذا فقال لكن أنا في راحة لأني بالليل أفرق بينهم وبين أموالهم وبالنهار أفرق بينهم وبين أهلهم[1].

يندرج تحت طبقة العامة فئة الفلاحين وأصحاب الأراضي وبما أن خدمة الأرض هي أساس كسب هؤلاء فإن ثقل الضرائب التي فرضها الفاطميون على الفلاحين كانت سببا في تدهور احوالهم الاقتصادية والاجتماعية وقد زاد الأمر سوء الجور الشامل من الشيعة والتعلل على اموال الناس من كل جهة[2]، إذا كانت الضريبة التي تفرضها الدولة على الفلاح باهظة فمن الطبيعي أن يلجأ هذا الفلاح للزيادة في سعر المنتوج كي يضمن الحد الأدنى من الربح وبالتالي فإن عبء هذه الزيادة تقع على المستهلك فيقع عليه الضرر تباعاً ولهذا فمن المحتمل أن فئة الفلاحين وأصحاب الأراضي بوجه عام ضمن الفئات الاجتماعية التي انطوت تحت حركة أبا يزيد الزناتي ضد الحكم الفاطمي بسبب الضرائب الباهظة الملقاة على عاتقهم وكانت حركته هذه قامت في الأساس احتجاجا على جباة الأموال[3]، رغم الاصلاحات الاجتماعية والاقتصادية التي اعلن عنها الخليفة المنصور بالله لصالح الرعية مثل اقدامه في سنة(330هـ/931م)على ختان ألف صبي من أبناء القيروان وأعفى الرعية من الجباية لسنة(335هـ/946م) لكي يساعدها على تعمير أراضيها وممارسة نشاطها الفلاحي[4]، وقد نجد ضمن هذه الطبقة فئة الفقراء والمساكين وهي بلاشك تمثل الجزء الأكبر في المجتمع الفاطمي إذ ان ظروف الحرب التي شهدتها بلاد المغرب الإسلامي كان لها الأثر المباشر في زيادة نسبة هذه الفئة في المجتمع نتيجة لأعمال السلب والنهب التي استهدفت أموالها وممتلكاتها فافتقرت وأعدمت أقواتها[5]، ولا يعني هذا أن أحوالها قبل ذلك كانت أحسن قبل مجيء الفاطميين أي في فترة حكم

[1] . ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج 3 ، ص 160.
[2] . ابن عذاري، البيان، ج 1، ص 173.
[3] . القاضي النعمان، المجالس والمسايرات، ص 336.
[4] . ابن حماد، اخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم، ص 47.
[5] . الداعي إدريس، تاريخ الخلفاء الفاطميين، ج 5، ص 195.

حكم الأغالبة أو الرستميين إذ أن الأمير الأغلبي إبراهيم بن أحمد كان قد أعطى فقهاء القيروان ووجوه اهلها أموالاً عظيمة يفرقونها على الضعفاء والمساكين فأعطيت لمن لا يستحقها وصرفت في الشهوات[1].

كان هؤلاء الفقراء يلبسون الخشن من الثياب ويمكن ان تتخيلها مرقعة أو رثة تنم عن فقر صاحبها وربما تساوى في لبسها الجاهل والعالم فقد جاء في بعض المصادر أن جبلة بن حمود(297هـ/910م) دخل على سحنون يوماً وعليها اخلاق أسماء بالية فجلس فلما فرغ من السماع قام ليخرج فقال له سحنون اجلس فجلس فلما خرج الناس ولم يبقى عنده احد غير جبلة أخرج إليه رداء وقال له أقطع لك من هذا قميصين وألبس هذا الرداء[2]، ونستنتج من خلال هذه الرواية أهمية الصدقات والهبات التي كان يتقدم بها بعض المحسنين لفائدة هذه الفئة المحرومة في المجتمع.

لا يقل الفاطميون عن سابقيهم في سعيهم لتقديم الصدقات إلى هؤلاء فقد امر الخليفة المنصور بالله بإخراج الصدقات إلى فقراء سوسة اشتملت على مراكب مشحونة بالطعام لما حل بهم الجوع وكان ذلك بعد انتصاره على ثورة أبا يزيد[3].

يمكن إدماج فئة اللصوص وقطاع الطرق ضمن طبقة العامة لأنها فئة اجتماعية تمردت على واقعها المر فبدأت تتبع اسلوبا حادا في كسب قوتها اليومي فاجتمعت في فئات لتكون أقدر ومهما يكن فإن هذه الفئة لم تكن تعتبر أنها احتراف مهنة اللصوص جريمة بل هي في تصورها مهنة للارتزاق وربما حملت على عاتقها مهمة تطبيق الشرع في أموال الأغنياء طالما ظل هؤلاء الأغنياء في نظرهم يمنعون الصدقات التي أمرهم الله بدفعها إلى الفقراء وقد شكلت هذه الفئة خطرا كبيرا على عهد الفاطميين فأصبحت تعترض سبيل التجار وأصحاب والأموال

[1] . ابن عذاري، البيان، ج 1 ، ص 132.
[2] . المالكي، رياض النفوس، ج 2، ص 3.
[3] . الداعي ادريس، تاريخ الخلفاء، ج 5، ص 158.

حتى القضاة لم يفلتوا من قبضتها فقد توفى أبو العباس إسحاق بن إبراهيم قاضي طرابلس مقتولا على أيدي مجموعة من اللصوص ونهبوا ماله وكان ذلك في سنة (303هـ/915م)[1].

وقد استمر خطر اللصوص حتى على أيام المعز لدين الله رغم الهدوء النسبي الذي طبع البلاد في فترة حكمه ولهذا فقد اتخذ المعز إجراءات ردعية للتقليل من خطر هؤلاء بأن أعطى الأوامر بمنع الناس من الخروج ليلاً بعد أداء صلاة العشاء وتولى المخالفين بضرب أعناقهم وقد كان لا يخرج حينئذٍ إلا من يسرق[2].

وقصارى القول أن العامة بحكم جهلها وبساطة الحياة التي كانت تحياها فقد تعرضت املاكها لكل أشكال الظلم والابتزاز بل وأنها وقعت ضحية لوعود السلطة الفاطمية التي لم تحرك ساكنا لتحسن أوضاعها الأجتماعية والاقتصادية.

[1] . الدباغ، معالم الإيمان، ج 2، ص 228.
[2] . المالكي، رياض النفوس، ج 2، ص 487.

المبحث الثالث

العادات والتقاليد السائدة في بلاد المغرب الإسلامي

1. الطعام :

إن معرفة نوع الطعام الذي كان يحضر على موائد سكان المغرب الإسلامي في عهد الفاطميين تعطينا فكرة واضحة عن نمط حياتهم ومدى رقيهم الاجتماعي

أ. **طعام أهل الحكم :** لقد تفننت أفراد هذه الطبقة في إعداد الأطعمة الشهية والطباق اللذيذة وتكوين موائدهم بأصناف الفواكه والخضار حتى كان يستدعي الأمر في بعض الأحيان جلبها من مناطق بعيدة ونجد ان مائدة الخليفة عبيد الله المهدي كان بها من اصناف الطعام وأنواع الفواكه ما يزيد عن حاجته كيف لا وقد كان الخدم من حوله يحملون ما بقي من طعام مائدته إلى الأسواق لبيعه أو التصدق به على الفقراء والمساكين، اما خادمته المكلفة بتحضير المائدة فقد كانت تجمع الخبز الباقي من على المائدة فترفعه إلى قوم موكلين بتسمين الحيوانات لمائدة المهدي[1].

يبدو أن عبيد الله المهدي كان حريصا كل الحرص على ان يكون (حوت البوري) حاضراً على مائدة طعامه ولذلك كان يأمر أعوانه باحضار هذا النوع من السمك الجيد من مدينة باجة وفي ذلك يقول ابن البكري بأن حوت بوري ليس له في الآفاق نظير وكان يحمل إلى عبيد الله حوتاً في العسل فيحفظه حتى يصل طرياً[2]، نستخلص من هذه الرواية دراية الفاطميين في مجال حفظ الأغذية وتصبيرها خاصة التي يخشى فسادها بدليل اهتداءهم إلى طريقة استعمال العسل كمادة مصبرة للسمك.

نجد ان الفاطميين تفاخروا بتحضير موائدهم بألوان الأطعمة واللحوم كذلك عمدوا إلى تزيينها بأصناف من الفواكه اللذيذة ذات القيمة الغذئية العالية ونعني بذلك التمور والتفاح وما إلى ذلك

[1] . اليماني، سيرة الحاجب جعفر، ص 108.
[2] . البكري، المغرب في ذكر بلاد أفريقية والمغرب، ص 57.

حيث أثر عن الخليفة عبيد الله المهدي انه كان مولعا بأكل تمر الليلاري ذو النوعية الجيدة إذ اختصت مدينة سكرة بانتاجه دون سواها حتى انه كان يأمر عماله بمنع بيع هذا النوع من التمور وأن يرسل منه إليه[1]، لم تخلو موائد الفاطميين من اطباق الحلوى الشهية وأنواع المشروبات وأصناف الكعك فكانوا ربما دعوا لتناولها بعض رجال الدولة والأعيان والزوار ممن كانوا يفدون إلى القصور لا سيما في المناسبات السارة والأعياد الدينية[2].

ب. طعام العامة :

ازدانت موائد العامة هي الاخرى بأطباق الطعام والمأكولات وقد كان التأنق في تحضيرها بحسب قدرة كل عائلة او فرد للانفاق إذ لا يتساوى الغني والفقير والتاجر والفلاح في إعداد نفس الطبق غير ان الملاحظ هو أن اللحم بأنواعه شكل طعاما أساسياً لأغلبية سكان المغرب الإسلامي بغض النظر عن دخل كل فرد لأن البلاد تتوفر على مخزون هام من الماشية والأبقار والإبل مما يزيد عن حاجة السكان[3]، اما فيما يتعلق بأهم الأطباق التي كانت تحضر على موائد اهل المغرب الإسلامي عموما فإننا نقرأ في بعض كتب التراجم ان الحسن بن نصر الفقيه كان إذا صام أفطر على حريرة وحوت مقلي[4]، نجد هذه الأكلة وهي الحريرة ما زالت تحضر إلى الآن لا سيما في مدن الشرق الجزائرية والبلاد التونسية والتي تشتهر عندهم باسم العصيدة*[5]، إن عادات الطبيخ في مدينة المهدية هي نفسها الموروثة من العهد الفاطمي لدى النساء وخاصة الطبيخ المسمى بالمرسي المعروف عند اهالي مدينة تونس باسم الزرير وهو

---

[1] . البكري، المصدر السابق، ص 713.
[2] . المالكي، رياض النفوس، ج 2 ، ص 294.
[3] . ابن حوقل، صورة الأرض، ص 95.
[4] . المالكي، المصدر السابق، ص 394.
* . هي عبارة عن ثريد من الخبز يطبخ مع السكر او العسل أو يضاف إلى السمن.
[5] . احمد رضا، قاموس رد العامي إلى الفصحح ، دار الرائد العربي ،لبنان ،بيروت ،الطبعة الثانية ،1981 ،ص 386.

عبارة عن مزيج من الأبزار والبهارات حارة الطبيعة يعطى للمرأة النفساء بعد فترة الوضوع يعينها على الطمث وتنظيف ما في بطنها من دماء محتقنة[1].

يبدو أن من عادة السكان في الطبيخ إضافة شيء من البهارات إلى أطعمتهم حتى تكون بذلك ألذ وأشهى وإلى جانب الطعام احتوت الموائد أيضاً على كل أصناف الثمار والفواكه اللذيذة من اطباق التين والتمر والخوخ والمشمش والعنب والرمان وأيضاً الفاكهة التي تدعى بالكمثرى ويعتبر طبق الحلوى والمسمى الفالوذج من بين أشهر أطباق الحلويات التي تعارف عليها سكان المغرب الاسلامي وكانوا يقدمونه في المناسبات وفي رمضان تعطى للصائم عند إفطاره وربما كانت بعض أطباق الحلوى الفاخرة أصعب منالاً بالنسبة للفقراء وبعض ميسوري الحال لارتفاع تكلفة تحضيرها[2].

إن كان طابع التقشف قد غلب على طعام بعض الزهاد والفقراء وغيرهم من الفئات المحرومة في المجتمع فلا يبدو الامر كذلك بالنسبة لفئة التجار من ذوي الدخل الوفير إذ كانوا يميلون إلى الإكثار من تناول الأطعمة وشراب النبيذ والتظاهر بمظاهر المجون والخلاعة[3].

2. اللباس :

يكتسي موضوع اللباس في المغرب الاسلامي أثناء العهد الفاطمي أهمية بالغة لما يتضمنه من قيم ثقافية وحضارية تنبع من أصالة المجتمع وعمق تقاليده الضاربة في التاريخ فاللباس بطبيعة الحال لم يكن موحدا عند كل الأهالي وذلك لأن هذا الأمر يكون مرتبطا دائما باختلاف الطبقات الاجتماعية هذا من جهة وظروف العمل والذوق والمواسم من جهة اخرى مع الإشارة أنه قد يحدث تاخل في اللباس بين طبقة وأخرى.

[1] . حسن حسني عبد الوهاب، مرجع سابق، ج 3، 370.
[2] . رفيق بولاس، الأوضاع الاجتماعية بالمغرب في عهد الخلافة الفاطمية، ماجستير، جامعة مونتي، قسنطينة، كلية العلوم الانسانية والعلوم الاجتماعية، 2007م، ص 84.
[3] . ابن حوقل، المصدر السابق، ص 77.

أ. لباس أهل الحكم :

كان أفراد الطبقة الحاكمة على اختلاف وظائفهم في الدولة حاولوا الظهور امام الرعية بمظهر العظمة والاجلال ومن ذلك اعتناءهم باللباس والبذخ فيه الامر الذي أفرز شكلا من أشكال التباين الطبقي الاجتماعي فاختص الخلفاء عمن سواهم بلبس الثياب المحلاة بالذهب والجوهر كما لبسوا المبطنات*[1]، كما لبسوا الأقمصة والسراويل والجباب والتي كانوا يجلبونها من أقاليم بعيدة من مرو وأرمينيا وغيرهما كما اتخذوا على رؤوسهم العمائم وكانت تارة موشاة بالذهب وتارة أخرى من غيره وعادة ما تكون العماماة من جنس الثوب الملبوس مادة ولوناً حفاظاً على تناسق الألوان وربما دلت الألوان في ثياب الخلفاء الفاطميين على مظاهر عدة بحيث أن لون اللباس في ظروف الحرب يختلف عنه في ظرف السلم فاختيار اللون الأحمر الداكن والذي يميل إلى لون الدم القاني كان تعبيراً عن حالة الغضب وعدم الاستقرار بدليل ان المنصور بالله اتخذ مثل هذا اللون على ثوبه حينما خرج محاربا لأبي يزيد الزناتي[2]، وقد يدل اللون الأصفر في لباسهم على الاستشراف بالنصر فقد أورد الداعي إدريس في هذا الصدد كلاما للمنصور يقول فيه إلى أصحابه (إني ألبس في اليوم الذي أخذ فيه أبا يزيد ثياباً مصفرة فإذا رأيتموني لبستها فثقوا بالنصر والفتح إن شاء الله)[3].

ب. لباس العامة :

لبس سكان المغرب الإسلامي عموماً كل ما هو محلي الصنع فلبسوا البرانس وهو لبس يتخذ عادة من الصوف ويستعمل شتاءً للوقاية من المطر أو البرد القارص ولا شك ان ابن حوقل قد تفطن إلى إطلاق اسم البرانس على الذين يلبسونها قبل ان يطلقها عليهم ابن خلدون بقرون طويلة وقد ذهب المقديسي إلى ان عامة السكان من البربر وهم الذين عبر عنهم بالسوقة

* . جمع مفردها مبطنة قماش يقطع أربعة أقمصة ويتخذها أصحاب السلطان الرسميون في الدولة.
[1] . طيبة صالح الشذور، الفاظ الحضارة العباسية في مؤلفات الجاحظ، القاهرة ،1994،ص 60.
[2] . رفيق بولاس، المصدر السابق ، ص 87.
[3] . الداعي إدريس، المصدر السابق، ص 255.

كان يلبسون المناديل والمنديل لباس صوفي يغطي الرأس ويتدلى على الكتفين والظهر وقد يدل لبسه على تعظيم مكانة صاحبه الاجتماعية وبخاصة إن كان من أصحاب الثروة والأموال[1].

كانت العباءة الصوفية لا تغادر الرجل البربري القديم وهي عبارة عن معطف شبيه بالبرانس وهذا ما يفسر بقاء هذا اللباس إلى اليوم سمة عامة لدى عامة الأهالي ويطلقون عليه اسم العباية[2]، وقد فرضت الطبيعة القاسية على سكان الصحراء خاصة إلتزام اللثام على الأنف والفم إتقاء العواصف الهوجاء المحملة بالرمال أو لحرارة الشمس اللافحة وقد انتشر مثل هذا اللباس بين سكان أودغست ومن جاورهم من بربر صنهاجة[3].

أما عن لباس النساء فقد فذكرت بعض المصادر أن المرأة لبست المربعة وهي خرقة لطيفة تتخذ في العادة من الصوف الناعم تشد على الراس كالعمامة من غير إدارة على الحنك وكان هذا اللباس مشتركاً بين المرأة والرجل[4]، يبدو أن نساء مدينة قابس اعتدن لبس النقاب عند خروجهن للتسوق أو لقضاء بعض شؤونهن خارج المنزل فقد ورد في بعض المصادر في هذا الصدد أن نسائها لا يرين في ذلك عليهن حرج إذا سترت إحداهن وجهها ولم يعلم من هي[5]، ونجد ان نساء المهدية ورثن عن أمهاتهن منذ القدم انواع من الكساء والتطريز بالحرير على البدل الداخلية وأنواعا من الوشاح والحواشي الحريرية المزركشة بألوان مغايرة وكلها متوارثة عن عهد الفاطميين[6].

3. الاحتفالات :

عبر السكان في المغرب الاسلامي في عهد الفاطميين عن مسراتهم وأفراحهم مثل غيرهم من المجتمعات الإسلامية بإقامة احتفالات في مناسبات عدة كالزواج والأعياد الدينية والختان

---

[1] . رفيق بولاس، المصدر السابق ، ص 89.
[2] . جوليان شاري اندري، تاريخ أفريقيا الشمالية، ج 1، تحقيق محمد مذالي والبشير بن سلامة، ص 76.
[3] . ابن حوقل، المصدر السابق، ص 98.
[4] . المالكي، رياض النفوس، مصدر سابق ج 2، 399.
[5] . البكري، المغرب في ذكرى بلاد أفريقية والمغرب، ص 18.
[6] . حسن حسني عبد الوهاب، المرجع السابق، ج 3، ص 272.

وغيرها فتجلت فيها كل مظاهر التضامن والإلفة والمحبة بين أفراد وفئات المجتمع وكان ضمن هذه المناسبات السعيدة الزواج.

أ. الزواج :

لقد اعتبر الاسلام دوما ان الزواج أساس العلاقة بين الرجل والمرأة وان كل علاقة سواها هي علاقة محرمة تستوجب العقاب[1] قال تعالى في وصف عباده المؤمنين (والذين هم لفروجهم حافظون)* إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين * فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون)[2].

لا تكاد عادات الزواج في بلاد المغرب الاسلامي في ذلك الوقت تختلف عما هي عليه اليوم إذ كانت الأعراف تقتضي ان يختار شريكة حياته كخطوة اولى لا بد منها لأنها أساس الزواج السعيد والمستقر وربما ما كان من بين المحفزات التي تجعل الرجال يقدمون على الزواج من النساء ان تكون الفتاة مثلاً من الحافظات لكتاب الله تعالى او بعض الأحاديث النبوية[3]، وإذا ما تم اختيار الزوجة المناسبة يجتهد اولياء الفتاة في إعداد جهازها الذي يشمل اللباس والزينة وبعض المتاع المنزلي ويكون ذلك قبل زفها إلى بيت زوجها وجرت العادة أيضاً ان يتقدم أهل العريس(الزوج) بمبلغ مالي رمزي من قبل التضامن مع اهل الفتاة[4]، وقد كانت بعض بعض الأسر المحظوظة اجتماعيا ترى في خطبة بناتها لمن هم دونها مهانة وتنازلا عن مكانتها الاجتماعية المرموقة وبخاصة إن كان الخاطب إليها من ذوي المكانة العلمية[5].

[1] . رفيق بولاس، المصدر السابق ، ص 91.
[2] . سورة المؤمنين، الآيات 5،6،7.
[3] . المالكي، رياض النفوس، ص 186.
[4] . المصدر السابق، ص 186.
[5] . آدم متز، المرجع السابق، ج 2، ص 201.

ب. الختان :

إن ختان الأولاد كان عادة شائعة في الجاهلية فقد ذهب آدم إلى أن الاحتفال بهذه المناسبة السارة كان شبيها بأعياد بلوغ الشباب عند القدماء ومن ثم أصبحت هذه العادة من سنن المسلمين التي درجوا على الاحتفال بها لما فيها من الفوائد الصحية بالنسبة للانسان وربما كان ختان النساء الذي يسمى الخفاض من الأمور التي تفهم ضمناً من الحاديث النبوية الشريفة حيث ورد في الأثر أن الختان سنة للرجال مكرمة للنساء[1].

مهما يكن فقد أصبح ختان الأولاد مظهرا من مظاهر الحياة الاجتماعية السائدة في بلاد المغرب الاسلامي مثل بقية أنحاء العالم الاسلامي وقد تميزت هذه المناسبة على عهد الفاطميين عموما بأنها كانت ذات طابع جماعي إذ أصبح مألوفا أن يقوم الخليفة الفاطمي بالاشراف على ختان مجموعة من الصبيان في مملكته من الفقراء والأيتام والمساكين في حفل بهيج تفرق فيه الصدقات والهدايا والجوائز القيمة على الحاضرين في أجواء من الفرح والإلفة وفي سنة (330هـ/941م) ختن إسماعيل المنصور اولاده وختن معهم ألف صبي من أبناء القيروان وكساهم وأعطاهم ما ينفقون وأمر كتامة ان يختنوا أولادهم[2]، ونجد ان ظاهرة الختان الجماعي لم تختص بالفاطميين وحدهم بل كانت معروفة عند العباسيين أيضاً فحينما ختن الخليفة المقتدر العباسي أولاده الخمسة ختن قبل ذلك جماعة من الأيتام وأنفق في هذا الختان مالاً كثيراً[3]

ج :الأعياد الدينية :

لقد احتفل الفاطميون في أيام عيد الفطر وعيد الأضحى المبارك فأقاموا الصلوات في المساجد وأعدوا لذلك موائد الطعام وتبدأ التحضيرات للعيد بدعوة الخليفة لأهل بيته وقرابته

[1] . محمد بن اسماعيل البخاري ، صحيح البخاري، ج 2، 1414ه/1993م، ص 102.
[2] . ابن حماد، المرجع السابق، ص 47.
[3] . آدم متز، المرجع السابق، ص 48.

للاحتفال بالعيد معه فقد أورد ابن الآبار في ذلك وبعث المعز إلى المهدية في عمومته وأهل بيته فوردوا له وحضروا معه عيد الأضحى وخرج فصلى بالناس وخطب ونحر[1]، اما في صبيحة العيد فيخرج الخليفة من قصره وقد تزين بأفضل ما عنده من ثياب استعداداً لإقامة صلاة العيد في المسجد الجامع ومما جاء في وصف موكب الخليفة المنصور بالله يوم عيد الأضحى ما اورده الداعي إدريس في هذا الشان ولما كان يوم النحر وهو يوم الجمعة ركب الإمام فرساً ورداء أحمر مذهب وتعمم عمامة صفراء وأرخى ذؤابته وبعد وصول الموكب إلى المسجد الذي تقام فيه الصلاة يدخل الخليفة من المصلى إلى مكان ليستريح فيه قليلاً ثم يعتلي المنبر الذي أقيم له في المسجد لإلقاء خطبتي العيد على الناس ومما جاء في خطبتي العيد اللتين ألقاهما المعز لدين الله في سنة (341هـ/952م) قوله في الخطبة الأولى (الله اكبر الله أكبر لا إله إلا الله والله أكبر الأعز الأقدر الخالق المدبر ذو الكبرياء والجبروت والعزة والملكوت الأحد الصمد الفرد المتفرد الأعلى القاهر الباطن الظاهر...) وبعد ذلك ذكر مناسك الحج والحكمة منها وقصة سيدنا إبراهيم الخليل مع ابنه اسماعيل وكيف أنه نجا من الذبح ثم جلس على المنبر ثم قام في الخطبة الثانية فكبر مثل الأولى ثم صلى على النبي محمد صلى الله عليه وسلم ثم صلى على الأئمة الفاطميين ثم ختم خطبته بالدعاء لعامة الناس[2].

ومن هنا يتضح ان الحياة الاجتماعية في المغرب في العصر الفاطمي اتسمت بخلق تكتلات سياسية في اطار القبلية والتي تحميها المصالح المشتركة وكذلك كان هنالك تباين في مواقف علماء اهل السنة من السلطة الفاطمية إلا انهم كانو لسان حال الرعية في كثير من القضايا التي تتعلق بأوضاعهم الاجتماعية ومن ثم يظهر الدور الذي لعبه العبيد في كل مراحل الدولة الفاطمية وما بلغوة من نفوذ واتسمت كذلك عن الفوارق الاجتماعية بين حياة اهل الحكم الذين عاشوا في رخاء علي حساب معاناة الرعية لتبقي الفوارق الاجتماعية بارزة بين

[1] . ابن الآبار، الحلة السيراء، ج 2، تحقيق حسين مؤنس ،الشركة العربية للطباعة والنشر ،تونس ،1968،ص 390.
[2] . إدريس القرشي، المصدر السابق، ص 78.

الحاكم والمحكوم كذلك كانت الاوضاع الاجتماعية الاقتصادية المزرية دافعا مباشر للجند للإلتحاق بصفوف الجيش الفاطمي املأ في تحسين احوالهم المعيشية ولعب التجار دور فعال في الحياة الفاطمية وشكلوا العمود الفقري لخلافتهم ونجد ان العامة بحكم جهلها وبساطة الحياة التي كانت تحياها فقد تعرضت املاكها لكل اشكال الظلم والإبتزاز وظلت العادات والاحتفالات في المغرب لاتخرج في إطار الموروث الاجتماعي المغربي.

الفصل الثاني

الحياة الإجتماعية في الدولة الفاطمية في مصر

المبحث الاول :موقف الفاطميين من أهل السنة والذمة

المبحث الثاني:عناصر المجتمع وأثرها في الحياة العامة

المبحث الثالث:الأعياد والاحتفالات والطعام والشراب ودورالمرأة

المبحث الأول:

موقف الفاطميين من أهل السنة والذمة

أولاً: موقف الفاطميين من أهل السنة

كان أهل السنة يكونون السواد الأعظم من المصريين المسلمين بعد أن أقام الفاطميون خلافتهم في مصر ، وأستطاع دعاتهم أن ينشروا المذهب الفاطمي بين عدد من المصريين كانوا عوناً لهم على فتح مصر [1].

أستمدت الدولة الفاطمي قوتها من قدرتها على الاستفادة من إمكانيات الأفراد المنتمين إليها من مختلف التكتلات العنصرية والاجتماعية التي كانت تولف المجتمع المصري ، فقد أستعان الفاطميون بالعناصر الأجنبية من المغاربة والأتراك الديالمة والسودان والأرمن، كما أستفادوا من خبرة أهل الذمة لا سيما الأقباط المتمرسيين بالمسائل المالية، وعهدوا إليهم بالوظائف الرئيسية في الدولة التي أبعد عنها المسلمون السنة، وبسبب أرائهم الدينية ظل الفاطميون خلال حكمهم بمصر كحكومة أقلية منفصلة عن مجموع رعاياها مما افقدهم تأييد الكثرة الغالبة من أهل السنة[2].

دخل جوهر الصقلّي قائد الخليفة المعز لدين الله الإسكندرية سنة (358هـ/969م) دون مقاومة وكتب أمانا اعلنه للمصريين تعهد فيه بإحترام المذهب السني أي المذهب الديني للمصريين ، كما تعهد بتامين المصريين عن أنفسهم وأموالهم [3].

ظل (جوهر الصقلي) حريصاً على مشاعر الناس في مصر وتدرج في عملية قلب البلاد إلى بلاد شيعية وجعل ذلك على مراحل بدأت بذكر أسم (الخليفة المعز) في الخطبة وأنتهت

---

[1]/ زبونة نادس مرسي ، محاضرات من تاريخ وحضارة الدولة الفاطمية ، ط1 ، دار الثقافة العربية ، القاهرة ، ص 161.

[2]/ محمد سهيل طقوش ، تاريخ الفاطميين في شمال أفريقيا ومصر وبلاد الشام ، ط2 ، دار النفاش ، 2007م ، ص 218 .

[3]/ عبد الله محمد جمال الدين ، الدولة الفاطمية قيامها ببلاد المغرب وإنتقالها إلى مصر إلى نهاية القرن الرابع الهجري مع عناية خاصة بالجيش ، دار الثقافة العربية ، القاهرة ، 1991م ، ص 127 .

بإقامة الشعائر الفاطمية في الصلاة والأذان بجامع (أبن طولون) سنة (359هـ /970م) ثم جامع مصر العتيق (عمرو بن العاص) وبقية الجوامع بعد ذلك [1].

لم يلتزم الفاطميون بعد أن أنتقل المعز إلى القاهرة سنة(362هـ/973م) بكتاب الأمان الذي أعلنه جوهر الصقلّي للمصريين بل عملوا على تحويل المصريين إلى المذهب الشيعي، وقد أتبعوا عدة وسائل منها اسناد المناصب العليا وخاصة منصب القضاء إلى الشيعيين [2].

وكلف كبار الفقهاء الشيعة القيام بنشر الدعوة الفاطمية ، وكان أحدهم يعرف بداعي الدعاة كان منهم عبد الله بن محمد بن أبي ثوبان وعلى بن النعمان ، و أتخذوا هؤلاء المساجد الكبيرة مراكزاً لبث الدعوة وهي مسجد عمرو بن العاص ، ومسجد أحمد بن طولون أو الجامع الأزهر وأمعن في أظهار الشعائر الدينية المخالفة لشعائر أهل السنة كالأذان بحيى على خير العمل والإحتفال باليوم العاشر من محرم، وهو يوم عاشوراء وعيد الغدير من اليوم الثامن عشر من ذي الحجة ، وهو المعروف بحديث خم [3].

أدى إحياء هذه الشعائر الشيعية إلى سخط المصريين السنيين، لما كانت تؤدي إليه من إعتداءات الشيعيين والمغاربة عليهم فقد حدث عند الإحتفال بعيد (غدير خم) ذي الحجة سنة (362هـ/973م) أن قام المغاربة بأثاره الشغب والإضطراب فأتطر جوهر إلى الخروج بنفسه ليمنعهم من الإعتداء على أموال الأهالي [4].

كما أصاب المسلمين السنة الكثير من الضرر والأذى بسبب أرغام الشيعة لهم علي مشاركتهم في أظهار شعائرهم ففي (العاشر من محرم (362هـ/973م) سار جماعة من

---

[1]/ عبد الله محمد جمال الدين ، مرجع سابق ، ص 128 .
[2]/ زبونة نادي مرسي ، مرجع سابق ، ص 160 .
[3]/ محمد سهيل طقوش ، مرجع سابق ، ص 219 .
[4]/ زبونة نادي مرسي ، مرجع سابق ، ص 161 .

المصريين والمغاربة الشيعة في موكب حزين وراحوا يعتدون على كل من لم يشاركهم في مظاهر الأسى والحزن ، مما أدى إلى تعطيل حركة الأسواق وقيام القلاقل [1].

ثانياً: موقف الفاطميون من أهل الذمة

عاش أهل الذمة من اليهود والنصارى منذ الفتح العربي الاسلامي لمصر سنة(21هـ/ 642م)، مع المسلمين في ظل سياسة التسامح الديني وعلى الرغم من إنتشار الإسلام بين أهل البلاد وتعريب الدواوين ونزوح بعض القبائل العربية الى مصر وسكنهم بالمدن والريف وأختلاطهم بالمصريين على مدى الثلاث قرون الأولى من الهجرة إلا أن نصارى مصر في العصر الفاطمي الأول ،(358-447هـ/969-1055م) ، كانوا ما يزالون يشكلون أقلية نشيطة كبيرة العدد تقدر بحوالي ثلث سكان مصر ، كما أن يهود مصر في هذه الفترة كانوا يقدرون ببضعة ألاف [2].

أستخدم الفاطميون منذ مجيئهم إلى مصر أهل الذمة في إدارة شئون البلاد ، واكتظت دواوين الحكومة في العصر الفاطمي الأول بالموظفيين من اليهود والنصارى الذين شغلوا وظائف الدولة العليا فكان منهم الوزراء والوسطاء ورؤساء الدواوين والكتاب وتغلغل الموظفون من أهل الذمة وخاصة الأقباط في كافة الدواوين المالية والإدارية [3].

قرب الفاطميون أهل الذمة وأظهروا لهم التسامح في كثير من الأحيان كما أستخدموهم في أهم شئون الدولة وكان النصارى يجمعون بين الكفاءة في إدارة الشئون المالية وبين المهارة في إتقان الصناعة فنالوا في هذا العهد الثروة والمكانة وقد دفعت رغبة الكثيرين من الذميين في الحصول على الهبات والعطايا والمناصب إلى أعتناق المذهب الإسماعيلي [4].

---

[1]/ حسن إبراهيم حسن ، الفاطميون في مصر وأعمالهم السياسية و الدينية بوجه خاص ، المطبعة الأميرية بالقاهرة ، 1932م ، ص 188 .

[2]/ سلام الشافعي محمود ، أهل الذمة في مصر في العصر الفاطمي الأول ، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 1994م ، ص 7 .

[3]، نفس المرجع ، ص 27 – 28 .

[4]/ زنوبة نادي مرسي ، مرجع سابق ، ص 165 .

لايرجع موقف الخلفاء الفاطميون إذاء أهل الذمة إلى سياسة التسامح الديني او ألى صلة المصاهرة معهم فحسب أو إلى حاجة الدولة إلى خبرة أهل الذمة وعلمهم وإنما يرجع ذلك في المقام الأول إلى أن الفاطميين وجدوا أنفسهم في محيط عدائي من أهل السنة وهم الاغلبية الكبرى من المصريين ولذلك لم يكن هناك مناص من أن يعتمدوا على أهل الذمة الذين كانوا يشكلون أقلية نشطة تقدر بحوالى ثلث الشعب المصري [1].

أستعان المعز لدين الله بكثير من الأطباء اليهود كما أستعان ببعض اليهود في إدارة سئون الدولة مثل يعقوب بن كلس الذي أسند إليه المعز بعض دواوين دولته وأرتقي في مناصب حتى أصبح وزيراً للعزيز بن المعز لدين الله [2].

بدأت سياسه التسامح التي انتهجها المعز تجاه أهل الذمة واضحة فقد طلب افرام السرياني البطريرك الثاني والستين أن يسمح له ببناء كنيسة أبن مرقورة في الفسطاط وكذلك الكنيسة المعلقة بقصر الشمع فسمح له بذلك وكتب سجلا يمكنه من ذلك كما منحه قدراً من بيت المال كمساعدة ولما بوشر بإجراءات التنفيذ تصدي الناس للاقباط ومنعوهم ذلك حتى أشرف المعز نفسه على بناء أساس الكنيستين ثم أمر ببناء الكنائس التي تحتاج إلى عمارة دون أن يعترضه أحد[3].

وقد أصدر الخليفة المعز لدين الله الفاطمي بمجرد وصوله إلى القاهرة في رمضان(362هـ / 973م) قراراً باتخاذها مقراً لخلافته عفواً شاملاً عن الذين كان قد اعتقلهم جوهر وخلى سبيلهم ومن المواقف الحميدة التي تدل على تسامح المعز مع النصارى وحسن علاقته باليهود وصداقته لكبار رجال الدوله من أهل الذمة فقد عهد المعز إلى رجل الدولة البارز يعقوب بن كلس اليهودي الأصل وعسلوج بن الحسن في الرابع عشر من محرم سنة(363هـ/974م)بإدارة

[1]/ سلام الشافعي محمود ، مرجع سابق ، ص 28 .
[2]/ زنوبة نادي مرسي ، مرجع سابق ، ص 165 .
[3]/ محمد سهيل طقوش ، مرجع سابق ، ص 221.

كافة شئون مصر المالية وهما اللذان وضعا النظام المالي الجديد الذي يتفق مع سياسة الفاطميين المذهبية ، كما أختص أبن كلس بديوان الخليفة المعز فأصبح هو الرجل الحديث العهد بالإسلام أكثر المقربيين إلى قصر الخلافة [1].

كذلك أتسم عهد العزيز بالتسامح مع النصارى وكان لزواجه من مسيحيه أثر كبير في مبالغته في التسامح معهم حتى أنه شاركهم في إعيادهم الدينية كما قام العزيز بتعين شقيقي زوجته في أرقى مناصب كان من أثر هذه السياسة التي اتبعها العزيز نحو أهل الذمة أن أزداد نفوذهم في أيامه فأصبح بدواوين الدولة كثير من كتابهم وخاصة بعد أن عين العزيز يهودياً والياً على بلاد الشام وعين أخر نصرانياً للشئون الإدارية [2].

نرى مبالغة العزيز في اظهار عطفه على أهل الذمة وتسامحه معهم فكان يعقوب بن كلس أول وزراء الدولة الفاطمية في مصر وأعظهم شاناً تفانا في خدمة الفاطميين وقام بعدة اصلاحات إدارية ومالية وكان له دوره البارز في رسم السياسة الخارجية للدولة الفاطمية أبان فترة وزارته فحظى عند العزيز بإعتلائه المكانة السامية والدرجة الرفيعة [3].

وليس أدل على حسن علاقته بالخليفة العزيز بالله من هذا المشهد الرائع عندما مرض أبن كلس مرضه الأخير وزاره العزيز وقال له: (يا يعقوب وددت لو تباع فابتاعك بملكي أو تفتدى فافتديك، فهل من حاجة توصي بها ؟ فبكى الوزير وقبل يد الخليفة وقال له: (أما فيما يخصني فلا، فانك أرعى لحقي من استند عليك وارهف بمخلص من أن أوصيك ولكن أقول لك فيما يتعلق بدولتك : سالم الروم ما سالموك واقنع من الحمدانية بالدعوة والسكة ولا تبقي على المعرج بن دغفل ابن جراح الفاطمي متى امكنت فيه الفرصة [4].

---

[1]/ على إبراهيم حسن ، تاريخ حوهر صقلي ، ط2 ، مكتبة النهضة المصرية ، 1963م ، ص 7 .
[2]/ زنوبة نادي مرسي ، مرجع سابق ، ص 166 .
[3]/ سلام شافعي محمود ، مرجع سابق ، ص 30 .
[4]/ نفس المرجع ، ص 30 .

اختلفت سياسة الحاكم بأمر الله الفاطمي (286هـ/899م) عن سياسة المعز والعزيز وقد أتسمت هذه السياسة بالشدة تجاه أهل الذمة [1].

وأعتباراً من عام(395هـ/ 1005م) بدأ تشدد الحاكم مع الرعية وخاصةً أهل الذمة الذين لقوا في عهده عنتاً شديداً كما أخذ في أصدار سلسلة من الأوامر والقرارات تحوي قائمة بممنوعات توعد من يقدم عليها بالعقاب بالقتل أو التعذيب [2].

فألزم أهل الذمة بلبس الغيار ومنهم من منعهم من دخول حمامات المسلمين وهدم كنائسهم وبيوعهم وأمرهم بأعتناق الإسلام أو الخروج إلى بلاد الروم مما أضطر كثيراً منهم إلى أعتناق الإسلام كارهين [3].

أدت سياسة الحاكم المتشددة مع النصارى والملكانيين منهم بوجه خاص وهدمة لكنسية قمامة (القيامة) بيبت المقدس سنة (398هـ/1007م) ، إلى الإضرار بتجارة الفاطميين مع البيزنطيين ، حيث قطع باسيل الثاني في سنة (406هـ/1015) جميع العلاقات التجارية مع الفاطميين [4].

ومهما يكن فأن الحاكم بأمر الله في أخر سنة من حكمه عدل عما زاده على (الشروط العُمرية *) واكتفى من أهل الذمة بلبس الغيار وهي العلامة المميزة فأصدر سجلات متفرقة يأمر فيها بإعادة بناء الكنائس وربما أعاد بناء كنيسة القيامة ، ولما قيل للحاكم أن الذين أسلموا من أهل الذمة أن دخلوهم في الدين الإسلامي لم يكن عن إيمان وخيروه أن يقتلهم أو يرجعوا إلى دينهم وسمح لهم الحاكم بالرجوع إلى دينهم ، حيث أنه أرتد منهم في يوم واحد أكثر من

---

[1]/ زنوبة نادي ، مرجع سابق ، ص 167 .

[2]/ أيمن فؤاد سيد ، الدولة الفاطمية في مصر ، تفسير جديد ، ط1 ، الدار المصرية اللبنانية ، 1992م ، ص 102 .

[3]/ نفس المرجع ، 102 .

[4]/ عبد المنعم ماجد ، ظهور الخلافة الفاطمية وسقوطها في مصر ، ط 4 ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، 1994م ، ص 297 .

* / الشروط العمرية ، يقصد بيها الشروط التي وضعها عمر بن الخطاب لأهل الذمة التي تنظم تصرفاتهم في المجتمع الإسلامي عرفت بالشروط العمرية أو العهد العمري .

سبعة الف يهودي ، وقد أصدر الحاكم سجلاً هاماً عليه علامته يطمئن فيه أهل الذمة بحمايته لهم ، ما داموا قد التزموا بأوامره [1].

كما كانت علاقة الحاكم بأمر الله باطبائه من أهل الذمة علاقة ود وتقدير وتتطوي على التسامح ولاتعرف التعصب فكان لهم إعتلاء المكانة السامية و الرفيعة ومنحهم العطايا وخلع عليهم وقربهم إليه [2].

تميز عهد الخليفة الظاهر(411-427هـ/1020-1035 م) بالتسامح نحو أهل الذمة فقد عمل هذا الخليفة على أكتساب عطفهم فاصدر بيان أعلن فيه أنهم احرار في عقائدهم وشعائرهم وأنه لا إكراه في الدين وأن من أراد الدخول في الإسلام عن اختيار فله ذلك ومن أراد البقاء على دينه فله الحرية أيضاً [3].

وعمل الظاهر على تحسين علاقته مع البيزنطتين بعد أن كانت قد ساءت في عهد والده الحاكم ، فقد كان الفاطميون في حاجة ماسة إلى تمويل القمح الذي يصلهم من القسطنطنية وفي حاجة كذلك إلى تامين جانب البنزنطتين فوقعت هدنة بين الطرفين في سنة(418هـ /1027م) اقيمت بمقتضاها الخطبة للظاهر في جامع القسطنطينية مقابل أن يعيد الظاهر فتح كينسة القيامة وتجديدها وأن يعمر النصارى جميع الكنائس الخراب في مصر (سوى ما كان منها قد عُمل مسجداً) [4].

استطاع الظاهر لاعزاز دين الله أن يكتسب عطف أهل الذمة ومحبتمهم له فلقد أصدر مرسوما يوضح حسن راية ورضاه وثقته في جمع موظفي الدولة ويطمئهم عن بقاء كل واحد منهم في وظيفته، غير أنه في نفس الوقت ناشد رجال الدواوين وموظفى الدولة توخي العدل

---

[1]/ نفس المرجع ، ص 297 .
[2]/ سلام شافعي محمود ، مرجع سابق ، ص 38 .
[3]/ زبونة نادي مرسي ، مرجع سابق ، ص 167 .
[4]/ أيمن فؤاد سيد ، مرجع سابق ، ص 122 .

والسهر على خدمة الرعية فأجرى عملية تطهير في كل فروع الإدارة الحكومية واقصي العناصر الانتهازية واصحاب المصالح الشخصية وأبعد كل من شك في إخلاصه وولائه للخلافة [1].

استمرت سياسة التسامح نحو أهل الذمة منذ ذلك الوقت ولم يظهر الشعور العدائي نحوهم إلا في فترات قصيرة وخاصة حين يتولى أحدهم منصباً كبيراً كما حدث في أوائل عهد المستنصر بالله الفاطمي[2].

في خلافة المسنتصر بالله(427-487هـ/1035-1094م) أزداد نفوذ أهل الذمة فقد سيطر النصاري على دواوين الدولة وكان جميع مقدمي الممكلة والناظرين في دواوينها وقد تدبر أمورها كلهم نصاري ، كما أزداد نفوذ اليهود في قصر الخلافة [3].

أظهر الخليفة المستنصر العطف والتسامح نحو أهل الذمة على الرغم من تزمر المسلمين من أسناد بعض مناصب الدولة لليهود في عهده [4].

لقد تعاطف بعض ولاة الاقاليم في خلافة المستنصر مع أهل الذمة فوالي القاهرة سنان بن كابد كان يحب النصارى ويعطف عليهم كما كان الأمير المؤيد حصن الدولة وإلى الإسكندرية صديقاً لاقباط مصر محباً لهم ومهتماً بأمورهم[5].

ومجمل القول أن أهل الذمة تمتعوا بنفوذ كبير في خلافة المستنصر وإذا كان قد اصابهم مكروه أو تعرضوا لاذى فقد كان ذلك في فترة الإضطرابات التي عمت البلاد في النصف الثاني من عهده[6].

---

[1]/ سلام شافعي محمود ، مرجع سابق ، ص 39 .
[2]/ زبونة نادي مرسي ، مرجع سابق ، ص 167 .
[3]/ سلام شافعي محمود ، مرجع سابق ، ص 40
[4]/ زبونة نادي مرسي ، مرجع سابق ، ص 168 .
[5]/ سلام شافعي محمود ، مرجع سابق ، ص 41 .
[6]/ نفس المرجع ، ص 41 .

المبحث الثاني:

عناصر المجتمع وأثرها في الحياة العامة

طبقات المجتمع في العصر الفاطمي

تعددت عناصر السكان وأختلفت أجناسهم وطوائفهم في العصر الفاطمي فكان سكان مصر في ذلك الوقت اخلاطاً من الناس مختلفة الاصناف من قبط وروم وعرب وبربر واكراد وديلم وحُبشان وأرمن وكانت معظم تلك العناصر تنخرط في سلك الجندية في الجيش الفاطمي وعلى راسها المغاربة أو البربر بطوائفهم وقبائلهم المتعددة والأتراك والسودان والصقالبة [1].

عندما أتخذ الفاطميون مصرا مقراً لخلافتهم ساروا على طريقة العباسيين في الإعتماد على غير أبناء جنسهم، فصار جيشهم في عهد المعز يتالف من قبائل كُتامة وزويلة وبعض طوائف البربر ثم استخدم العزيز الديلم والأتراك وجعلهم خاصته وقد أدت هذه السياسة إلى قيام التنافس بين المغاربة والأتراك وظل الحال إلى عهد الحاكم بأمر الله فقرب الكُتاميين في بداية عهده ثم أنحرف عنهم واعتمد في جيشه على الجنود المرتزقة من الأتراك والسودانيين وحذا حذو أبنه الظاهر في الإعتماد على الأتراك على حين استكثرت أمه من العبيد حتى بلغ عددهم خمسين ألفاً، وظهر في أيام هذا الخليفة التنافس والتشاحن بين هاتين الطائفتين مما كان له أسوا الأثر في حالة مصر الداخلية [2].

إلا أن هذه العناصر المتعددة والأجناس المختلفة، قد انصهرت مع الوقت في الحياة المصرية، تأثرت بتقاليد المجتمع المصري فأصبح الجميع ينتمون إلى مصر حتى أن الخلفاء الفاطميون أنفسهم غلب عليهم تسميتهم بالمصريين[3].

---

[1]/ عبد المنعم عبد الحميد سلطان ، الحياة الاجتماعية في العصر الفاطمي ، دار الثقافة ، 1999م ، ص 13 .

[2]/ زبونة نادي مرسي ، مرجع سابق ، ص 168 .

[3]/عبد المنعم عبد الحميد سلطان ، مرجع سابق ، ص 14 .

ويمكن تقسيم طبقات المجتمع الي طبقة خاصة وطبقة عامة

اولا- الطبقة الخاصة :-وتشمل

1- الأسرة الحاكمة :-

كانت الأسرة الحاكمة في المجتمع المصري في عصر الدولة الفاطمية تمثل قمة هذا المجتمع فقد كان لها الحكم والسيادة وتتمتع بالثراء والنفوذ القوى وكان على رأس هذه الأسرة الخليفة الفاطمي الذي يستمد سطانه من الإنتساب إلى النبي صلي الله عليه وسلم) عن طريق أبنته وزوجها على بن أبي طالب ، ويعتقد الفاطميون أن الخلافة أو الإمامة درجة تلى النبوة ونتيجة لهذا الإعتقاد كان من حق الخليفة الفاطمي أن يتصرف في أمور الدين والدينا دون أن يواجه تصرفاته لوم أو نقد [1].

وقد حرص الخلفاء الفاطميون على أن يسيغوا على أنفسهم من مظاهر العظمة والجلال ما جعل الخاصة والعامة يقابلوهم بالسجود وتقبيل الأرض [2].

ونلاحظ الإختلاف الواضح بين حياة الفاطميون في المغرب التي تميزت بمظاهر التقثيف والبعد عن الفخامة والإسراف وبين حياتهم في عاصمتهم الجديدة القاهرة [3].

ولما كانت القاهرة هى عاصمة مصر في العصر الفاطمي والمركز الرئيسي لطبقة الخاصة لذلك رأيت أن أعطي صورة مؤجزة عنها .

*** القاهرة الفاطمية :-**

كان من أول مهام القائد جوهر الصقلي بعد أستيلائه على الفسطاط في شعبات سنة(358هـ / يوليو سنة 969م)، وأخضاعه لمصر الاخشيدية للسلطان سادته الفاطميون أن شرع

---

[1]/ عبدالمنعم عبدالحميد المرجع السابق، ص 20 .

[2]/أبن خلكان ، وفيات الاعيان وأبناء أبناء الزمان ،تحقيق ،أحسان عباس ،دار صابر ،بيروت، ج2 ، ص 153 .

[3]/ المقريزي.. مصدر سابق ، ج1 ، ص 95 – 96.

في بناء عاصمة جديدة لمصر الفاطمية[1] وفي مساء ذلك اليوم وضع جوهر تخطيط مدينة القاهرة لتكون رابع الحواضر الإسلامية في مصر بعد الفسطاط والعسكر والقطائع [2].

وكان الهدف الأساسي لبناء القاهرة أن تكون مركزاً للدولة الفاطمية تحوى أجنادها وأنصارها ولتكون حصناً معقلا من الأخطار الخارجية التي يمكن أن تتعرض لها الدولة وخاصة من جانب القرامطة [3].

والواقع أن القاهرة منذ نشأتها كانت تعد مدينة ملوكية قاصرة على سكن الخلفاء الفاطميون وحرمهم وجندهم وحاشيتهم[4] فهي مدينة الخاصة وأتباع الدولة وموظفيها ولم يكن مسموحاً للعامة بالإقامة فيها أقامة دائمة ولكن كان عليهم أن يغادروها قبل دخول الليل أذ أن المتعيشين بالقاهرة والمسخدمين يصلون العشاء الأخيرة بالقاهرة ويتوجهون إلى منازلهم بمصر [5].

وقد أهتم جوهر ببناء سور حول المدينة منذ عام(359هـ / 970م) لحمايتها وتحقيق الهدف الذي بنيت من أجله وكان السور يحوي في داخله المنشأت التي شرع جوهر في بنأها وأهما القصر الكبير الشرقي والأخطاط التي أختطها جنده وأتباعه [6].

شيد جوهر بسور القاهرة أربعة أبواب نذكر منها باب النصر ، وباب الفتوح ، وباب زويله [7]، [7]، ويعرف أحد هاذين البابين الأخرين بأسم باب القوس ، وقد مر منه المعز عند قدومه إلى القاهرة وصار الناس يتركون بالمرور به ، وأما الباب الثاني فقد تشاءم الناس منه وهجروه [8] وكانت القاهرة وقت أنشائها تحد من الشمال بموقع باب النصر ومن الجنوب بموقع باب زويله

---

[1]/ عبد المنعم عبد الحميد سلطان ، مرجع سابق ، ص 21 .
[2]/ على إبراهيم حسن ، مرجع سابق ، ص 84 .
[3]/ عبد المنعم عبد الحميد سلطان ، مرجع سابق ، 13 .
[4]/ المقريزي ، مصدر سابق ، ح3 ، ص 299 .
[5]/ عبد المنعم عبد الحميد سلطان ، مرجع سابق ، ص 23
[6]/ على أبراهيم حسن ، مرجع سابق ، ص 90 .
[7]/ القلقشندي ، صبح الاعشي ، الكتب الخديوية ،المطبعة الأميرية ، القاهرة ، ح3 ، 1917م ، ص 352 .
[8]/ المقريزي ، الخطط ، الطبعة بولاق ، ج1 ، 1270هـ ، ص 361 .

ومايليه ، وتحد شرقاً بموقع باب البرقية وباب الحروق المشرفين على المقطم ، وتعرف هذه المنطقة في وقتنا الحالي بحي الدراسة وتحدها غرباً بباب سعادة ومايليه حتى شاطئ النيل .

وعندما دخل الخليفة المعز لدين الله القاهرة في رمضان سنة (366هـ/ 976م) ، جلس في القصر على سرير الذهب الذي عمله جوهر في الديوان الجديد وقد بدا يدخل جوهر عليه القوم للسلام حيث قدموا إليه الهدايا النفيسه تعبيراً عن ولائهم وخضوعهم [1].

كان من أهم القصور في العصر الفاطمي القصر الكبير الشرقي الذي وضع أساسه جوهر وتم استقبال الخليفة المعز به وكان هذا القصر من الفخامة بحيث أن كان يحتوي على أثني عشر جناحاً أو قصر صغيراً بالإضافة إلى عشرة أبواب ظاهرة [2].

بالإضافة إلى عدد من الأبواب والسراديب المقامة تحت الأرض كانت تصل هذا القصر بالقصر الصغير الغربي الذي بنى في عهد العزيز بالله وكان الخلفاء ينتقلون في هذه الطرق الداخلية والسردايب بين القصرين دون أن يشاهدهم أحد ، كما كانت هنالك أبواب أرضية تفضي إلى ممرات يمكن للخليفة أن يمر بها ممتطياً جوداً أو حماراً ليصل من جناح إلى أخر في داخل القصر [3].

وكان يقوم على حراسة القصر الكبير الشرقي الف جندي ، نصفهم من الفرسان والنصف الأخر من الرجالة يدورون حوله من وقت صلاة المغرب حتى الصباح وكان القصر الفاطمي يحوي الالاف من الموظفين والخدم وأفراد الحاشية الذين يسهرون على راحة الخليفة وأفراد أسرته بالإضافة إلى عدد كبير من الجواري المستخدمات ، والعبيد من كافة الأجناس ويقدر عدد الخدم في القصر في عهد الخليفة المستنصر بأثني عشر ألف خادم ماجور ، وعدد لا يحصى من النساء والجواري [4].

---

[1]/ المقريزي ، اتعاظ ، ج1 ، ص 136 .
[2]/ المقريزي ، الخطط ، ج1 ، ص 384 .
[3]/ عبد المنعم عبد الحميد سلطان ، مرجع سابق ، ص 27 .
[4]/ نفس المرجع ، ص 28 .

وكان الوزراء الفاطميون يعيشون عيشة الترف [1] فجعل يعقوب بن كلس وزير العزيز بالله في قصره مطابخ خاصة له ولضيوفه وأخرى لغلمانه وحاشيته وأتباعه ، كما أتخذ بقصره طائفة من الحجاب يرتدون الملابس الحريرية ويتقلدون السيوف ويتمنطقون بالمناطق [2] كذلك كان الوزير بن بدر الجمالي مترف في حياته فأتخذ مسكنه في دار الملك التي بناءها سنة(501هـ/1107م) جعل فيهامحل خاصة تقام فيها الأطعمة في الأعياد ، وأتخذ في أحد ابنيتها مجلسا يجلس فيه للعطاء [3].

1/ **المغاربة** :-

قامت الدولة الفاطمية على اكتافهم وخاصة ظائفة الكتاميين وهم عصب الدولة وقوتها في مصر وقد كانت هذه الطائفة هي المسئولة عن كثير من حوادث الشغب بالبلاد وذلك لأن المغاربة كانوا شيعة منذ متين شجعتهم قوتهم الحربية ومساندة الخلفاء الفاطميين لهم على اتيان كثير من حوادث الشغب والسلب والنهب ، والأمر الذي أدى إلى كثير من المصادمات بينهم وبين المصريين وبقية الطوائف [4].

وقد قام المغاربة بنهب أملاك الأهالي في كثيرا من الأحيان وقد هب هؤلاء من سنه وشيعة وغير مسلمين يدفعون عن أنفسهم هذا العدوان الذي عن كان غرضه السلب والنهب وقد حدث في عام(360هـ/972م) أن أعتدت المغاربة على بعض أحياء مصر بالسلب والنهب فثأر الأهالي ونشب قتال بينهم وبين المغاربة حتى تدخل جوهر وعوض الناس عما سلب منهم [5].

وفي عام(363هـ/974م) أحتل المغاربة دور المصريين واجلوا سكانها عنها الأمر الذي جعل الأهالي يستغيثون بالخليفة المعز ، الذي أمر المغاربة بإخلاء الدور التي اغتصبوها من

---

[1]/ حسن إبراهيم حسن ، مرجع سابق ، ص 633 .
[2]/ ابن خلكان ، المصدر السابق ، ج2 ، ص 441 .
[3]/ المقريزي ، الخطط ، ج2 ، ص 379 .
[4]/ زبونة نادي مرسي ، مرجع سابق ، ص 169 .
[5]/ نفس المرجع ، ص 170 .

الأهالي وبنى لهم مساكن قرب عين شمس ، وجعل لهم واليًا وقاضياً للنظر في أمورهم وفي سنة (368هـ/ 966م) فرض المغاربة على الخليفة الحاكم بأمر الله وكان لا يزال صغير السن ، تعيين زعيمهم ابن عمار وزيراً فرضح الحاكم لطلبهم وتولى ابن عمار الوزارة ليجزل العطاء للمغاربة الأمر الذي قوى من شوكتهم ودفعهم إلى الشطط في تصرفاتهم [1].

وقد ظهر سوء إدارة ابن عمار في كثير من الأعمال وقد أعتمد على أحداث المغاربة ليقضي بذلك على نفوذ الحزب التركي وكانت نتيجة هذه السياسة إزدياد جراة المغاربة فعاثوا فساداً في طرقات القاهرة ونهبوا المتاجر وأشتبكوا مع الأتراك في بعض المعارك التي تطورت إلى قتال بين طائفتين أنتهى الأمر فيه بهزيمة المغاربة وهرب ابن عمار إلى الصحراء وحل محله رجوان وقد ضعف نفوذ الكتاميين منذ ذلك الوقت حتى صاروا من عامة الرعية في عهد المستنصر بالله الفاطمي بعد أن كانوا من أكابر رجال الدولة [2].

2/ **السودانيون** :-

بدأ ظهورهم في مصر منذ أيام كافور الاخشيدي ، وكانوا يجلبون من الجنوب كجنود مرتزقة وأستعان بهم الحاكم بأمر الله على المصريين والسنيين بالفسطاط ، فهاجموا أرجاء تلك المدينة وأقتحموا بيوتها وحماماتها ونهبوا أسواقها [3] وقد يكون الذي شجع على استخدام السود وجود معاهدة البقط التي عقدت منذ أيام الخليفة الراشد عثمان بن عفان بين العرب والنوبة وبمقتضاها يسلم ملك النوبة إلى ولاة مصر عدداً معيناً من السود مما جعل هولاء يكثرون في مصر وقد أستخدم الفاطميون من السود نوعين: الزنوج – من البقط – وعبيد الشراء لأنهم عبيد مشترون وزاد نفوذهم في عهد الحاكم وفي أيام المجاعة وفي عهد الظاهر هاجم السود قصر الخليفة مما يبين قوتهم [4].

---

[1]/ عبد المنعم ماجد ، مرجع سابق ، ص 306 .
2 نفس المرجع ، ص 307 .
[3]/ زنوبة نادي مرسي ، مرجع سابق ، ص 171 .
[4]/ عبد المنعم ماجد ، مرجع سابق ، ص 309 .

ويرجع السبب في كثرة السودانيين إلى أن أم المستنصر كانت جارية سوداء لابي سعد التستري اليهودي فما ولى المستنصر الخلافة ومات الوزير صفي الدين الجرجرائي وحكمت والدة المستنصر على الدولة استوزرت سيدها أبا العباس وعين المستنصر الفلاحي وزير له الذي اختلف مع التستري فاستعمال الأتراك وزاد في واجباتهم حتى قتلوا أبا سعد فغضبت لذلك أم المستنصر وقتلت الفلاحيين واسرعت في شراء العبيد السود وجعلتهم طائفة لها أستكثرت منهم وكرهت الأتراك [1] وقد سكنت طوائف السودان في وقت المستنصر حارات عديدة معروفة مثل : الحسينية والفرحية والميمونية الريحانية وكانت الريحانية وحدها عدة حارات ولكثر السود عرف المستنصر باسم: صاحب السودان [2].

3/ **الأتراك** :-

ظهر ميل الفاطميين إلى استخدام عناصر موجودة في الشرق من الديلم والأتراك كانوا يعملون كجند مرتزقة في جيوش المسلمين وعرفوا بسبب من الشرق بالمشارقة وقد أعتبر العزيز أول من أدخل المشارقة من الديلم الترك في الجيش الفاطمي حتى أن عددهم كثر في عهده وعرفت لهم بعض الحارت كحارة الديلم وحارة الأتراك [3].

كان العزيز على خلاف المعز يقرب المشارقة على حساب المغاربة مما أوجد بين المشارقة والمغاربة تحاسداً ولما تولى الحاكم وكان صغير السن طمعت المغاربة في استعادة نفوذها الذي ضعف على يد العزيز فدخل على الحاكم مقدموا كتامة وطالبوه بأبعاد المشارقة وأجبروه على توليه شيخهم إبى محمد بن عمار شئون الحكم أما عرف بالوساطة – وهى الوزارة وهو الذي كان اشتهر بحروبه في صقلية فقام أبن عمار بتفرقة الأموال الكثير علي طوائف المغاربة

[1]/ زنوبة نادي ، مرجع سابق ، ص 172 .
[2]/ المقريزي ، الخطط ، ج2 ، ص 33 .
[3]/ عبد المنعم ماجد ، مرجع سابق ، ص 307

وقرب كتامة ولى شيوخها الوظائف الرئيسية في الدواوين والولايات كما كانت في أيام المعز ، كذلك توفق عن صرف اكثر العطاء للمشارقة وأساءتهم [1].

فهرب كثير من المشارقة إلى الشام ثم ظهر لأبن عمار منافس وهو برجوان أو أرجوان وهو خصى أبيض من الصقالبة من رجال القصر الذي أستعان به المشارقة في سبيل الوصول إلى الحكم فقاتل بهم المغاربة وأنتصر عليهم وتولى الحكم واعادوا نفوذهم إلى أقصاه ولكن الحاكم الذي كان قد دخل مرحلة الشباب عمل على قتل الطامعين فيه بما فيهم برجوان وأبن عمار واضعف نفوذ كتامة وافنى شيوخهم مما قوى من شان المشارقة [2].

كذلك وجد الأتراك منافسة شديدة من السودانيين في عهد المستنصر ، فنشب بين الفريقين معارك عنيفة وقف فيها الجند المغاربة إلى جانب الأتراك فأوقعوا الهزيمة بالسودانيين رغم المساعدات التي قدمتها لهم أم المستنصر وأستقر خمسة عشر ألف منهم بالصعيد حيث عاثوا في البلاد فساداً وأخذوا يشنون هجمات متوالية عن طريق البر والنهر على القاهرة رغبة في الأستيلاء عليها وطرد اعدائهم الأتراك منها[3] .

كان تولى قيادة الأتراك في أوائل عهد المستنصر ناصر الدولة الحسين بن حمدان التغلبي ، وقد ازداد نفوذهم في القاهرة بعد طرد السودانيين إلى الصعيد وسرعان ما استفحل أمرهم وأخذوا يطالبون الخليفة بزيادة مرتباتهم ثم كشف ناصر الدولة القناع عن غرضه الحقيقي فجاهر بالأساءة لمستنصر وأستند بالأمور دون الأتراك مما جعلهم يسعون إلى الخلاص منه فرفعوا شكاياهم من تصرفاته إلى خطير الملك وزير المستنصر وإلى المستنصر نفسه وطلبوا من المستنصر أن يخرجه من مصر فبعث إليه المستنصر يأمره بالرحيل عنها فخرج ناصر

[1]/ زنوبة نادي مرسي ، مرجع سابق ، ص 308 .
[2]/ عبد المنعم ماجد ، مرجع سابق ، ص 308 .
[3]/ سيد فؤاد ، الدولة الفاطمية في مصر ، تفسير جديد ، ص 100 .

الدولة إلى الجيزة وتكمن من ناصر الدولة من قتل خطير الملك فقاد الخليفة جيش هزم به ناصر الدولة الذي ذهب إلى اقليم البحيرة حيث أنضم إليه فريق من الأعراب [1].

ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل أن ناصر الدولة بعث في سنة (462هـ/1070م) إلى أبن ارسلان سلطان السلاجقة بالعراق ورسول من قبله يساله أن يرسل إليه عسكر ليقيم الدعوة العباسية على أن تؤول السيادة علي مصر ، فرحب الب ارسلان بذلك غير أن ما لبث أنشغل بمحاربة الروم عن المسير إلى دمشق ثم إلى مصر ولما بلغ المستنصر أن ناصر الدولة أرسل إلى أبن ارسلان يدعوه إلى مصر جهز إليه جنداً من الأتراك لمحاربته بالبحيرة فاوقع بهم ناصر الدولة الهزيمة وأقام الخطبة للخليفة القائم بأمر الله العباسي في الإسكندرية ودمياط وجميع أنحاء الوجه البحري وحال دون وصول القوات إلى القاهرة [2].

وزاد الحالة سوء المجاعة التي حدثت في عام (457هـ/1065م)، نتيجة لأنخفاض النيل وأستمرت سبع سنين ونتيجة لهذه المجاعة رأى الجند الأتراك بعد ما ماحل بهم والخليفة المستنصر من الشدائد بسبب المجاعة وأن يصالحوا ابن حمدان علي أن يظل مقيماً بالبحيرة ويحمل إليه مبلغ من المال ويكون تاج الملوك تازي نائباً له فرض بذلك وأرسل الغذاء إلى مصر مما أدي إلى توفر القوت الضروري للأهالي ولكن تاج الملوك تازي نقض الصلح وأستبد بالأمور في القاهرة فأستاء أبن حمدان من ذلك وسار في جمع من العربان إلى الجيزة حيث تمكن من القبض على تازي واطلق العنان للجند في الفسطاط فنهبوا دورها وأشعلوا فيها النيران ولما استفحل أمرهم حاربهم المستنصر وأنتصر عليهم وفروا إلى البحيرة وظلوا هناك يعملون على أضعاف شان الخليفة الفاطمي وحذفوا في سنة(464هـ /1071م) أسم المستنصر من الخطب في الوجه البحري وبعث ناصر الدولة إلى الخليفة القائم العباسى ببغداد يلتمس الخلع ثم قدم إلى القاهرة على راس جيش كبير وتولى الحكم فيها وأمتنع المستنصر بقصره وبالغ

[1]/ زنوبة نادي مرسي ،مرجع سابق ، 174 .
[2]/ نفس المرجع ، ، ص 175.

ناصر الدولة في أهانة الخليفة وأظهر ميله للمذهب السني وأضطر كثير من أقارب المستنصر وأولاده ألى التروح إلى المغرب والعراق [1].

وعندما شعر الأتراك باستبداد ناصر الدولة ومحاولته تفويض[2] خلافة الفاطميين وأقامة الدولة العباسية مكانها دبروا مؤامرة لاغتياله فانقضوا عليه بسيوفهم ذات ليل وتخلصوا منه ومن كل أفراد أسرة بن حمدان .

* من كل ذلك يتضح لنا الدور الكبير الذي لعبه الأتراك في تاريخ مصر الفاطمية وأثرهم على الحياة العامة.

* وقد أدى التطاحن بين عناصر المجتمع المصري المختلفة إلى تخريب مدن الدولة الفاطمية وتستنخ من هذا الصراع بين عناصر المجتمع المصري المختلفة أن تعدد عناصر المجتمع المصري مع محاباة كل خليفةأو عدد من الخلفاء لعنصر معين لعب دوراً خطيراً في إنهاء الدولة الفاطمية وزعزعة سلطانها .

ثانيا: طبقة العامة : حياتهم وعلاقتهم بالدولة :-

حرصت الدولة الفاطمية قدر استطاعتها على إرضاء رعاياها في مصر وجذب افئدتهم وعقولهم لتاييدها ونشر مذهبها الشيعي بين جمهور الناس الذين كانوا معظمهم من أهل السنة وكان لهم في ذلك وسائل متعددة لعل أهمها أشباع بطون الناس حتى تكسب قلوبهم ونرى هذه السياسة منذ اليوم الأول لدخول جوهر الصقلي إلى مصر على رأس جيوش الفاطميون وكانت البلاد تعاني من الغلاء فنادى اعوانه في مصر أن من عنده قمح فليخرجه وهب الناس إلى دار أبو جعفر مسلم ونودى على الناس بأنه من أراد الصدقة فليتوجه إلى دار أبو جعفر فأحتشد جمع كبير من الفقراء والمحتاجين وزعت عليهم الأموال [3].

---

[1]/ زنوبة نادي مرسي مرجع سابق ، ص 176 .
[2]/ نفس المرجع ، ، ص 176 .
[3]/ عبد المنعم عبد الحميد سلطان ، مرجع سابق ، ص 74 .

كان الخلفاء يفرقون بسخاء على الفقراء والمحتاجين وخاصة في المواسم والأعيادة وأثناء خروجهم في المواكب الكبيرة والمختصرة وكان من عادة الخلفاء عند خروجهم للنزهة توزيع الصداقات والهبات على طول الطريق التي يسلكونها على المساجد وقراءة القرآن والفقراء والمحتاجين الذين يقفون في طريق الموكب وكان لذلك رسوم مقدرة من الأموال تخرج مع الموكب فيحمل مثوبي صناديق الإنفاق حقيبة بها خمسمائة دينار تكون رهن تصرف الخليفة إذا رغب في الانعام أو التصدق على أحد [1].

الواقع أن سياسة العطف على العامة ومنحهم الهبات والصدقات في المناسبات لم تكن حلاً لمشاكلهم اليومية ورغم ثراء الدولة العريض فأن العامة كانوا يعيشون عيشة الكفاف ولا يستطيعون سد حاجتهم الضرورية ويروى أن رجلاً سرق قتديلاً من الفضة من جامع عمرو بن العاص فرفع القاضي الأمر للخليفة الحاكم فقال الحاكم للرجل ويلك سرقت فضة الجامع فقال : أنما سرقت مال ربي واني فقير ولى بنات جياع والإنفاق عليهن أفضل من تعليق هذا في الجامع ، فدمعت عيناه وأمر بإحضار بناته فحضرت فامر القاضي أن يجهزون بثلاثة الالف دينار ويزوجهن وإعادة القنديل إلى الجامع [2].

كان صوت العامة يصل قوياً إلى كبار رجال إلدولة والي الخلفاء أنفسهم فيعرفون مظالمهم ويطالبون بإصلاح أحوالهم وكان الخلفاء من جهتهم يسهلون للناس طريق الشكوي حتى تصل إليهم دون عائقاً وكان بالقصر الكبير الذي يقطنه الخليفة موقع يعرف بالسقيفة يقف عند المتظلمون ، وكان من عادة الخليفة الجلوس في هذا المكان كل ليلة يسمع شكاوي المتظلمين فإذا ظلم أحد وقف تحت السقيفة وقال بصوت مرتفع (لا آله إلا الله محمد رسول الله ، وعلى ولي الله ، قيسمه الخليفة فيأمر بأخضاره إليه أو يفوض أمره إلى ألوزير اوالقاضي أو الوالي [3].

---

[1]/ المقريزي خطط ، ج1 ، ص 381 .

[2]/ عبد المنعم عبد الحميد ، مرجع سابق ، ص 75 .

[3]/ المقريزي ، الخطط ، المصدر السابق ، ج1 ، ص 45 .

كانت شكاوي العامة بوجه عام تتذكر على غلاء الأسعار ورداءة الخبز الذي يباع في الأسواق وسوادة حتى أنهم رفعوا شكوى للحاكم ومعها رغيف ليدللوا بة على سوء صناعته ورداءة دقيقه ، وعندما يشتد الغلاء كانت صيحات الجماهير الجائعة تنطلق في وجه الخلفاء مطالبة بالخبز وغالب ما يتحرك الخلفاء ويطالبون المسئولين عن المواد التموينية وعلى راسهم المحتسب بتلافي أسباب الشكوى فعندما حدثت المجاعة سنة (415هـ/ 1024م) ، في عهد الخليفة الظاهر أستدعى إليه المحتسب هدده وتوعده إذا لم لم يتلاف الأمر فنزل المحتسب إلى الأسواق وهاجم مخازن القمح ووزع ماوجده منه على المطاحن [1].

كانت شكوى العامة أحياناً تأخذ طابعاً من النقد العنيف الذي يصل إلى حد توجيه السب إلى الخلفاء وذلك عندما تضيق بهم السبل وتشتد وطاة الظمأ ومن أمثله ذلك ما حدث في عهد الخليفة العزيز بالله الذي اطلق يد النصاري في حكم البلاد فطغوا وتكبروا وأساء معاملة المسلمين فاندست أمرأة بين الناس تحمل رقعة إلى العزيز أثناء مرور موكبه وكان مضمون الرقعة (يا أمير المؤمنين بالذي اعز النصارى بعيسى أبن نسطسورس واليهود بمنشا بن إبراهيم واذل المسلمين بك الأنظرت في أمري) وأستطاعت المرأة الهرب ولما اطلع الخليفة على فحوى الرسالة أمر بالقبض على عيسى ومنسشا والكتاب من اليهود والنصارى وأمر برد الدواوين والأعمال إلى المسلمين [2].

وكان العزيز قد قابلها النقد العنيف بصدر رحب وأزال أسباب الشكوى فأن الحاكم كان عنيف في رده على مثل هذا الأمر وكان الناس يرسلون للحاكم الرقاع المختومة التي تحمل بين طياتها السب له ولاسلافه الدعاء عليه ووبلع بهم الأمر أن عملوا تمثالاً لأمرأة من ورق والبسوها ملابس النساء ونصبوها في طريق الحاكم وبيدها رقعة كأنها شكوى فتقدم الحاكم أثناء موكبة وأخذ الرقعة من يدها حتى أطلع عليها وجد بها سباً قبيحاً فأمر رجاله بالقبض على

[1]/ المقريزي ، الخطط ، ج2 ، ص 64 .
[2]/ عبد المنعم عبد الحميد سلطان ، مرجع سابق ، ص 76 .

ألمراة فأكتشفوا أنها ثمثالاً من ورق فعلم أن الناس قد سخروا منه فغضب لذلك وأصدر أوامره إلى العبيد بمهاجمه الفسطاط حيث يحشد العامة واشعال النار فيها ونهبها وقتل من يقع في يدهم من أهلها [1] وقاوم أهل المدينة دفاعا عن أنفسهم وأملاكهم وعاونهم في ذلك المغاربة والأتراك الذين كان لهم صلات نسب ومصاهرة بأهل المدينة ولم يكف الحاكم يد العبيد عن المدينة إلا بعد أن ايقن عزم الأهالي نقل المعارك إلى القاهرة فاضطر الحاكم إلى أصدار أوامره للعبيد بالكف عما أمرهم [2].

كان عامة المصريين يقابل بعض القرارات الشاذه بما عرف عنهم بروح الدعابة والسخرية والمعروف ان الحاكم أصدر عدة سجلات بمنع صنع النبيذ أو بيعه وأتلاف ما يصنع من العسل والعنب وأمر رجاله بتتبع من يبيع أو يقتضي شيئاً منه فأتفق أن رجلاً حمل خمراً له على حمار وهرب به فتصادف أن قابله الحاكم أثناء مروره على جسر ضيقاً فساله الحاكم من أين أقبلت ؟ قال الرجل : من أر ض الله الضيقة ، فقال : ياشيخ أرض الله ضيقة ، فقال : لو لم تكن ضيقة ما جمعتني وأياك على هذا الجسر ، فضحك الحاكم منه وتركه [3].

كان للاضطرابات تأثيراً خطير على حياة الناس ومعاشهم اليومي فأن الاضطرابات القلاقل التي تصاحب المعارك غالباً ما تؤثر على حركة التجارة الداخلية والخارجية مما يؤثر بالتالي في أسعار الضروريات وخاصة الخبز بالإضافة إلى معاناه الناس وإزدياد الشعور بالقلق والرهبة من بطش العسكر المعادي وخاصة إذا كانت المعارك على أبواب المدن المكتظة بالسكان ولا يخلو الأمر من موت قريب أو عزيز خلال ذلك وكان العامة يجلسون في الشوارع وعلي باب الدور طوال الليل يبتهلون بالدعاء بالنصر لجيش الفاطمي ضد ثورة إبى ركوة حيث أضربت الأسعار وكانت هنالك ندرة في الخبز [4].

---

[1]/ ابن لاثير ، الكامل ، ج6 ، ص 108 .
[2]/ نفس المصدر ، نفس الصفحة .
[3]/ المقريزي ،اتعاظ ، ج2 ، ص 91 .
[4]/ عبد المنعم عبد الحميد سلطان ، مرجع سابق ، ص 80 .

عندما سقط أبو ركوة في قبضة الفاطميين اظهر الناس السرور والبهجة وأحشدت أعداد كثيرة منهم لمشاهدة موكب التشهير به حتى أن الحوانيت والدور التي في طريق مسيرتة كان يؤجر للمشاهدين وأقام الناس ليلتهم في الشوارع وعلى أبواب مساكنهم يظهرون المسرة والمرح [1].

وكان عامة الناس في بعض الأحيان يمثلون مركز الثقل في الأحداث ويلجا إليهم الخلفاء والقواد لتأييدهم ومعاونتهم ضد خصومهم ومن هذا عندما نشب الصراع بين الأتراك والمغاربة في عهد الخليفة الظاهر سنة (420هـ /1029م) وكانت الغلبة في أول الأمر للأتراك ولكن المغاربة تمكنوا في النهاية من الانتصار بمعاونة العامة لهم وهكذا يظهر دور العامة في تأييد احد عناصر الجيش الفاطمي ضد الأخر [2].

كذلك يظهر دور العامة أبان الصراع الذي نشب بين الأتراك والعبيد في عهد الخليفة المستنصر وتمكن الأتراك بقيادة أبن حمدان من هزيمة العبيد الذين كانوا يحظون بتأييد أم الخليفة المستنصر فأستنجد المستنصر وأمه بأهل مصر وأذكرهم حقوقهم عليهم ووعدهم بالإحسان فقامو معه ونهبوا دور أصحاب أبن حمدان وقاتلوهم فخاف أبن حمدان وأصحابه ودخلوا تحت طاعة المستنصر [3].

ومما سبق يتضح أن العامة رغم ما كانوا يعانونه من مظاهر الأهمال السياسي في تلك العصور إلا أنهم كانوا يمثلون قوة لها شأنها أحياناً .

---

[1]/ المقريزي ، اتعاظ ،ج2 ، ص 65 .
[2]/ عبد المنعم عبد الحميد سلطان ، مرجع سابق ، ص 81.
[3]/ نفس المرجع ، ص 81 .

المبحث الثالث :

الأعياد والأحتفالات والطعام والشراب ودور المرأة :

في المبحث سننتناول الاعياد والاحتفالات الفاطمية الخاصة والعامه وكذلك الماكل والمشرب ودور المراة في العصر الفاطمي

تمتعت الدولة الفاطمية بثراء عريض لم تعرفه الدول الإسلامية المعاصرة لها ، وانعكس هذا الثراء إلى بزخ واسراف في مظاهر أحتفالاتها بالأعياد والمواسم التي ابدعوا في تنظيمها وانفقوا عليها دون حساب ، حتى يخيل أن الأحتفال بالأعياد والمواسم والمناسبات المختلفة في ذلك العصر أن أيام الدولة كانت كلها أعياداً وأعراساً [1].

لم يترك الفاطميون مناسبة دينية أو مذهبية خاصة أو عامة ألا وأطلقوا فيها العنان لبزخهم ومعتمدين على ثراء دولتهم وكأنهم أرادوا أن يلهوا رعيتهم من أهل السنة عن أمور السياسة وما يقال من الطعن في نسبهم وأحقيتهم في الخلافة فأكثروا من الإحتفالات التي كانت تصرف فيها الأموال على العامة وتقام فيها الموائد الضخمة والمواكب المهيبة التي تجذب الأنظار والقلوب[2].

وكانت هذه الإحتفالات بما تحوية من مظاهر الفخامة والبزخ من النادر أن تجد مثلها في أي عصر من العصور الإسلامية وكانت معظم هذه الإحتفالات يشارك فيها الخليفة وكبار رجال الدولة طبقاً لرسوم دقيقة وتقاليد ثابته أخذت طابعها منذ دخول الفاطميين إلى مصر ثم رسخت مع الوقت في المجتمع المصري حتى أصبحت أساساً لمعظم الإحتفالات التي قامت في الدول التي اعقبت حكم مصر بعد الفاطميين وخاصة دولة المماليك [3].

كان الشعب المصري بمختلف طبقاته يشارك في هذه الإحتفالات وينغمس في جو المرح التي تضيفها هذه المناسبات على الحياة و تناول مختلف أصناف الطعام والشراب وتمتلى

---

[1]/ عبد المنعم عبد الحميد سلطان ، مرجع سابق ، ص 137 .
[2]/ المقريزي ، الخطط ، ج2 ، ص 285 .
[3]/ عبد المنعم عبد الحميد سلطان ، مرجع سابق ، ص 138 .

الأسواق بالناس في ملابسهم الذاهية وكما كانت الأعياد مناسبة للفقراء للحصول على الصدقات والهبات من القادرين [1]

اولأ: الاعياد والاحتفالات الدينيه: ويمكن تصنيف الاعياد الدينية الي نوعين عامة وخاصة

1- الأعياد الدينية الإسلامية العامة :-

تشمل الاعياد الدينية العامه راس السنه الهجرية والاحتفال بالمولد الشريف وشهر رمضان والاحتفال بعيد الفطروالاضحي

أ/ رأس السنة الهجرية :-

كان الأحتفال برأس السنة الهجرية من أبهج الأحتفالات الفاطمية فكان الإستعداد لهذا الأحتفال يبدأ في الأيام العشرة الأخيرة من شهر ذي الحجة بإخراج الأسلحة والنفائس وإعداد الخيول المشتركة في الموكب الكبير الذي يخرج صبيحة يوم الأحتفال ، فيخرج من خزانة الأسلحة ما يحمله طوائف الجند في الموكب وصيبان الركاب المحيطين بالخليفة من أنواع الأسلحة المختلفة المحلات بالذهب والفضة والجواهر [2] كان يعد لهذه المناسبة ما يعرف بصناديق الإنفاق وهي تحوي الدنانير والدراهم ضرب السنة الجديدة لتوزيعها على رجال الدولة وأرباب الرتب والحاشية والموظفين ابتهاج براس السنة الهجرية [3] وتستمر الاستعدادات لموكب رأس السنة حتى يوم التاسع والعشرين من ذي الحجة حيث تجرى تجربة للعرض داخل القصر بحضور الوزير وكبار رجال الدولة [4].

كذلك كانت مطابخ القصر تعد لهذه المناسبة أصنافاً متعددة من الأطعمة في ليلة رأس السنة من الخراف والرؤوس وأنواع الحلوى والخبز والألبان وكانت هذه الأطعمة توزع طبقا

---

[1]/ عبد المنعم عبد الحميد سلطان ، مرجع سابق ، ص 138 .
[2]/ القلقشندي ، مصدر سابق ، ج3 ، ص 471 .
[3]/ المقريزي ، الخطط ، مرجع سابق ، ص 346 .
[4]/ عبد المنعم عبد الحميد سلطان ، مرجع سابق ، ص 144 .

لرسوم محددة على جميع رجال الدولة وحاشية الخليفة وأرباب الرتب والوظائف كما يصل الكثير منها إلى عامة الناس من أهل القاهرة والفسطاط [1].

وفي صبيحة يوم الأحتفال يجتمع كبار رجال الدولة من أرباب السيوف والأقدام في ميدان بين القصرين ويحضر الوزير مبكراً للقصر أستعداداً لخروج الموكب وقد أحتشدت طوائف الجند طبقاً لترتيب محدد في الميدان والجميع في أبهى زينة من الثياب ونفيس السلاح ولمجرد ظهور الخليفة من باب القصر يعزف بوق خاص وتبعه بقية البوق في الموكب ويبدأ الأستعداد لسير الموكب وكان الخليفة في هذه المناسبة يرتدي ملابس بيضاء على الراس عمامة كبيرة وتعلو جبهته جوهرة عظيمة وبجانبه حامل المظلة التي تشبه لونها ملابس الخليفة [2].

ويحيط به نحو ألف رجل من صبيان الركاب وعشرون رجلاً من صبيان الخاص يحمل كل منهم رأية من الحرير على رماح طويلة مكتوب عليها (نصر من الله وفتح قريب) بالإضافة إلى حاملي المباخر التي تنبعث منها روائح البخور و العطرة [3] ، ويسير الموكب في طريق مرسوم وفق نظام محدد لطوائف الأمراء والجند في رفق يتقدمه والي القاهرة لافساح الطريق وإزالة العوائق وتصاحب الموكب دقات الطبول والصنوج وعزف العصافير وقد أحتشد الناس على جانبي الطريق لمشاهدة الموكب يعمهم السرور وزين التجار حوانيتهم وعرضوا بضاعتهم حتى تعمها البركة بنظر الخليفة إليها[4] .

ثم يعود الموكب في نهاية الأمر إلى ميدان بين القصرين حيث يصحب الوزير الخليفة إلى باب القصر ومن حوله رجال الدولة ثم ينصرف الجميع إلى دورهم [5].

---

[1]/ المقريزي ، الخطط ، مرجع سابق ، ص 490 .
[2]/ نفس المصدر ، ص 490 .
[3]/ ادم متز ،مرجع سابق ، ، 48.
[4]/ نفس المرجع ،49
[5]/ عبد المنعم عبد الحميد سلطان ، مرجع سابق ، ص 145 .

كان من عادة الخلفاء الفاطميين في هذه المناسبة أن يأمروا دار السكة بضرب عملة جديدة تعرف (بالغرة) يتم ضربها في العشرة الأيام الأخيرة من ذي الحجة وتحمل تاريخ السنة الجديدة وتوضع في صناديق الأنفاق وكانت هذه العملة توزع على جميع رجال الدولة وكان يحمل إلى الوزير منها عددا يوازي أيام السنة الهجرية فيمنح ستمائة وستون ديناراً ثم يوزع بعد ذلك على باقي رجال الدولة وأرباب الوظائف على حسب رتبة كل منهم [1].

ب- الأحتفال بالمولد النبوي :-

كان الأحتفال بالمولد النبوي في الدولة الفاطمية يتميز بكثرة مايوزع فيه من الصدقات والأطعمة والحلوى ، فكان يخصص من مال النجاوي التي يدفعها أتباع المذهب الفاطمي مقدار ستة ألف درهم توزع على سبيل الصدقة في هذه المناسبة [2].

وكانت دار الفطرة تستعد للأحتفال بهذا اليوم بإعداد كميات كبير من الحلوى اليابسة يستخدم في أستعمالها عشرون قنطار من السكر وتعبا في ثلثمائة صينيه من النحاس ويجري توزيع هذه الحلوى على رجال الدولة من أول النهار إلى الظهر[3].

أهتم الخلفاء الفاطميون بالأحتفال بليلة مولد النبي صلى الله عليه وسلم أحتفالاً باهر يليق بمكانته العظيمة في نفوس المسلمين وكان الإحتفال بمولد النبي صلى الله عليه وسلم بدعة في نظر المتمسكين بالعادات الإسلامية وكانت بداية هذا الأحتفال القرن الرابع الهجري ومن المظاهر الدينية المالوفة في هذا العيد قراءة السيرة في المساجد [4].

الأحتفال الرسمي بالمولد يبدا بعد صلاة ظهر اليوم الثاني عشر من شهر ربيع الأول فيخرج قاضي القضاء على رأس موكب وبصحبته الشهود العدول والمكلفون بحمل صواني الحلوى ويتجه الجميع إلى الجامع الأزهر وهناك يجلس القاضي في مدة لسماع القرآن حتى ختم

---

[1]/ القلقشندي ،المصدر السابق ، 507 .
[2]/ المقريزي ، الخطط ج1 ، ص 432 .
[3]/ نفس المصدر ، ص 432 .
[4]/ آدم متز / الحضارة الإسلامية ، ص 250 .

المصحف ، ثم يعود الموكب إلى القصر وقد أحتشد الناس في الطريق لمشاهدته ، عند وصول الموكب القصر يستدعى صاحب الباب قاضي القضاء ومن في صحبته فيدخل الجميع عند أقترابهم من المنظر وينتظرون تحتها وهم متشوقون لروية الخليفة [1] بعد فترة تفتح أحدى طاقات المنظرة ويظهر وجه الخليفة وحوله من المقربيين من الأساتذة المحنكين ورجال الحاشية ويخرج أحد الأستادين يده من طاقة أخرى ويشير بكمة قائلاً (أمير المؤمنين يرد عليكم السلام) ثم يبدا بعدها الأحتفال في القصر بقراة القرآن ويتباري خطباء الجوامع الكبرى في الخطابة وذكر مناقب الرسول (ص) وما يناسب هذه الذكرى الجليلة ويختمون خطاباتهم بالدعاء للخليفة فاذا أنتهى الأحتفال اخرج الأستاذ يده من الطاقة للقاضي وجماعته مشيراً برد سلام الخليفة كما تقدم ثم تغلق الطاقات وينصرف الجميع إلى دورهم [2] أما العامة فكانوا يحتفلون بهذه المناسبة بالخروج إلى الجوامع والاحتشاد لمشاهدة موكب قاضي القضاة وحول القصر لمشاهدة الخليفة عند ظهوره من المنظر كما أنهم كانوا يحتفلون في دورهم بإعداد الأطعمة الفاخرة وأصناف الحلوى ويدخلون السرور على أولادهم بشراء الحلوي من الاسواق وكان سوق الحلاوين في العصر الفاطمي يحوي في المواسم والأعياد أصناف الحلوى المختلفة التي تصنع من الكروات تاخذ أشكالاً مختلفة مثل الخيول والضباع والقطاط وكان يشتري منها الناس في هذه المناسبات فلا يبقى جليل ولا فقير حتى يبتاع منها لأهله وتمتلى أسواق البلدين مصر والقاهرة واريافها من هذا الصنف [3].

ج- الأحتفال بشهر رمضان :-

يبدا الأستعداد لشهر رمضان قبل حلوله بثلاثة أيام فيقوم القا ضي بالمرور على الجوامع ومساجد القاهرة والفسطاط للنظر في مايلزمها من فرش وأضاءة كما كان من عادة الخلفاء

---

[1]/ القلقشندي ، المصدر السابق ، ج3 ، ص 498 ؟

[2]، نفس المصدر ،ص 499 .

[3]/ عبد المنعم عبد الحميد ، مرجع سابق ، ص 148 .

الفاطميين أن يأمروا باغلاق جميع قاعات الخمارين وتختم حوانيتهم ويمنع بيع الخمر من أول رجب حتى نهاية شهر رمضان [1].

كان عادة الفاطميين للاعلان عن بداية شهر رمضان بخروج الخليفة في موكب رسمي كبير وترسل الكتب والشارات إلى ولاة الأعمال والبلاد الخاضعة لنفوذ الفاطمي وكان هذا الموكب بمثابة اعلان ببدء شهر رمضان وهو بديل الأحتفال برؤية الهلال عند أهل السنة [2].

كان شهر رمضان مناسبة لاظهار بزخ الدولة الفاطمية وثرائها بما تضفيه على رجالها من صنوف الجود والعطايا في أول يوم من شهر رمضان يرسل لجميع الأمراء وغيرهم من أرباب الرتب والخدم لكل واحد طبق ولكل واحد من أولاده ونسائه طبق فيه حلواء وبوساطة صرة من الذهب فيعم ذلك سائر أهل الدولة ويقال لذلك غرة رمضان [3].

كانت الموائد الرسمية التي تنفق عليها الدولة تقام داخل القصر في الجوامع الكبرى ليظهر عليها الناس على اختلاف طبقاتهم فمنذ عهد الخليفة العزيز بالله كان يعمل سماط في مقر الشرطة لمدينة الفسطاط طوال شهر رمضان لرواد جامع عمرو لتناول الأفطار على نفقة الدولة كما كانت الموائد تمد في أروقة الجامع الأزهر طول شهور رجب وشعبان ورمضان [4].

بعد أنتهاء سماط الأفطار يبدا أحتفال ديني كبير يحضره الخليفة ويتبارى القراء في تلاوة القرآن باصوات فيها تطريب ثم المؤذنون بالتكبير وذكر فضائل السحور ويختمون بالدعاء للخليفة ، وياتي بعدهم دور الوعاظ فيذكرون فضائل شهر رمضان ثم ياتي دور الصوفية فتقوم جماعاتهم بالرقص و المديح وذكر مناقب الرسول وأهل البيت [5].

---

[1]/ المقريزي ، الاتعاظ ، ج3 ، ص 82 ،
[2]/ المقريزي ، الخطط ، ج1 ، ص 491 .
[3]/ نفس المصدر ، 491 .
[4]/ نفسه ، ص 492 .
[5]/ المقريزي ، الخطط ، ج1 ، ص 491 .

كان عامة الناس وخاصتهم يستقبلون شهر رمضان بالبهجة والانطلاق فتزدحم المساجد بالمتعبدين وتمتلي الأسواق بالحركة والنشاط وتعم البيوت أنواع الحلوى والأطعمة التي يتميز بها هذا الشهر مثل القطائف والكنافة وكان سوق الشماعين في شهر رمضان يكتظ بالمشترين الذين يقبلون على شراء الشموع وكانت الفوانيس المضاءة بالشموع منتشرة في العصر الفاطمي ويحملها الصبية في ليالي رمضان في الطرقات وهم في طريقهم إلى الجوامع [1] للصلاة ومشاهدة الأحتفالات الدينية وكان للفانوس وظيفة مهمة في ذلك الوقت فكان يوضع فانوس مضاء على مئذنة الجامع وعند حلول موعد الأمساك عن الطعام يقوم المؤذن باخفاء الفانوس فيكون علامة للناس عن بداية صوم يوم جديد [2] .

جرت عادة الخلفاء الفاطميين على الخروج في مواكب كبيرة على غرار موكب أول العام وغرة رمضان وذلك لصلاة الجمع الثلاث الاخيرة من شهر رمضان فبعد الأنتهاء من الأحتفال بأول رمضان لا يخرج الخليفة للصلاة في الجمعة الأولى وكانوا يطلقون عليها جمعة الراحة [3] في الجمعة الثانية يركب الخليفة إلى جامع الحاكم في موكب كبير مرتديا ملابساً بيضاء ومعه القراء والجنود وتوزع الأموال في الطرقات وهي الصدقة أثناء سير الموكب حتى يصل الموكب الجامع للصلاة ويعلق على المحراب الستر الحريرية المكتوب عليها البسملة وفاتحة الكتاب والأيات التي يسقراها الخليفة أثناء أمامته للصلاة [4].

وفي الجمعة الثالث يركب الخليفة للصلاة بالجامع الأزهر وتتم طبقاً لرسوم السابق ذكرها أما الجمعة الرابعة فيهتم أهل القاهرة والفسطاط أهتمام كبير بخروج الخليفة للصلاة في الجامع العتيق [5].

---

[1]/ المقريزي ، التغاظ ، ج2 ، ص 96 .
[2]/ ابن شاكر ، فوات الوفيات ، تحقيق أحسان عباس ، بيروت ، 1973م ، ج3 ، ص29 .
[3]/ المقريزي ، التغاظ ، ج2 ، ص 83 .
[4]/ القلقشندي ، المصدر السابق ، ج3، ص 505 .
[5]/ نفس المصدر ، ، ج3 ، ص 507 .

أستمرت تلك الرسوم في صلاة الجمع الثلاث من رمضان متبعة حتى نهاية عصر الدولة الفاطمية مع بعض التغيرات أحياناً فكان من عاده الخليفة العزيز الخروج للصلاة بالناس طوال شهر رمضان ، كما كان الخليفة الحاكم يصلي بالناس في بعض الأحيان الجمع الأربع من رمضان [1].

د- الأحتفال بعيد الفطر :-

كانت الأحتفالات بعيد الفطر لها طابع مميز في عهد الدولة الفاطمية فهو عندهم الموسم الكبير، كما كان يطلق عليه (عيد الحلل) لتوزيع الكسوات على جميع موظفي الدولة كبيرهم وصغيرهم فتعم الجميع من الخليفة إلى أدني موظفي القصر [2].

بدا الفاطميون أحتفالهم الرسمي بهذا العيد منذ قدوم لمعز لدين الله ، إلى مصر سنة(362هـ/972م) أن المعز ركب في هذا العام لصلاة عيد الفطر إلى مصلى العيد التي تقع شرقي القصر الكبير بجوار باب النصر وقد بناها القائد جوهر لهذا الغرض [3].

في سنة (380هـ/990م) خرج الخليفة العزيز في موكبه لصلاة عيد الفطر في هذه المصلى ، وقد أقيمت لهذا الغرض مصاطب على الطريق الذي يسلكه الخليفة بين المصلى والقصر ، ووضع عليها المؤذنون ويجلس على كل مصطبة جماعة من أنصار الدولة من الشيعة تخرج بأسمائهم كشوفات من قاضي القضاة وداعي الدعاة فيجلس هؤلاء الأتباع على المصاطب حسب ترتيب أسمائهم وكان التكبير والابتهالات تبدا من القصر إلى المصلى بين المؤوذنين والخليفة يخترق هذا الطريق في موكبه الفخم الذي يضم طوائف العسكر في أبهى زينة وكان يشترك في هذه الموكب الفيلة والزرافات والأسود المزينة بالأجلة من الحرير وعليها قباب الذهب [4].

---

[1]/ المقريزي ، اتغاظ ، ج2 ، ص 103 .
[2]/ المقريزي ، خطط ، ص 452 .
[3]/ نفص المصدر ، ص 451 .
[4]/ القلقشندي ، مصدر سابق ، ص 509 .

وعند وصول الخليفة إلى المصلى كان يؤم الناس في صلاة العيد وفي طريق عودة الخليفة إلى القصر يحتشد الناس لمشاهدة الألعاب التي يقوم بها طائفة من أهل برقة يطلق عليهم (صبيان الخف) تخصصت في الألعاب البهلوانية وكانت الدولة تخصص لها أقطاعات ومرتبات ورسوم [1] وكانت هذا الألعاب والاستعراضات تجرى أمام الخليفة في عيدي الفطر والأضحى وفي موكب فتح الخليج [2].

وكان من عادة الخلفاء في هذه المناسبة أن يزوروا(تربة الذعفران)* التي تحوى رفات الخلفاء السابقين للترحم عليهم وتوزيع الصدقات [3] كان أهم مظاهر الأحتفال بعيد الفطر توزيع الحلوى على جميع موظفي الدولة وأقامة الأطعمة الفخمة التي تحوى كل طريق في القصر ، وقد أنشئ لهذا الغرض مطبخ ضخم لصنع الحلوى أطلق عليه (دار الفطرة) وقد أنشئت في عهد الخليفة العزيز بالله وهو أول من بنى دار الفطرة وقرر فيها عمل ما يحمل للناس في العيد ويبدا العمل في هذه الدار منذ نصف رجب فيخزن داخلها كميات كبيرة من السكر والعسل وقلوب اللوز والجوز والفستق والبندق والدقيق والتمر والزبيب والمواد العطرية [4].

تخزن هذه الأصناف في مخازن داخل دار الفطرة وكان الخليفة يحضر بنفسه بصحبة الوزير للاطمئنان على سير العمل في النصف الثاني من شهر رمضان ثم يبدا من هذا التاريخ توزيع الحلوى على جميع أرباب الرتب في الدولة والموظفين في صواني تحمل كل صينية أسم صاحبها وتختلف حجم الصينية وكمية الحلوي على حسب مكانه كل فرد ويحمل هذه الحلوى فراشون مخصصون لهذا العمل وهم في أتم زينة يرتدون الثياب الفاخرة [5].

---

[1]/ المقريزي ، خطط ، ج2 ، ص 12 .

[2]/ المقريزي ، خطط ، ج1 ، ص 457 .

*/ تربة الذعفرات تعرف بهذا الأسم أو التربة المعزية وكانتى من جملة القصر الكبير وفيها دفن المعز لدين الله أباءه أخضرهم في توابيت معه من بلاد المغرب واسنوت مدفناً للأسرة الحاكمة .

[3]/ نفس المصدر ، ص 454 .

[4]/ عبد المنعم عبد الحميد ، مرجع سابق ، 162 .

[5]/ نفس المرجع ، نفس الصفحة .

كان عيد الفطر من المناسبات التي ترسل فيها المكاتبات العطرة إلى أنحاء الدولة الفاطمية والأقطار الخاضعة لها تصف عظمة موكب الخليفة وعودته سالماً إلى قصره وأنتهاء الأحتفالات بسلام دون فتن أو قلاقل لتنزاع هذه الأخبار في الجوامع ليعلم الجميع ذلك [1].

هـ- الأحتفال بعيد الأضحى :-

كانت الأحتفالات بعيد الأضحى في الدولة الفاطمية تبدا منذ الأول من ذي الحجة فتنعقد مجالس الشعراء في القصر وفي دار الوزارة ويتبارى الشعراء في مدح الخليفة والوزير وكان يجرى توزيع أموال الصدقة على الأطفال والأيتام والفقراء من أهل القاهرة والفسطاط [2].

كان يوم التاسع من ذي الحجة هو يوم الهناء بعيد النحر فيجلس الوزير في داره عند أذان الصبح ويستقبل وفود المهنئين على طبقاتهم من أرباب السيوف والأقلام والأمراء والشعراء ، وبعدها يتوجه الوزير إلى القصر ليقدم التهاني للخليفة ويتبعه الأمراء ورؤساء الدواوين وكبار رجال الدولة والبطريرك على راس كتاب الدولة من النصارى ورئيس اليهود ومعه كتاب الدولة من اليهود ثم يدخل الشعراء لتقديم القصائد في هذه المناسبة [3].

كانت طريق الأحفتال المتبعة في موكب صلاة عيد الأضحى لاتختلف عن عيد الفطر الإ أن الخليفة كان يرتدي في هذه المناسبة حلة من اللون الأحمر وتكون مظلته أيضاً حمراء اللون وكانت ملابسه في عيد الفطر البياض ويبدو أن اللون الأحمر فى عيد الاضحي يرمز إلى دم الاضاحي [4].

كانت توزع على كبار رجال الدولة الكسوات والخلع لهذا المناسبة كما كانوا يمنحون الهبات المالية وكان يطلق على هذه الكسوات كسوة عيد النحر [5].

---

[1]/ القلقشندي ، صبح ، ج8 ، ص 313 .
[2]/ المقريزي ، اتغاظ ، ج1 ، ص 95 .
[3]/ المقريزي الخطط ، ج1 ، ص 442 .
[4]/ عبد المنعم عبد الحميد سلطان ، مرجع سابق ، ص 167 .
[5]/ نفس المرجع ، ص 167 .

2/ الأعياد والأحتفالات الشيعية الخاصة :-

جرت عادة الخلفاء الفاطميين في مصر على الأحتفال باعياد خاصة بالمذهب الشيعي الاحياء ذكرى أحداث هامة في تاريخ الحركة الشيعية وتطورها مثل مقتل الأمام الحسين وعيد غدير وغيرهما من الأعياد ذات الطابع المذهبي ورغم أن هذه الأعياد تخص الشيعة والفاطميين نلاحظ أن جمهور الشعب المصري لم يكن يانف من الأشتراك فيها والأقبال على ما تقدمه الدولة من بزخها وثرائها ممثلاً في الهبات والموائد والصدقات التي لايخلوا عيد من أعياد الدولة الفاطمية منها رغم أن البعض لم يكونوا على مذهب الدولة الشيعي [1].

أ- **الأحتفال بذكرى مقتل الحسين (يوم عاشوراء) :-**

كانت ذكرى مقتل الحسين في مذبحة كربلاء في العاشر من المحرم سنة(61هـ/680م) من المناسبات الحزينة في الدولة الفاطمية وكان أول أحتفال بتلك الذكرى في مصر في العصر الفاطمي سنة (363هـ/973م)، وذلك بخروج جماعات كبيرة من الشيعة إلى الطرقات في حراسة جنود المغاربة وهم يصيحون بالنياحة والبكاء على الحسين ويوجهون السباب إلى من تجرأ على فتح حانوته وممارسة العمل من الناس [2].

وفي تلك الذكرى الحزينة قاموا بمهاجمة الأسواق واتلفوا أواني السقايين ومنعوا التجار وأصحاب الحوانيت من ممارسة نشاطهم المعتاد، مما أدى إلى وقوع أشتباكات بينهم وبين هولاء وتدخل القائد المغربي أبو محمد الحسن بن عمار وفصل بين الفريقين وحسم الأمر قبل وقوع الفتنة [3].

ويبدو أن الطريقة العنيفة التي لجا إليها الشيعة في التعبيرعن حزنهم في ذلك اليوم كانت متنفس عن الضغط والاضطهاد الذي تعرضوا له في عهد الدولة الاخشيدية في تلك المناسبة

---

[1]/ المقريزي ،اتعاظ ، ، ص 175 .
[2]/ المقريزي ، خطط ، ج1 ، ص 430 .
[3]/ نفس المصدر ، ص 431 .

فكان الجند السوداني في عهد كافور الاخشيد يقبضون على الشيعة في ذكرى عاشوراء ويجردونهم من ثيابهم ويوجهون لهم الإهانات، لذلك قويت انفس الشيعة بكون المعز في مصر[1].

كان هذا اليوم يحتفل به عند اعدا الدولة الفاطمية و مخالفيها كمظهر للفرح والأبتهال لذلك كان الفاطميون يردون على هذا في خطبة الجمعة التالية لهذا العيد فيذكرون مصاب الحسين وتكريم الله سبحانه وتعالى له بالشهادة في هذه اليوم ويهاجمون بني أمية ويتهمونهم بالفسق ويلعنونهم لانهم السبب في مقتل الحسين [2].

وكان الخلفاء الفاطميون يحتجبون في ذكرى مقتل الحسين عن الظهور تعبيراً عن حزنهم وجزعهم وتعطل الأسواق وتقف حركة التعامل وتخرج جماعات الشيعة المنتشرون في الطرقات يتصايحون بالبكاء وتتجه الجموع إلى الجامع الأزهر ، حيث يجرى الأحتفال الرسمي الذي يراسه قاضي القضاة والأعيان قراء الحضرة والعلماء ويبدا الأحتفال بقراءة القرآن ثم يتبارى الشعراء والمنشدون في ذكر المراثي في الحسين وأهل البيت فيصيح الحاضرين بالبكاء والنحيب[3].

وعند الظهر يتوجه المجتمعون بالأزهر إلى القصر الذي يجرد في هذا اليوم من مظاهر الزينة ثم يفرض سماط الحزن الذي يحتوى على أنواع خاصة من الطعام تتفق مع الذكرى الحزينة في هذا اليوم فلا يقدم غير العرس والملوحات والمخللات والأجبان والألبان الظازجة وعسل النحل والفطير والخبز المغير لونه بالقصر، ثم يدعى الحاضرون إلى تناول الطعام ولايجبرا أحد على تناوله وقد أظهر الجميع الحزن فأذا أنتهت المائدة خرج الجميع إلى دورهم [4].

---

[1]/ المقريزي ، اتغاظ ، ج1 ، ص 145 .
[2]/ القاضي النعمان ، المجالس المسابدات ، ص 397 .
[3]/ عبد المنعم عبد الحميد سلطان ، مرجع سابق ، ص 175 .
[4]/ المقريزي ، الخطط ، ج1 ، ص 431 .

كان تعبير الشيعة عن حزنهم في تلك الذكرى يحمل الكثير من مظاهر المغالاة والفوضى والخروج عن المالوف وكانت تحدث نتيجة لذلك اضطرابات واعتداءات على أموال الناس وحرماتهم، مما دعا الخليفة الحاكم لأمر الله أصدارقرار بمنع النساء من الخروج من دورهن في تلك المناسبة [1].

ب- يوم الغدير :-

من الأعياد الخاصة التي يحتفل بذكراها الشيعة الفاطميون فهذا العيد يحمل ذكرى دعامة هامة من دعائم دعوتهم التي توكد أحقية على بن أبي طالب في الخلافة بعد وفاة النبي وأحقية الخلفاء الفاطميون بالتالي لهذه الخلافة بسبب أنتسابهم إلى على وزوجته فاطمة ، ويجرى الأحتفال بهذا العيد في الثامن من ذي الحجة ففي مثل هذا اليوم أوصى النبي لأبن عمه على بالأمامة على المسلمين من بعده ، وذلك عند عودته من حجة الوداع سنة (10هـ / 632م) [2] نزل بمكان بين مكة والمدينة يعرف بغدير خم به عين ماء وحوله شجر كثير وبعد أن صلى الظهر مع جماعة من صحابته أخذ بيد على بن أبي طالب وقال : الستم تعلمون اني أولى بالمؤمنين من أنفسهم قالوا : بلى ، قال : الستم تعلمون اني أولى بكل مؤمن من نفسه ، قالوا : بلى، فقال: من كنت مولاه فعلئ مولاه، اللهم وال من ولاه وعاد من عاده ، وأنصر من نصره وأخزل من خزله ، وادر الحق معه حديث دار [3].

ويفسر فلاسفة المذهب الشيعي هذا الحديث بما يؤكد أن النبي يقصد الوصاية بالخلافة من بعده لعلي بن أبي طالب وأن من جاء بعده من الخلفاء قد اغتصبوا حقه الذي أوصى به النبي (ص) [4].

---

[1]/ المقريزي ،الخطط ،مصدر سابق ، ، 431 .
[2]/ عبد المنعم عبد الحميد ، مرجع سابق ، ص 179 .
[3]/ المقريزي ، الخطط ، ج1 ، ص 388 .
[4]/ عبد المنعم عبد الحميد ، مرجع سابق ، ص 179 .

بدأ الأحتفال بهذا العيد في مصر الفاطمية منذ دخول المعز لدين الله إليها في سنة (362هـ/ 972م)، فقد تجمع عدد كبير من أهل مصر والمغاربة من الشيعة لدعاء والأحتفال فابتهج المعز لذلك[1].

ويرى الباحث أن الأحتفال في أول مرة كان بسيطاً ثم أصبح بعد ذلك من الأحتفالات الكبيرة التي تتناسب مع أهمية المناسبة المحتفل بها .

وكانت طريقة الأحتفال بهذا العيد في عهد الخليفة العزيز بان المتشيعين قد أجتمعوا قي الجامع الازهر في أعداد كبيرة ومعهم القراء والفقهاء والمنشدين وأقاموا أحتفالاً كبيراً أشتمل على قرأة القرآن والوعظ والأنشاد وذكر المناسبة المحتفل بها ودلالاتها المذاهبية وأستمر الأحتفال حتى الظهر حيث توجهت الجموع إلى القصر فاخرج لهم العزيز الهبات [2].

وقد تطور الأحتفال بعيد الغدير في أواخر عهد الدولة الفاطمية فاصبح له رسوم محددة وركوب خاص يطلق عليه (ركوب عيد الغدير) وكان هذا الركوب يتم بصورة مختصرة فيخرج موكب الخليفة فيه بدون مظلة ويتعدي الموكب نطاق القاهرة وتبدا مرسم الموكب باستدعاء الوزير إلى القصر فيخرج الخليفة راكب ومن حوله رجاله ومن خلفه الأمراء ثم طوائف الجند ثم يتبع هولاء الوزير ثم أرباب الرتب في الدولة وفي النهاية والي القاهرة ووالي مصر (الفسطاط) ويتحرك هذا النظام حتى يصل إلى المشهد الحسيني فيكون في أنتظار الخليفة القاضي وحوله الشهود، فيسلم القاضي بتقبيل رجل الخليفة التي قبالته ثم يعود الموكب إلى القصر ويدخل المشتركين فيه إلى الديوان الكبير ويبعد الأحتفال ويذكر حديث بالوصاية لعلي وبعد أنتهاء الخطبة ينزل القاضي ويصلي بالحاضرين ركعتين ويتبادل أنصار المذهب التهاني بهذه المناسبة ثم ينصرف الحضور [3].

---

[1]/ المقريزي ، اتعاظ ، ج1 ، ص 389 .
[2]/ نفس المصدر ، ص 390 .
[3]/ عبد المنعم عبد الحميد ، مرجع سابق ، ص 179 .

وكان من مظاهر الأحتفال بهذا العيد عتق الرقاب وتزويج الأيامي لمن يرغب في ذلك دون مقابل، وصار موسما يرصده كل أحد ويرتقبه كل غني و فقير، وكانت الدولة توزع في هذا العيد الملابس والهبات المالية علي رجال الدولة وأرباب الوظائف فيها [1] وكان الخليفة يتوجه في الصباح الباكر من هذا اليوم إلى المنحر ويذبح بنفسه أعداداً كبيرة من الأضاحي حتى تفوق ما يذبح في عيد الأضحى فهذا العيد عندهم أعظم من عيد النحر [2].

ثانياً: الطعام والشراب :-

أـ الحبوب والبقول :-

تمتاز مصر بوفرة أنتاجها من الغلال والبقول مثل القمح والشعير والعدس والحمص والفول وغيرها ومعظم هذه الزراعات تدخل في غذاء الشعب المصري ويعد الخبز من أهم عناصر الطعام على المائدة المصرية سواء في ذلك طعام العامة أو الخاصة حتى مائدة الخليفة الفاطمي لم تكن تخلو من الخبز [3] لذلك كانت جودة الخبز والمحافظة علي نظافته موضع أهتمام في الدولة الفاطمية والمسئولين فيها فكانت الدولة الفاطمية تراقب المطاحن عن طريق المحتسب وأعوانه وتشترط على الطاحنين ضرورة غربلة الغلة ولا يخلطوا الغلة بأنواع أخرى أقل قيمة من القمح مثل الشعير أو الفول أو الحمص وكانت عملية عجن الدقيق تخضع لشروط دقيقة الهدف منها المحافظة على نظافة الخبز وقد أصدر الخليفة الحاكم مرسوماً في سنة (395هـ / 1004م) يحرم على الخبازين استخدام ارجلهم في العجن [4].

ومن أنواع الخبز في العصر الفاطمي، الخبز الخشكار وهو أقل أنواع الخبز ثمناً ولايقبل عليه الناس بسبب سواد لونه لانه يصنع من الدقيق الغير منخول وكان معظم ما يخبزه أهل القاهر والفسطاط هو الخبز الحواري وهو مصنوع من الدقيق الأبيض المنخول وكان أغلى

---

[1]/ المقريزي ، خطط ، ج1 ، ص 390 .
[2]/ نفس المصدر ، ص 390 .
[3]/ نفسة ، 391 .
[4]/ عبد المنعم عبد الحميد ، مرجع سابق ، ص 275 .

سعرمن الخشكار ، أما الخبز المميز فكان أغلاها ثمناً لأنه يصنع من أرقى أنواع الدقيق، وكان يصنع للخليفة الفاطمي خبز خاص يسمى الخبز الموائدي [1].

كان الخبز اليابس المعروف بالكعك يؤكل في القرى ويخزن لفترات طويلة كما كان الكعك يعتبر طعام، أسياسياً لرجال الأسطول في عهد الدولة الفاطمية لامكانية تخزينه لفترات طويلة، والطريف أن الخبز اليابس كان يستخدم في ذلك الوقت كوسيلة للتعامل والتبادل فيشتري به الناس بعض الأشياء ويدفعونه ثمناً لدخول الحمامات [2].

وكانت الدولة الفاطمية تراقب عملية أنتاج الخبز حتى يظل متوفراً في الأسواق ومن وظيفة المحتسب تسجيل أسماء الخبازين وأماكن حوانيتهم ويحدد لكل خباز كمية من الدقيق يخبزها كل يوم ويلتزم الخباز بذلك [3].

كان الفول من الأطعمة التي يقبل عليها الناس وكان يوكل اخضر كمان كان يوكل مسلوقاً ويضاف إليه الفلفل والملح والبهارات وكان احياناً يطبخ بالسمن واللبن ويطلق عليه البيسار . وكان الترمس من الحبوب التي يقبل الناس على أكلها فكان يسلق وينقع في الماء عدة أيام لتذهب مرارته وكان الترمس أذا ترك لفترات طويلة عند الباعة يصبح غير صالح ويضر باكلية لذلك أصدر الحاكم في سنة (399هـ / 1008م)، قرار بمنع بيع بعض أنواع الأطعمة من بينها الترمس المعفن [4].

أما الأرز يزرع في مصر بكميات وفيرة وكان من الأطعمة الرئيسية لسكان السواحل المصرية حيث يطحنونه مع السمك وكثيراً ما يدخل الأرز في صناعة أنواع متعددة من الحلوى فكان يطبخ باللبن ودهن الوز وبطرق أخرى متعددة، أما العدس الأسود والمقشر فكان من

---

[1]/ عبدالمنعم عبدالحميد ،مرجع سابق ، ، 276 .
[2]/ نفسة ، ص276 .
[3]/ الشيرازي ، نهاية الرئية ، ص 22 .
[4]/ عبد المنعم عبد الحميد ، مرجع سابق ، ص 246 .

الأطعمة التي تقبل عليها العامة وكان يوضع على مائدة الخليفة في سماط الحزن بمناسبة الاحتفال بيوم عاشوراء [1]

ب- اللحوم :-

تعد الحوم من عناصر الغذاء الرئيسية والتي تدخل في صناعة الكثير من الأطعمة في مصر وتعتبر من العناصر التي تعتمد عليها الأسرة المصرية في العصر الفاطمي فكانت من بين المشتريات اليومية للأسرة المصرية [2].

كانت الأسواق في مصر الفاطمية تحتوى على أعداد كبيرة من حوانيت باعة اللحوم النية والشوائين والطباخين الذين يستخدمون في طباختهم لحوم الحيوانات المختلفة والطيور وكانت الدولة الفاطمية تصدر قرارات في بعض الأحيان بمنع ذبح الأبقار محافظة على الثروة الحيوانية وحتى تستخدم في أعمال الزراعة ولا يصرح بذبحها إلا في عيد الأضحى [3].

كانت (الهريسة) من أهم أنواع الأطعمة المنتشرة في مصر في العصر الفاطمي وتدخل في صناعتها لحوم الضان والبقر والدجاج ودقيق بعض الحبوب مثل القمح بالإضافة إلي البصل والتوابل وهنالك نوع من الهريسة تسمى هريسة الفستق يدخل فيها الفستق ولحم الدجاج وكانت الهريسة تعد من أفضل الأطعمة في فصل الشتاء لما تمتاز به من دسم وتوابل ومواد تبعث على الدفاء [4].

من أصناف اللحوم التي أشتهرت صناعتها في ذلك العصر (الطباهجة المشققة) وتصنع من اللحوم المقطع شرائح وتقلى في الدهن ويدخل في صناعتها أحياناً البصل والبيض يطلق

---

[1]/ عبد المنعم عبدالحميد ، المرجع السابق، ص 247 .

[2]/ جروهما ادولف ،اوراق البردي العربية ، ج6 ، القاهرة ،الطبعة الثانية ،1934-1945م ص 167 .

[3]/ المقريزي ، الاتعاظ ، ج2 ص 35 .

[4]/ عبد المنعم عبد الحميد ، مرجع سابق ، ص250 .

في هذه الحالة (الكباب الشامي) وذلك بأن يدق اللحم ودقاً ناعماً ويضاف إليه البصل ثم يقلى دهن الشيرج [1].

وكان أهل مصر يطبخون اللحوم مع البقول والخضر بان تقطع مع البامية ويقال أن الملوخية أنتشرت في مصر في عهد الخليفة الفاطمي المعز عندما أقترح عليه الأطباء اكلها كعلاج من يسئ مزاجه وعوفى من مرضه فأكثر المعز وحاشيته من أكلها وسموها ملوكية فحرفتها العامة وقالت ملوخية [2].

من مشهيات الطعام المخللات وكان الباذنجان ينقع في الماء والملح بعد تقطيعه ثم يقلى في الزيت بالإضافة إلى تمليحه حيث يضاف إليه بعد سلقه الخل الحاذق والفلفل وأنواع التوابل، كما كانت المخللات تصنع من الخيار والبصل والثوم والزيتون وغيرها وكانت الملوحات والمخللات تقدم في سماط ذكرى عاشوراء على مائدة الخليفة تعبيراً عن الحزن [3].

ومن المواد المستخدمة في المطبخ المصري بالإضافة الحلوم والخضروات زيت الزيتون والشيرج (زيت السمسم) والتوابل والخل وغيرها [4].

ج- الشراب :

إذا كان الخبز هو الطعام الذي لاتخلو منه المائدة المصرية علي مر العصور فإن الماء يعتبر الشراب الرئيسي عن تلك المائدة، والمصدر الرئيسي لماء الشرب في مصر هو نهر النيل ويتفرع منه ترع وقنوات وكان يُفضل شرب ماء النيل من مكان يجري فيه الماء حتي لايكون عفناً، وكان الماء ينقل الي الدور والحوانيت عن طريق السقايين الذين يخضعون لمراقبة

---

[1]/ احمد بن محمد أبن عبد ربه الاندلسي ، العقد الفريد (الطعام والشراب) تحقيق عبدالحميد الرصيني ،ج8،دار الكتب العلمية ،بيروت،لبنان ،الطبعة الاولي ،1404ه ،1983م، ، ص 98 .

[2]/ عبد المنعم عبد الحميد ، مرجع سابق ، ص255 .

[3]/ نفس المرجع ، ص 256 .

[4]/ أوراق البردي ، ج5 ، ص 52 .

المحتسب وأعوانه وكان المحتسب في الدولة الفاطمية يلزم السقايين بتغطية ماينقلونه من ماء للمحافظة علي نظافته [1]

كانت مهمه السقايين تقتصر علي حمل الماء من مصادره الأصلية وتوصيله الي الناس دون الإلتزام بإعداده ليكون صالحاً للشرب، فكان هذا الأمر يقوم به الشاربون أنفسهم ومن الطرق التي كانت تتبع لتنقية ماء النيل وذلك بترسيب المواد الغريبة العالقة بالماء بإستخدام الطباشير وأنواع من الطين أو بتقطيره من أواني من الخزف والفخار أو الجلود وذلك بعد غليه وتركه حتي يبرد [2]

من الأشربة الشائعة في مصر في العصر الفاطمي (المزر) وهو شراب يتخذ من القمح وكان العامة يقبلون عليه وخاصة أثناء الإحتفال بالأعياد مثل عيد النيروز والشمس ويدخل في صناعته الزبيب والعسل ويصف بأنه أجود الأشربة [3] ومن أكثر الأشربة شهرةً في مصر هي شراب العسل وكان هذا الشراب ينقل من مصر إلي سائر الأقطار حتي أنه أطلق عليه الشراب المصري لإختصاص مصر بصناعته[4]

كانت صناعة الخمور منتشرة في العصر الفاطمي ويختص بصناعته الأقباط في موسم نضج الكروم فكانت تعتصر الكروم ويضاف اليها العسل لذلك نجد الخليفة الحاكم أصدر أوامره بمنع الناس من شراب الخمر وحدد كمية مايباع من العسل بما لايزيد عن ثلاثة أرطال ولايتجاوز مايباع من العنب عن أربعة أرطال وحُزر من إعتصاره [5]

كان شراب الفقاع من المشروبات المنتشرة في العصر الفاطمي ويبدو أن بعض أنواعه كانت مسكرة ، لذلك حرم الخليفة الحاكم شرب الخمر والفقاع وهناك عدة أنواع من الفقاع كانت

---

[1]/ عبدالمنعم عبدالحميد سلطان ،مرجع سابق ، ص 270

2/ المغريزي ، الخطط ، ج 1 ، ص 65

3/ عبدالمنعم عبدالحميد ، مرجع سابق ، ص 272

4/ نفس المرجع ، ص 272 .

5/ المقريزي ، الخطط ، ج1 ، 272

منتشرة في ذلك الوقت من بينها شراب (الكشكاب) الذي كانت تنتشر صناعته في المدن الساحلية وهو يصنع من دقيق الشعير ومواد أخري وشراب (الأقسما) وكان يصنع من السكر الأبيض النقي المضاف الي الماء وماء الورد ويطيب بالمسك ويبرد بالثلج، كما كان يطلق عليه الخرجي، وكان يصنع من شعير يُبل حتي يبدأ في الإنبات ثم يجفف ويسحق ويضاف اليه دقيق الحنطة ثم يسكب عليها ماء في درجة الغليان ويترك الشراب حتي يتخمر ثم يؤخذ مايصفو من مائه بعد أن يبرد فيحلي بالسكر [1].

ومن الأشربة المنتشرة في العصر الفاطمي شراب يعرف (بالجوارشي) كان يوضع بصفة يومية علي مائدة الخليفة ويصنع في دار الفطرة [2].

ثالثاً- دور المرأة في العصر الفاطمي :

1- النساء في العصر الفاطمي :

كانت القصور الفاطمية في مصر تضم أعداد كبيرة من النساء لايمكن تقديره وقد تنوعت مكانتهن الإجتماعية ، ومايقمن به من مهام ووظائف داخل القصر فكان علي رأسهن زوجات الخليفة وجواريه بالإضافة الي الخادمات اللاتي تستند اليهن أعمال مختلفة في القصر ، وكانت هناك أنواع من الوظائف لايشغلها إلا النساء ، مثل الإشراف علي المائدة الشريفة الخاصة بالخليفة وكان يقوم بهذا العمل إمرأة تحمل لقب (المعلمة مقدمة المائدة) كما كانت تتولي خزانة الملابس الخاصة بالخليفة وتعرف (بخزانه الكسوة الباطنه إمرأة تلقب (بزيت الخزان) [3].

وكانت خزانة الشراب وهي إحدي خزائن القصر المهمة يسند الإشراف عليها أيضاً الي إحدي نساء القصر المستخدمات بالإضافة الي عدد كبير من النساء اللأتي يقمن بالوظائف المختلفة

---

[1]/ عبدالمنعم عبدالحميد سلطان مرجع سابق ، ص 275

[2]/ القلقشندي ، مصدر سابق ، ج14 ،

[3]/ عبدالمنعم عبدالحميد سلطان مرجع سابق ، ص 105 .

في القصر ، كان يطلق عليهن المستخدمات أرباب الصنائع كما كان يقوم علي خدمة زوجات الخليفة ومن المقربين اليه عدد من النساء يطلق عليهن (المستخدمات عند الجهات العالية [1].

أما عن الألقاب التي حظي بها النساء في هذا العصر فهي نادرة ومن هذة الألقاب ماكان يطلق علي زوجة الخليفة التي كانت تتمتع بمكانة مرموقة في القصر . وكانت تُلقب (بالجهة العالية في حالة تعددهن أو الجهة المعظمة [2] أما زوجات الأمراء وكبار رجال الدولة لم يكن من حقهن التمتع بهذا اللقب وكان يطلق عليهن (الجهة فقط ، وكانت زوجة الخليفة أحياناً تنسب الي زوجها مثل (السيدة علم الامريه زوجة الخليفة ، وكان اللقب المنتشر بين نساء القصر من الأميرات بنات الخلفاء وأقاربهن لقب السيدة الشريفة [3].

2- الدور السياسي للمرأة في العصر الفاطمي :

لعبت بعض نساء القصر دوراً مؤثر في مجري الأحداث في العصر الفاطمي وكان لهن تأثير كبير في بعض الظروف سياسياً وإجتماعياً والمعروف أن ست الملك وولدتها المسيحية كانتا لهما تأثير كبير علي العزيز بالله ومحاباته لأهل الذمة ، كما كانت ست الملك الراس المدبر وراء إغتيال أخيها الحاكم بأمر الله [4] كما كان للخليفة لأمرالله جارية علي درجة كبيرة من العلم والثقافة وتجيد معرفة علوم الطب والنجوم والموسيقي وكانت تحب الخليفه الأمر وتحافظ عليه من المؤامرات التي يدبرها ضده وزيره الأفضل لدس السم له وقتله وكان لها دور كبير في تدبير مؤامرات إغتيال الأفضل وزوال خطره عن الخليفة [5]

لذلك تدخلت عمة الخليفة الحافظ في مؤامرة إغتيال الصالح طدائع بن رزيك سنة (556هـ / 1161م) الذي كان يسيطر علي أمور القصر لاسيما بعد ان زوج ابنتة للخليفة فتبرمت نساء

---

[1]/ عبدالمنعم عبدالحميد ،المرجع السابق، ص 110

2/ المقريزي ، اتغاظ ، ج 3 ، ص 86

3/ عبدالمنعم عبد الحميد سلطان ، مرجع سابق ، ص 111

[4]/ نفس المرجع ، ص 111 .

5/ ابو المحاسن ، مصدر سابق ،ج 5، ص 218

القصر من وطأته وتسلطه عليهم وأرادت عمة العاضد التخلص منه فأرسلت الأموال الي الأمراء المصريين ودعتهم الي قتله فلما دخل القصر ضربوه بالسكاكين فجرحوه جراحات مهلكة [1].

نساء العامة :

معظم المصادر التي وصفت نساء العامة لاتمدنا بتفاصيل كافيه عن حياتهن الخاصة وماكان يحترفن من أعمال ولكنه من البديهي أن المرأة كانت تقوم بالأعمال العادية في نطاق الأسرة كربة بيت بالإضافة الي ذلك فإن بعض الأعمال كانت تباشرها النساء وبوجه خاص مثل غسل الموتي من النساء والمزينات والقوابل وكان بعضهن يعملن في التجارة وخاصة بيع الغزل والملابس الجاهزة ، وكانت بعض النساء الفاضلات يعملن بالوعظ وإلقاء الدروس الدينية ومن أمثلة ذلك السيدة أم الخير الحجازية وكان لها رباط بإسمها في القرافة الكبري وكانت تعقد مجالس الوعظ للنساء في جامع عمرو بن العاص [2].

كانت النساء العجائز والأرامل موضع عطف ورعاية من الدولة وخاصة من جانب نساء القصر وزوجات الخلفاء وكانت النساء الثريات يشعرن بحاجة بني جنسهن الي تأمين حياتهن خاصة بعد وفاة الزوج ، ونجد أن زوجة الخليفة الامر أقامت داراً خاصة في(526هـ /1131م) للعجائز الأرامل يجدن فيها كافة حاجتهن وتجنبهن مزلة السؤال كما كان يخصص لعجائز القصر وأقارب الاشراف قصر خاص سكن يعرف بالقصر النافعي [3].

كانت القواعد الإجتماعية ترمي الي المحافظة علي المرأة ومنع تعرضها للمضايقات في حياتها العامة والخاصة فكان من المحظور أن يختلي رجل بإمرأة ليست له بمحرم في طريق أو غيره وكان المحتسب يراقب الآداب العامة ويتفقد المواضع التي يكثر إزدحام النساء فيها مثل

---

[1]/ أبن الاثير ، الكامل ، ج1 ، ص 103 .

[2]/ عبد المنعم عبد الحميد سلطان ، مرجع سابق ، ص 113 .

[3]/ المقريزي ، الخطط ، ج1 ، ص 408 .

الحمامات وسوق الغزل والكتان وشطط الأنهار ويمنع الشباب من الإنفراد بالنساء الا في عمل يتعلق بالبيع والشراء [1]

رغم ذلك فإن هذه القواعد الأخلاقية لم تكن تنفذ بدقة ويبدو أن بعض النساء قد أساء إستخدام الحرية التي يتمتع بها وكن يخرجن ليلاً ويختلطن بالرجال ولم يستجبن لزجر أزواجهن أو من يعولهن وغلب النساء علي أزواجهن علي الخروج مما دفع الخليفة الحاكم الي إصدار قرار في سنة (391هـ /1001م) لمنع النساء من الخروج من دورهن بعد العشاء [2].

وقد تعرضت المرأة في عهد الحاكم الي العديد من القرارات العنيفة والأفعال التي تتسم بالقسوة ولم يسلم من ذلك نساء القصور أو العامة ، ويروي أن الحاكم مر علي إحدي حمامات النساء فسمع صيحاتهن وأصوات غنائهن فأمر بأن يبني عليهن باباً فسد عليهن الحمام حتي متن جميعاً ، وبلغ به الأمر أن أخرج من قصره جماعة من خطاياه وأمهات واولاده ووضعهن في صناديق مثقلة بالحجارة وأغلقت عليهن وأمر بإلقائهن في النيل (2)[3] ولم يسلمن نساء البيت الفاطمي من قرارات الحاكم فقد صادر املاك والدته وعماته وحرمه وخواصه من النساء وحرمهن من كافة ممتلكاتهن والمعروف أنه أتهم أخته ست الملك في شرفها وكان يحقد عليها ويفكر في قتلها [4].

كانت أعنف القرارات الإجتماعية التي أصدرها الحاكم سنة (404هـ/1013م) ضد المرأة هو قراره بمنع النساء نهائياً من الخروج من دورهن الي الطرقات ليلاً او نهاراً حتي أنه حرم عليهن الظهور علي أسطح المنازل وأغلقت طاقات الدور [5].

---

[1]/ عبد المنعم عبد الحميد ، مرجع سابق ، ص 114 .

[2]/ النويري ، نهاية الأدب ، ج 26، ص 52

[3]/ عبدالمنعم عبدالحميد ، مرجع سابق ص 115

[4]/ نفس المرجع ، ص 116

[5]/ النويري ، المصدر السابق ، ص 57

ونخلص إلي القول ان الحياة الاجتماعية في الدولة الفاطمية في مصر كانت اهم ما يميزها هو الإستفادة من امكانيات الافراد المنتمين اليها من مختلف التكتلات العنصرية والاجتماعية التي كانت تالف المجتمع المصري واستفاد الفاطميون من اهل الذمة في إدارة شؤون الدولة وكذلك نجد تعدد عناصر السكان واختلفت اجناسهم وطوائفهم ولكن هذه العناصر انصهرت مع الوقت في الحياة المصرية ونجد ان الدولة الفاطمية تمتعت بثراء عريض لم تعرفة الدول الاسلامية المعاصرة لها وانعكس هذا الثراء في الاعياد الدينية الخاصة والعامة والاحتفالات ومظاهر الحياة الاخري.

الفصل الثالث

الحياة الثقافية في الدولة الفاطمية في المغرب

المبحث الاول:المراكز والمؤسسات الثقافية في المغرب إبان العصر الفاطمي

المبحث الثاني:النشاط العلمي في المغرب إبان العصر الفاطمي

المبحث الأول

المراكز والمؤسسات الثقافية في المغرب ابان العصر الفاطمي :

أولاً – المراكز الثقافية :

أن تاريخ المدن هو تاريخ السلالة البشرية على الأرض به الكثير من معارف السابقين وأعمال الاقدمين ولعله يكون عبرة وأملا لترتقي درجات المدينة بقدر في تحميل هذه المعارف فالمدينة هنا تعد نواة إجتماعية وحضارية قوية يدور في فلكها من عدة لها ذلك الثقل وتلك الحضارة.[1]

يقول إبن خلدون (إن العلوم إنما تكثر حيث العمران وتعظم الحضارة، ويعود ذلك لتعليم العلم من جملة الصنائع التي تكثر في الأمصار وعلى نسبة عمرانها في الكثير والقلة والحضارة و الترف تكون نسبة الصنائع في الجودة عن معايشتهم، أُصرفت إلى ما وراء المعاش من التصرف في خاصية الإنسان وهي العلوم والصنائع.[2]

ومن اهم المراكز الثقافية:

1- رقادة:

هي مدينة تقع جنوب مدينة القيروان وتبعد عنها مسافة أربعة أميال، أكثرها بساتيين، وليس بأفريقيا أعدل هواء ولا أرق نسيما ولا أطيب تربة من مدينة رقادة، وهي دار ملك بن الأغلب منذ أن أسسها إبراهيم بن أحمد بن الأغلب سنة(263هـ/877م) إلى أن هرب عنها زيادة الله وسكنها عبيد الله سنة (267هـ /880م) وإنتقاله عنها إلى المهدية سنة (308هـ/920م.)[3]

[1] عبد الحكيم العفيفي، موسوعة 1000 مدينة إسلامية، الطبعة الأولى، الأوراق الشرقية للطباعة و النشر، بيروت، 1421ه – 2000م، ص 9
[2] إبن خلدون،المقدمة،مصدر سابق، ص 54
[3] ياقوت الحموي، مصدر سابق، ج3، ص55

ورغم أنها كانت العاصمة السياسية والإدارية هذا لا ينفي الدور الذي لعبته كمركز من مراكز العلوم والثقافة بأفريقيا، حيث قامت بدور ثقافي مهم في نشر وإزدهار العلوم، خاصة وأن الحياة العلمية في المغرب الأدنى كانت قد تطورت في عهد الاغالبة حيث ظل بيت الحكمة برقادة يؤدي دوره في الحياة الفاطمية، ورث الفاطميون في جملة ما ورثوه دار الحكمة غير أنهم غيروا طابعه الفكري فأصبح في عهدهم وطيلة بقاء عاصمتهم رقادة مكاناً لبثّ الدعاية للمذهب الإسماعيلي والترويج له.[1]

ورغم أن رقادة كانت عاصمة ظرفية للدولة الجديدة ولكن لم توقف عملية النشاط الادبي والثقافي حيث عرفت طيلة الفترة الفاطمية بحركة ونشاط كبير وكان النشاط الثقافي عملياً وفقهيا وعقائديا وترعرع ونمى بيت الحكمة وكان علمائه وفلاسفة وأطباء وأدباء من دراسة و ترجمة وتأليف في شتى الميادين أما عن النشاط العقائدي فلقد إتخذ الفاطميون بيت الحكمة أيضاً محلاً لمجالس الدعوة الإسماعيلية.[2]

2- المهدية:

هي مدينة إختطها وبناها عبيد الله المهدي سنة (303هـ/916م)، وانتقل إليها سنة(308هـ/920م) وهي على شكل كف متصلة بيد، ولقد بذل المهدي الكثير من المال والجهد في بنائها وتحصينها بأبواب حديدية سميكة وعالية، وسورها بسور قوي مرتفع من الحجر تحيطه الأبراج والبوابات الثقيلة.[3]

وإعتبرت المهدية بكل المقاييس مركزاً ثقافياً مهما من مراكز الثقافة و العلوم في أفريقيا، حيث أصبحت مركز جزب كبير للعلماء والأدباء والأطباء وغيرهم، سواء كان ذلك بالسير طوعية في

[1] يوسف حوالة، مرجع سابق، ص160
[2] نشيدة رافعي، الحياة الفكرية والثقافية في المغرب في العصر الفاطمي ،رسالة دكتورة ، غيرمنشوره،س جامعة الجزائر ،السنة الدراسية 2002-2003، ص 399
[3] عبد الحكيم العفيفي، مرجع سابق، ص 472

كنف الدولة الفاطمية أو أولئك الذين إضطرتهم الظروف للسكن بالمهدية من المغاربة السنة، فإحتشد بها الأدباء و الشعراء الذين كانوا يشكلون ما يمكن تسميته بأبواق دعاية متنقلة، لذلك كانت المهدية مركزاً من مراكز الإشعاع الأدبي بالغ الأهمية في العصر الفاطمي وذلك راجع لإحتضانها للخلفاء والأمراء وأرباب السيف والقلم والطبقة الأرستقراطية القيروانية، إذا كان رجال الأدب والشعراء يجدون فيها حياة الرغد والنعيم وأسباب اللذات المباحة، وبإنتقال المهدي إلى عاصمته الجديدة حمل إليها كتب رقادة وعلمائها وكل النشاط الفكري والعلمي والأدبي الذي نمى فيها، وأصبحت مراكز للعلوم الطبية والرياضية ومهداً للفلسفة والأدب.[1]

وتمثل النشاط الأدبي و الشعري بها أن كُتّاب ديوان الرسائل كأبي جعفر البغدادي والأستاذ جوزر وإبن العقيل وغيرهم الذين بلغ منهم النثر الفني في رسائلهم درجة مرموقة من الفصاحة والبلاغة، وكذلك في النشاط الشعري دور الخلفاء الفاطميين مثل المهدي والقائم الذين ساهما في تنشيط الحياة الادبية، إذا كان كلاهما شاعرا في هذا الفن الشعري الذي تحتاجة الدولة الفاطمية كباقي دول العالم الإسلامي للتغني بأمجادها والدفاع عن سياستهم.[2]

3- المنصورية:

هي مدينة غربي القيروان خططها وبناها المنصور سنة(334هـ/ 945م) بعد الإنتصار الذي حققه على أبي يزيد صاحب الحمار لينتقل إليها سنة (337هـ/948م) ولا تبعد عن القيروان سوى بنصف ميل، وظلت منذ ذلك الوقت عاصمة للدولة الفاطمية في عهد الخليفتين المنصور و المعز لدين الله، إلى أن إنتقل عنها المعز إلى مصرسنة (362هـ/973م)، كما ظلت فترة من الزمن عاصمة للدولة الزيرية في عهد المعز بن باديس الصنهاجي الذي أعاد بنائها، وتكمن

[1] يوسف حوالة، المرجع السابق، ص 173
[2] نشيدة رافعي، مصدر سابق، ص 403

أهميتها في واقعها كعاصمة سياسية وإدارية، ولقد كانت مركز من مراكز الثقافة و العلوم في أفريقيا طوال مدة دورها السياسي و الإداري. [1]

وقد إمتاز المنصور بسعة إطلاعه ولم تشغله مهام الخلافة وأعباء الحكم والحروب التي خاضها عن البحث و التأليف والنظر في العلوم، فكان كثير ما يحتم على إبنه المعز لدين الله أن يقبل على الدرس ويؤلف الكتب كما كان يحث العلماء الإستزادة من العلم.[2]

ولقد أثرى المنصور مكتبة المنصورية وذلك بنقل خزائن الكتب التي كانت برقادة والمهدية، كما إعتنى المنصور ثم المعز بإقتناء المخطوطات والمؤلفات النادرة ووضعها بمكتبة المنصورية الفاطمية التي أصبحت تحوي عشرات الآلاف من الكتب النادرة.[3]

وكان المعز لدين الله يستحث همم المغاربة للتزويد من العلم وكان يحلم بأن يحكم شعب مثقفاً، وكان يعمل على تشجيع العلماء ويقربهم إليه، كما كان يشرف على مؤلفاتهم و بحوثهم، بالتغيير و التعديل ويضيف إليها ما هو ضروري من الآراء، كما كان ينتقد المؤلفين نقداً ضليعاً، ومن أشهر العلوم التي إشتغل بها في عصره التفسير والحديث والمناظرة والفقه والتأويل والعقائد والفلسفة والوعظ، كما نشط المعز لدين الله في نشر المذهب الإسماعيلي فوضع نظاماً مفصلاً، فكان يجتمع مع الدعاة الكبار فيما يسمى مجالس الحكمة ويقرأ عليهم المحاضرات و التعاليم في أصول و قواعد المذهب والحكمة و العلم الحقيقي.[4]

[1] يوسف حوالة، المرجع السابق، ص 74
[2] عارف تامر، مرجع سابق، ص195
[3] نشيدة رافعي، مصدر سابق، ص 340
[4] عارف تامر، مرجع سابق، ص 196 - 197

4- المسيلة (المحمدية):

إختطها محمد بن المهدي المكنى بالقائم بأمر الله في أيام أبيه، والتي خطها وهو على فرسه، وأمر علي بن محمد الجذامي إبن الاندلسي أن يحسن بنائها ويحصنها وسماها المحمدية بإسمه[1]

صارت هذه المدينة في عهد علي بن حمدون وابنة جعفر عاصمة لمنطقة التراب مركزاً أدبياً وثقافياً هاماً ساعد في ذلك شخصية الأخوين (جعفر ويحيى) إهتمامها بالعلم والثقافة والادب، وبذلك أصبح البلاط الحمدوني مادي وأهل العلم و الادب، حيث توجه الشاعر أبو هاني إلى البلاط وإستقر به مدة خمس سنوات من (348-353هـ/959-964م) حيث نظم في مدحها القصائد حتى أنها أصبحت في عهد المعز القطب الشيعي الثاني بعد المنصورية الذي جمع حوله النشاط الأدبي والثقافي.[2]

ثانياً - المؤسسات الثقافية في المغرب في العصر الفاطمي:

إن من أبرز العوامل التي أثرت في الحياة الثقافية عامة و الأدبية خاصة هي مصادر التثقيف و التعليمن فقد لعبت المؤسسات التعليمية من مساجد وكتاتيب ومكتبات العامة والخاصة دوراً لا يستهان به في سبيل تثقيف المغاربة، فكانت تلك القنوات الخيار الأمثل الذي إنتشرت عن طريقه العلوم والثقافة الإسلامية والعربية.

1- المساجد:

كانت المساجد منذ القدم أي منذ أن وضع الرسول (صلى الله عليه وسلم) أساس مسجد قباء بالمدينة المنورة كانت وماتزال ذات رسالة تعبدية وعملية، فلم يقتصر دور المساجد على الناحية

[1] ياقوت الحموي،مصدر سابق، ص 65
[2] نشيدة رافعي،مصدر سابق، ص 407

الدينية فقط وإنما تعداه إلى نواحي أخرى، إقتصادية وإجتماعية وثقافية فقد ورث الفاطميون عدداً من المساجد كانت موجودة قبل بداية دعوتهم، حيث قاموا بإستقلالها بعد سقوط المغرب الإسلامي تحت أيديهم وأصحبت هذه المساجد بمثابة مراكز لبعث الدعوة الشيعية الإسماعيلية، وقد كان أهم هذه المساجد الجامع الأعظم بالقيروان.[1]

حيث قاموا بتحويله من المذهب السني السائد إلى المذهب الشيعي، وأول تطبيق فعلي لهذا التحول هو إلقاء الخطب، وتعتبر خطبة الداعي عبيد الله الشيعي في الجامع، هي أول خطبة ألقيت فيه حيث حث فيها أهل القيروان بالإنضمام إلى دعوته.[2] ثم تلى ذلك تغيير الأئمة، وسب الصحابة من على منبر الجامع، وتحويل صيغة الآذان وذلك بإستبدال عبارة حي على الفلاح بعبارة حي على خير العمل، وعدم تأخير صلاة العصر وتكبير صلاة العشاء والقنوت في صلاة الجمعة قبل الركوع، أما في رمضان فقد منعوا صلاة التراويح.[3]

كان هدف الشيعة من هذه التغيرات هو محاولة القضاء على السنن المالكية لأهل المغرب، هذا ما دفع بهؤلاء إلى مقاومة هذا التحول، بقيادة علماء المالكية، الذين إعتزلوا الصلاة فيه وشمل هذه الصلوات الخمس و صلاة الجمعة.[4]

لم يكن الجامع الأعظم بالقيروان المركز الوحيد الذي إستخدمة الفاطميون، لنشر مبادئي مذهبهم بل شيدوا مسجدين اخرين هما المسجد الجامع بالمهدية عاصمة الفاطميين، يستتر جداره القبلي

[1] شيدة مسجد القيروان من طرف عقبة بن نافع الفهري، ولقى هذا شهرة واسعة في المغرب، محمد بن زيتون، القيروان ودورها في الحضارة الإسلامية، الطبعة الأولى ، دار المنار، القاهرة، 1408ه – 1988م، ص 425

[2] يوسف حوالة، مصدر سابق، ج1، ص 76

[3] أبو الفضل القاضي عياض، ترتيب المدارك و تقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، تحقيق محمد بن تايود الطنجي، وزارة الشؤون الإسلامية، الرباط، دت، ج2، ص 319

[4] نشيدة رافعي، مصدر سابق، ص 335

إلى السور البحري للمدينة الذي بناه الخليفة الفاطمي الأول عبيد الله المهدي في سنة(274هـ/916م) وعند الإنتهاء من بنائه قال إلى هنا ينتهي مخلد الدجال.[1]

أما المسجد الثاني هو مسجد الناقة الذي بناه الخليفة المعز لدين الله أثناء مروره بمدينة طرابس متوجهاً إلى مصر عام (362هـ/973م) فهو يعتبر أقدم جامع في طرابلس.[2]

عمل الخلفاء الفاطميون عن طريق هذه المساجد إلى تثبيت دعائم حكمهم وكذلك نشر المذهب الإسماعيلي من خلال حلقات التدريس التي كانت تلقى في المسجد خاصة فيما يتعلق بالعلوم الدينية من فقه وتأويل.

2- الكتاتيب:

إعتبرت الكتاتيب من أقدم وأهم المؤسسات التعليمية بعد المساجد التي أسهمت بدورها في نشر العلوم و المعارف وقد شهد المغرب ظهور هذه الكتاتيب مبكراً وقد عرف المغرب إبان العهد الفاطمي الكتاتيب الخاصة والعامة فالخاصة كانت تنتصب في قصور الفاطميين والعامة كانت تنتصب في زوايا واركان المدن.[3]

أما فيما يخص مناهج التدريس والمواد المدرسة فقد ذكر القابسي(ت403هـ/1012م) في رسالته تحت عنوان الرسالة المفصلة لأحوال المتعلمين وأحكام المعلمين والمتعلمين) يجب أن يتوفر في المؤدب من شروط عملية وضوابط التعامل مع الصبيان وما يجب أن يلقن لهم من

---

[1] إدريس عماد الدين، مصدر سابق، ص 56

[2] سمي بمسجد الناقة المحملة ذهب التي أهداها الخليفة الفاطمي المعز لدين الله لأهل طرابلس، أحمد مختار عمر، النشاط الثقافي في ليبيا، الطبعة الأولى، منشورات كلية التربية، طرابلس، دت، ص 126

[3] الكتاتيب جمع كتاب وهو مشتق من لفظ التكتيب وتعليم الكتابة ويقال له المكتب وهو موضع التعليم، الفيروز أبادي، القاموس المحيط ،دار الكتب العلميه ،بيروت ،1995م ، ج1، ص 12

مواد سواء تحفيظ القرآن أو تعليم القرأءة والكتابة أو أصول الفقه والإدب والشعر والنحو والحساب.[1]

بالإضافة إلى الطبيب المؤرخ أحمد بن إبراهيم بن خالد الجزار (ت 269هـ/909م) الذي ألف كتاب تربوي بعنوان سياسة الصبيان وتدريبهم وقد جاء فيه المؤلف بعدد من النظريات التربوية.[2]

فكتبت هذه التآليف بلغة مبسطة تدعم الإتجاه التعليمي الفاطمي في التأليف فكانت هذه المؤلفات موجهه للصبيان من المتعلمين حرص على نشر الدين وتبسيط قواعد اللغة، لم تكن هذه التأليف لتوجد لولا حاجة المجتمع الفاطمي الضرورية لها بالإضافة إلى أنها الفت دفاعاً عن المذهب الشيعي.[3]

إذا كان الهدف من هذه الكتاتيب في العصر الفاطمي هي تنشئة النشئ المغربي على المذهب الإسماعيلي الشيعي فكانت لها دور مهم في تنشيط الحركة الثقافية عموماً.

3- المكتبات:

كانت المكتبات من أهم المؤسسات التعليمية التي ساهمت في نشر الثقافة والعلوم، فالمكتبات أشتقت إسمها من لفظ كتاب وشكل الكتاب أهمية بالغة عند الخلفاء الفاطميين لذلك إعتنوا بالمكتبات و الكتاب لأسباب عديدة أهمها السعي لنشر التعليم وإعتناء الخلفاء أنفسهم بحفظ كتب أباءهم وأجددهم في إقتناء نفائس الكتب والمخطوطات.[4]

---

[1] أبو الحسن القابسي، الرسالة المفصلة لأحوال المتعلمين وأحكام المعلمين و المتعلمين، تحقيق أحمد خالد، الطبعة الأولى، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، 1986م، ص 192

[2] نشيدة رافعي،مصدر سابق،ص 374

[3] نفس المصدر، ص 376

[4] نشيدة رافعي، مصدر سابق، ص 449

ومثال على ذلك أن الخليفة عبيد الله المهدي حمل معه جميع كتب وثائق أبائه وهو ذاهب من سلمية إلى سُجلماسة، ولكنها سرقت منه وهو في طريقه في مكان يسمى بالفاحونة، وهي تقع بالقرب من طرابلس، لكن القائم بأمر الله إستطاع أن يستعيد هذه الوثائق عند مسيره لغزو مصر للمرة الأولى سنة(300هـ/912م).[1]

وقد عرف العصر الفاطمي نوعين من المكتبات الخاصة و العامة ولعل أبرز هذه المكتبات مكتبة بيت الحكمة كانت جامعة أفريقية علمية أدبية لغوية في العصر الأغلبي ورثه الفاطميون من بعد وإتخذوه مركز لمجالس الدعوة الإسماعيلية فيه يناظر دعاته علماء السنة إلا أن هذا لم يمنع من وجود حركة علمية، حركة عقلية ناشطة ووعي ديني لتبادل الافكار شحذ للقرائح في هذا البيت وخارجه في كامل البلاد، كما لم يمنع من بروز علماء أفرزهم مجالس المناظرة والجدل، وكانت تعقد في بيت الحكمة مرة كل أسبوع.[2]

-المكتبات العامة :

تحدثنا عن ان الفاطميون قد ورث بيت الحكمة بكتبه المختلفة ونظامه الدقيق وانهم اضافوا الية معارفهم والكتب المؤلفه علي مذهبهم ويعتبر بيت الحكمة من المكتبات العامه وبجانب هذا المكتبة الحكومية العامة كانت هناك خزانات الكتب التي توضع في المساجد وتوقف علي طلبة العلم وقد اوقف عبدالله بن هاشم بن مسرور ثلث مكتبة لطلاب العلم

-المكتبات الخاصة :

قد ذكر المؤرخون اخبارا متفرقه عن وجود المكتبات الخاصة لدي العلماء وهي توضح لنا العنايه الفرديه بالكتاب والمكتبات وتصور لنا الوعي المكتبي انذاك حيث نجد ان كتب ابي

[1] نفس المصدر، نفس الصفحة

[2] أسسها إبراهيم بن أحمد المعروف بإبراهيم الثاني، وسميت بيت الحكمة نسبة لبيت الحكمة ببغداد، سنة 246ه – 878م، رابح بونار، مرجع سابق،ص56

العرب تميم بلغت ثلاثه الالف وخمسمائه كتاب بخط يده وان عبدالله بن هاشم التجيبي اقتني كتب كثيرة من جميع العلوم وكانت هنالك مكتبة احمد بن الجزار التي تحتوي كتب طبيه وغيرها،

وقد كان للمعز لدين الله مكتبة في المنصوريه زاخرة بالكتب يعرف مواضع مافيها من الكتب وما تحويه من المعلومات ،وقد قيل ان المعز امر خازن كتبه ان يحضر له كتاباً فلم يحضر علي الفور فقام المعز وبحث عن هذا الكتاب ثم قراء واستهواه الاطلاع حتي صرف معظم الليل في القراءة وهو واقف علي قدميه وكان يقول (والله ما تلذذت بشئ تلذذي بالعلم والحكمة

كما كان بيت الحكمة بغض النظر عن الأهداف العقائدية التي كان يرمي إليها الخليفة عبيد الله المهدي، كان إشعاع ثقافي بالغ الأهمية فهو الإطار العام الذي إزدهرت فيه العلوم والفنون وتطور الأدب، وتمثل النشاط الثقافي لبيت الحكمة بما كان يقوم علماء بيت الحكمة وأطباؤه وأدباؤه من دراسة وترجمة وتأليف في شتى الميادين الذين أثروا بيت الحكمة بمألفاتهم من بينهم أبي اليسر الشيباني، وأبوجعفر البغدادي بالإضافة لعدد من الاطباء كأحمد بن الجزار وموسى بن العزار وإسحاق بن إسليمان بن سهل بن دونش الإسرائيلي، وفتح بيت الحكمة المجال لكل طبقات المجتمع سواء الخاصة أو العامة لتلقي العلوم و الإحتكاك بعلمائه.[1]

[1] حسن حسني عبد الوهاب، مرجع سابق، ج1،ص 25 – 28،محمد محمد زززيتون ،مرجع سابق ،ص415

المبحث الثاني:

النشاط العلمي في المغرب ابان العصر الفاطمي

تنوع النشاط العلمي في العصر الفاطمي في بلاد المغرب ليشمل عدداً من العلوم من اهمها العلوم الشرعيه والعلوم النقليه والعلوم التطبيقية:

أولاً. العلوم الشرعية:

المقصود بالعلوم الشرعية هنا التفسير والحديث والفقه:-

إرتبطت الحياة الثقافية عند الفاطميين بالمذهب الذي يدينون به، حيث وضعوا نصب أعينهم نشر المذهب الشيعي الإسماعيلي وبالتالي تثبيت فكرة المهداوية في النفوس، ومقصده التعاليم الفلسفية المشوبة بضروب السحر مخدمة ذلك ثم تسخير الشعر والأدب لهذه الغاية، كم أن الدولة عملت على تنظيم الدعايات الدينية السياسية تنظيماً وثيقاً وإحداث مناصب مهمة كداعي الدعاة و أعوانه وتعزيز ذلك ببيت الحكمة ومحاولة القضاء على مذهب السنة وإحلال المذهب الشيعي الإسماعيلي محله.[1]

1- التفسير:

أخذ الشيعة الإسماعلية التفسير كوسيلة لنشر معتقداتهم و مبادئهم المذهبية وشهد عصر الفاطميين توسعاً في علم التفسير على يد عالمين من أبرز علماء المذهب الإسماعيلي و هما قاضي القضاء أبو حنيفة النعمان بن أبي عبد الله محمد بن حيون و جعفر بن منصور اليمني،

[1] رابح بونار، مرجع سابق، ص 69

فقد ألف كلاهما كتب في علم التفسير والتأويل كانت ذات أهمية كبرى في خدمة المعتقد الإسماعيلي.[1]

كان القاضي النعمان منظّراً شيعياً، فألف في سبيل خدمة مذهبه كتب جمة و لقد شارك في التأليف في جوانب عدة، من بينها نضج السبيل الي معرفة التأويل،وكتاب اساس التأويل ،وكتاب تأويل دعائم الاسلام ؛علم التفسير والتأويل الذي يعتبر أساس المذهب الباطني الذي تعتمد عليه الدعوة و الفكر الشيعي الإسماعيلي.[2]

والتأويل عند الشيعة الإسماعيلية في الواقع له دور خطير، لأنه العلم الذي يُعنى بباطن المعنى أو رمزه او جوره و حقيقة مستترة وراء لفظ(كملة) لا تدل عليها و التأويل الرجوع و منه آل الشئ أي رجع وعاد.[3]

ومهما يكن من أمر فإن كتاب أساس التاويل للنعمان بن حيون قام على أساس التفسير أو تأوي بعض الآيات من القرآن الكريم وليست كلها خاصة الآيات التي إعتقد الإسماعيلية أنها تؤييد مذهبهم وما يدعون إليه.[4]

لكن التاويل نحس بعد ذلك عند جعفر بن منصور اليمني معاصراً لأبي حنيفة النعماني بن حيون والذي إكتنفه الخليفة المعزلدين الله بحبه ورعايته منحى مقرقاً في التأويل لدرجة الغلو وذلك في كتبه التي ألفها مثل كتاب تأويل الذكاة وكتاب الفترات القرانات وكتاب أسرار النطقاء ، وكتاب الفرائض،وحدود الدين ،كتاب سرائر النطقاء،وكذلك كتاب الشواهد والبيان،وكتاب

[1] يوسف حوالة احمد ،الحياة العلمية في افريقيا منذ الفتح وحتي منتصف القرن الخامس الهجري ، مركز الدراسات الاسلامية ،مكة المكرمه ،1421ه-2000م،ج1م ،ص155

[2] عبد السلام الكنوني، المدرسة القرآنية في المغرب من الفتح الإسلامي إلى إبن عطية، الطبعة الأولى، مكتبة المعارف، الرباط، 1411ه- 1981م، ج1، ص 182

[3] نفس المرجع، ص2 18

[4] نفسه، ص 183

الكشف، وفي كتاب تأويل الذكاة غالى كثير في تأويل بعض آيات القرآن الكريم بل ذهب إلى تاليه بعض الأئمة.[1]

2- الحديث:

لم يواكب الحديث التطور والإزدهار الذي عرفه الفقه عند الفاطميين في المغرب، إهتم الفاطميين بعلم الحديث فأعتبروه مصدراً من مصادر العقيدة الإسلامية، وأن إهماله إهمال للدين ومبادئه، لذلك كانوا يجتهدون في نقد الحديث وتمحيصه والإحتفاظ به، فالشيعة وحسب إعتقادهم أن أهل البيت هم فقط علي بن أبي طالب وزوجته فاطمة بنت محمد وأحد عشر إماماً من أبنائهم، وأن الله إجتباهم وأنهم هم وحدهم يعلمون الحديث ناسخة و منسوخة.[2]

عمل الفاطميون على تأويل أحاديث الرسول (صلى الله عليه وسلم) بما يناسب ميولاتهم و تصوراتهم ومبادئهم و لعل أول حديث أوّلهُ الفاطميون بعد دخولهم للمغرب هو أن الرسول(صلى الله عليه وسلم) قد نبأ بقدوم المهدي و نص الحديث هو(المهدي من ولدي يُحُيي سنتي يتم أمري، يطالب بثأر أهل بيتي، يملئ الأرض عدلاً و قسط، كما مُلئت ظلماً وجوراً.[3]

3- الفقه:

إرتبط الفقه في العصر الفاطمي ببلاد المغرب بمبادئ الإسماعيلية، و بأشهر شخصية (تشريعية) شيعية في بلاد المغرب، بل وفي كل دور الدولة الفاطمية و مذهبها الإسماعلي ألا وهو شخصية القاضي النعمان و هو بن أبي عبد الله محمد بن أحمد بن حيون التميمي

[1] إبن عذاري المراكشي، المصدر السابق، ص 163
[2] عارف تامر، مرجع سابق ، ج1 ، ص 123
[3] القاضي النعمان، إختلاف أصول المذاهب، تحقيق مصطفى غالب، الطبعة الثالثة، دار الأندلس للطباعة و النشر، بيروت، 1983، ص 33

المغربي ولد بأفريقية، كان النعمان في بداية أمره مالكي المذهب، إلا أنه إنتحل بعد ذلك المذهب الإسماعيلي فأخلص له حتى أصبح دعامة من دعاماته.[1]

كان القاضي النعمان من أهل العلم والفقه والدين والنبل، كما كان من أهل القرآن و عالماً بوجوه الفقه، وعالماً بإختلاف الفقهاء، وكان النعمان ملازماً صحبه المعزلدين الله فبلغ النعمان من المكانة والنفوذ في عهد الدولة الفاطمية بلوغاً لم يصل إلى مثله إلا قلائل جداً من رجالات الدولة وأضحى للدولة الفاطمية حجة المذهب عقيدة و شريعة، ويسميه الإسماعيلية بسيدنا الأوحد وأحياناً القاضي الأجل، وعُرف كذلك بأبي حنيفة الشيعي، تميزاً عن أبي حنيفة النعمان صاحب المذهب الحنفي.[2]

أما عن مؤلفاته الفقهية نذكر منها:

– كتاب دعائم الإسلام في ذكر الحلال و الحرام و القضايا و الأحكام، وهو من مجلدين يشمل على سبعمائة صفحة، تم تأليفه بطلب من الخليفة المعز.

– كتاب كيفية الصلوات، كتاب الإيضاح وكتاب منهاج الفرائض،كتاب الاخبار،الينبوع– الاقتصار–الاتفاق والافتراق–مختصر الاثار–يوم وليلة–الطهارة– ويقول إبن خلكان أن النعمان ألف لأهل البيت ألاف الأوراق بأحسن تأليف، وعمل في المناقب والمثالب كتاب حسن وكتاب إختلاف الفقهاء ينتصر فيه لأهل البيت.[3]

ومن الفقهاء الذين أثروا الحياة الثقافية للدولة الفاطمية في المغرب هو الفقيه أبو يعلي أحمد بن محمد المروذي ، قاضي المنصور، وخدم المروذي الخلفاء الفاطميين الثلاث (المهدي، القائم، المنصور) وقد كانت أيامه قاسية على أهل السنة، وفيما يتعلق بالفقهاء الأحناف، فقد

[1] حسن إبراهيم حسن وطه أحمد شرف، المعز لدين الله ، ص 258
[2] حسن ابراهيم و طه احمد ،المرجع السابق ، ص200
[3] إبن خلكان، المصدر السابق، ص 415

كان لهم دور مؤثر في المغرب خلال حكم الفاطميين فقد إستعان بهم هؤلاء بتولي مناصب القضاء في دولتهم نكاية في المالكيين، نذكر من بينهم محمد بن الكداعي، كان معاصراً للخليفة عبيد الله المهدي، و قد ألف كتاباً يرد على من لا يقول بخلاف القرآن، كما كان له موقف عن بعض علماء المالكية، وسعى بهم عند الخليفة عبيد الله المهدي الذي قضى عليهم.[1]

ثانياً- العلوم النقليه :

اهتم الفاطميون بالعلوم النقليه وكان من ابرزها الادب والشعر واللغة والنحو وعلم التاريخ.

1. الأدب

تضافرت عدة عوامل في تقدم وإزدهار الدرسات الأدبية من إستقرار سياسي نسبي و من رخاء إقتصادي نتج عن إتساع رقعة البلاد، إلى الرغبة في تشجيع الأدب و رجالاته إلى تمتع خلفاء الفاطميين أنفسهم بالحس والذوق الأدبي إلى الرغبة القائمة من جعل بلاطاتهم أكثر تألقاً من بلاطات العباسيين في بغداد والأمويين في قرطبة، فلقد نشط الفاطميون في الترويج لمبادئهم فإضطهدوا العديد من الأدباء والشعراء واللغويين وسخروهم لخدمة مذهبهم ويمكن تناول الادب في نوعيه وهما النثر والشعر

أ- النثر:

النثر شهد ألوانا أدبية نثرية، إهتمت بالمواعظ و الوصايا التي كانت شائعة في العصر الفاطمي، وفي الحقيقة فإنه ثمة دواع فرضت ظهور هذا اللون من ألوان التعبير الأدبي فالفاطميون بصفتهم دعاء مذهب شيعي، يختلف كثيراً عن مذهب غالبية السكان، فكان لابد لهم من دعاة مهرة يقودون الدعوة، ثم أن الغموض الذي تميز به المذهب الشيعي كان يتطلب أناساً

[1] محمد أبو العزائم داؤود، الأثر السياسي و الحضاري للمالكية في شمال أفريقيا حتى قيام دولة المرابطين، منشورات مكتبة الفيصلية، مكة المكرمة، 1405ه- 1985م، ص 289.

أكفاء يخضعون لتدريب مكثف لفهم طبيعة المذهب.[1] شهد عهد الخليفة الأول عبيد الله المهدي(296- 322هـ / 909 – 935م) بكثرة المكاتبات الرسمية التي كانت تتبادل بينه و بين ولي عهده أبي القاسم الذي كان مكلف ببعض الفتوحات في الغرب، فإصتبقت المكاتبات الرسمية آنذاك بميزات كثيرة، منها متانة الإسلوب ورصانة العبارة والحرص على إستخدام المحسنات البديعية المختلفة من سجع والطباق وكذلك التفنن في إستخدام الجمل الإعتراضية والإستشهاد كثيراً بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية وبالتأكيد عن إستخدام عبارات التمجيد والتفخيم للخليفة كما أصبحت هناك معاني لا يخلو منها كتاب رسمي كالتأكيد في الحقائق الشيعية وهي التذكير دائماً بالحق للمغتصبين من الخلافة الذي إستعادة الفاطميون وأن الولاية واجبة مع التذكير على ترديد عبارات شيعية إسماعيلية من أمثال حجة الله في الأرض، وولي الله.[2]

كان أبي اليسر إبرهيم بن محمد الشيباني الذي كان متولياً شؤون ديوان الرسائل، فقد إستكتبه المهدي وظل يزاول مهامه حتى توفى عام(298هـ / 910م).[3]

ثم إستكتب الخليفة كاتباً آخر و هو أبو جعفر محمد بن أحمد بن هارون ثم البغدادي الذي ما لبث أن رقى إلى وظيفة صاحب الديوان بالإضافة إلى الكتابة وذلك عام 300هـ– 912م.[4]

وفي عهد الخليفة القائم بأمر الله (322–334هـ/ 934–945م) أصبح النشاط النثري قليل فيما يتصل بالمكاتبات الرسمية، وذلك سبب ثورة أبي يزيد مخلد بن كيراد، وقد أخذت منه كل سنوات عهده فأتلف معزولاً ومحاصراً في عاصمته المهدية مع أن المهدي إبن الخليفة إسماعيل

[1] حسن حسني عبد الوهاب، المرجع السابق، ص 246-247
[2] عبد السلام الكنوني، مرجع سابق، ص 173
[3] حسن حسني عبد الوهاب،مرجع سابق، ص 246
[4] إبن عزاري المراكشي، المصدر السابق، ص 163

المنصور(334-341هـ/945-952م) قد شهد تداول كتابات رسمية بين الخليفة وقواده ورجال دولته.[1]

أما في عهد الخليفة الرابع المعز لدين الله (341-362هـ / 952-973م) فقد كان حافل بالنشاط النثري الإداري و الدليل على ذلك أن سلطان الدولة و قوتها تطلب تبادل الرسائل الديوانية بين الخليفة و قواده و رجال دولته من جهه و بين الخليفة وبعض الثائرين عليه من جهه أخرى مثال ذلك الرسالة التي بعثها الخليفة المعز لدين الله للخليفة الأموي عبد الناصر التي قال فيها (فإن حركني الله إليه وقذف في قلبه حربه وغزوة قال إلله عز وجل (ولا يحسبن الذين كفروا إنما نملي لهم خير لأنفسهم إنما نملي لهم ليزدادوا إثما ولهم عذاب مهين).[2] فلينظر أحد الأمرين، إما هلاكاً وإما إمتلاءً.[3]

ومن ألوان النثر التي إنفرد بها العصر الفاطمي دون غيره التوقيعات التي ثقف بها الخلفاء الفاطميون منذ عهد الخليفة الأول عبيد الله المهدي و مثال ذلك توقيعه لعزل القاضي أبي إسحاق بن أبي منهال عام(311هـ / 923م) فقد وقع على خطاب عزه مخاطباً القاضي قائلاً لم نعزلك عن حرجة، و إنما عزلناك للينك ثم ما لبث أن أعاده بعد عام واحد للقضاء، فوقع في خطاب تعينه مخاطباً له (إنما كنا عزلناك للينك و رددناك لدينك و أمانتك.[4]

كذلك في عهد الخليفة الأخير المعز لدين الله الذي عنى هو الآخر بها و مثال عن ذلك التوقيع الذي وقع لقاضيه النعمان عندما رأي حزن هذا الأخير على وفاة الخليفة المنصور ومما جاء

[1] إبن حماد، المصدر السابق، ص 64-65
[2] سشورة آل عمران، الآية 178
[3] القاضي النعمان، المجالس و المسايرات، مصدر سابق، ص 173
[4] إبن عزاري،المصدر السابق،ص 187

فيه (يا نعمان، ليحسن عزاك ويحمل صبرك، فمولاك معني و مولاك بقي، وأنت واحد عندنا ما كنت واحداً عنده، فطب نفساً وقر عيناً.[1]

والتوقيعات لون جذاب من ألوان التعبير الأدبي يتلخص فيما يعلق به الخليفة على ما يرفع إليه من الكتب، وتمتاز التوقيعات بأنها تجمع بين القصر والإجمال.[2]

ساهمت عدة أسباب أدت لقلة الإنتاج الأدبي ويرجع ذلك إلى المناخ المذهبي الذي ساد المغرب في عهد الخلفاء الفاطميين الذي كان إهتمامهم منصب على لنشد المذهب الشيعي الإسماعيلي بين المغاربة الرافضين له.[3]

ولكن بالرغم من ذلك وصلت كتب مهمة جداً لتاريخ الفاطميين في المغرب على سبيل المثال، كتاب المجالس والمسيرات للنعمان وكتابه الهمة وفضل الأئمة للقاضي النعمان كذلك، و تلقيح العقول للأديب برية بن أبي اليسر، فكان كتاب المجالس و المسايرات كتاب أدبي و يعد من كتب أدب السيرة، فقد ألف النعمان مادته من ملازمته شبه الدائمة للخليفة المعز لدين الله و من آرائه المتعددة في شتى جوانب الحياة السياسية والإجتماعية والمذهبية التي كانت تعيشها الدولة في عهد المعز.[4]

أما المؤلف الثاني هو كتاب الهمة وفضل الأئمة للقاضي النعمان والغرض من هذا الكتاب تبيان فضل الأئمة وحاجة الناس لهم وحث روح التفاني والإخلاص في نفوس الأتباع إلى الدعاة لإعتدادهم لممارسة دورهم الخطير في نشر الدعوة.[5]

---

[1] القاضي النعمان، المجالس المسايرات، مصدر سابق، ص 83
[2] حسن إبراهيم حسن، المرجع السابق، ص 264
[3] يوسف حوالة، المرجع السابق، ص 185
[4] حسن إبراهيم حسن، مرجع سابق، ص 265
[5] نفس المرجع ، ص 266

والمؤلف الثالث (تلقيح العقول للأديب برية بن يسر الشيباني فالكتاب عبارة عن مجموعة من الأمثال يقع في مأئة وسبعة و خمسين بابا، من الأبواب الصغيرة وقد ألف هذا الكتاب في بداية عهد المعز لدين الله (343-362هـ / 954-973م) لأنه توفى في نفس العام الذي تولى فيه المعز لدين الله الخلافة إلى عام (341هـ /952م).[1]

ب- الشعر:

سخّرت الدولة الفاطمية منذ أن قامت طاقات من استحوذت عليهم من الشعراء لخدمة معتقدها المذهبي، و الدفاع عنه و مدح خلفائها والإشادة بهم، وفيما يتصل بالأغراض الشعرية التي قام على أساسها الإنتاج الغزير الذي خلفه الفاطميين، وإن كانت الغلبة و الظهور لبعض الأغراض دون الأخرى مثل المدح والهجاء وبصفة خاصة ثم الفخر و الوصف وما يعرف بالشعر الروحي.[2]

وعرف عصر الفاطميين عدة أنواع من الشعراء مثل:

أ. **الشعراء(الخلفاء):** عرف عن الخلفاء الفاطميين الذين تولوا الخلافة في الدور المغربي نظمهم للشعر، وإن كان نظمهم قد إختلف كماً ونوعاً من واحد لآخر فالخليفة عبيد الله المهدي (296-322هـ/ 909-934م) لم يعرف عنه سوى مقطوعتين أحداهما في الوعيد ومما جاء فيها.

فإن تستقيموا إستقمتم لصلاحكم **** وإن تعدلوا عني أرى قتلكم عدلا

أعملوا بسيف قاهرا سيفكم **** وأدخلها عقول و أملاءها عدلا.[3]

[1] إبراهيم الدسوقي جاد الرب، شعر المغرب حتى خلافة المعز، مكتبة النحاجي،القاهرة مصر، دت، ص18

[2] محمد اليعلاوي، شعراء أفريقيون معاصرون للدولة الفاطمية، مجلة حوليات الجامعية التونسية، تونس، عدد 4، 1073، ص 164

[3] إبن الأبار، مصدر سابق، ج1، ص 193

وكان عبيد الله المهدي إذا نظر إلى نفسة فسرها قائلاً مبارك الطلعة ميمونها يصلح للدنيا وللدين.[1]

أما الخليفة القائم بأمر الله (322- 334هـ/ 943-945م) فقد كان أعزر شعراً من ابيه فكان حريصاً على إقتناء دواوين الشعر، يبعث فيها إلى الأقطار و البلدان وبذل في سبيل الحصول عليها نفيسً الأثمان ومن قصائده الشعرية القصيدة الشعرية التي أرسلها إلي أبيه و هي في الوعيد من ضمنها يا أهل شرف الله زالت حلو ملكهم *** أم أصد عن من قله الفهم و الأدب

فويحا لكم خالفتم الحق و الهدى **** من حاد عن أم الهداية لم يصب.[2]

أما الخليفة المنصور (334-341هـ/940-953م) هو عرف عنه نظمه للشعر فنسبت له مقطوعتان الأولى تتكون من ثمانية أبيات بعثها ضمن كتاب إلى ولده المعز لدين الله إبان مطاردته أبي يزيد و هي مقطوعة إختلط فيه الشكوى بالخطر.[3]

ولم يختلف الخليفة المعز لدين الله (341-365هـ/953-975م) عنهم، فقد كان شاعراً أيضاً و أديباً كان له شعر يميل فيه إلى إستخدام المحسنات البديعية التي كانت سائدة في عصره و لقد نسبت إليه عدة مقطوعات، جاءت كلها في النسب، ولعل أشهر تلك المقطوعات التي لم يبقى منها سوى هذين البيتين

أطلع الحسن من جبينك شمساً **** فوق ورد في وجنتيك اطّلا

وكأّن الجمال خاف على الورود **** جفاف فمر الشعر ظلا.[4]

[1] محمد اليعلاوي، مرجع سابق، ص 168
[2] إبن الأبار، المصدر السابق، ص 245
[3] إبراهيم الدسوقي، مرجع سابق، ص 113- 114
[4] عارف تامر، مرجع سابق، ص 195

ب. الشعراء من غير الخلفاء : إزدهر هذا العصر بعدد كبير منهم الذين ساهموا في تنشيط الحركة الأدبية عموماً و الشعرية على وجه الخصوص بعطائهم و إنتاجهم، ومهما كان من أمر فإن من أوائل الشعراء الذين عرفهم عصر الفاطميين و بالذات عهد الخليفة عبيد الله (292-362هـ/905-973م) الشاعر محمد بديل الكاتب و مثال عن شعره أن هذا الشاعر هب واقفاً يمتدح الخليفة المهدي أبان حلوله بمدينة رقادة عام (297هـ /910م) بالأبيات المشهورة التي يقول مطلعها:

حل برقادة المسيح ***** حل بها آدم ونوح.[1]

وهي أبيات مفرطة في الغلو، تعكس تماماً نظر الشيعة الإسماعيلية للأئمة.

ومن الشعراء المرموقين الذين عايشوا الخلفاء الثلاث ، المهدي والقائم والمنصور، الشاعر المشهور أبو جعفر أحمد بن محمد المروذي وهو إبن القاضي الشيعي أبي عمر بن محمد بن عمر المروذي، فتمتع المروذي بشاعرية طيبة، وقد ترك عدة أبيات شعرية تدل على شاعريته الجيدة والمتمكنه من بين تلك الأبيات بيت في مدح الخليفة المنصور:

لقد تاهت بطلعتك الغروب **** كما إبتهجت بدولتك القلوب

لقد زهت الخلافة إذا حذاها **** نجيب راح يحمله النجيب.[2]

وهناك شاعر آخر فرضت علية الظروف أن يتقرب إلى الفاطميين و خاصة المنصور، وهو الشاعر أبا القاسم الفزاري يعد أحد أعلام النهضة الأدبية في العصر الفاطمي الذين أثروا بزخم كبير كماً ونوعاً، وللشاعر قصيدة طويلة إشتهرت بالقصيدة الفزاريه والتي تعتبر من أشهر

[1] محمد اليعلاوي، مرجع سابق، ص 513
[2] إبن حماد، مصدر سابق، ص 22

قصائد المدح في المغرب وهذه القصيدة تمتاز بالفصاحة التي تتجل في أبياتها وقد نالت هذه القصيدة شهرة كبيرة في المغرب وكذلك في المشرق.[1]

أما وقد وضحت لنا معظم ملامح الحركة الشعرية في العصر الفاطمي، فإنه لا يمكن إغفال أثر شاعر مشهور أثرى الحركة الشعرية وقتذاك بشعره لفت بذلك الشاعر المشهور إبن هاني الأندلسي، محمد بن هاني بن سعدون وكنيته أبو القاسم الأزري الأندلسي المغربي، كان أبوه هاني من قرية المهدية في أفريقية فإنتقل إلى الأندلس فولد له محمد في قية (سكوت) من قرى إشبيلية، نشأ شاعرناً في أشبيلية على حظ وافر من الأدب ومهر في الشعر، ثم إستولت البيرة فعرف بالشاعر الأبيري، كان حافظ لأشعار العرب وأخبارهم فحفلت قصائده بكثير من الإشارات إلى وقائع العرب، وبذكر شعرائهم وساداتهم وأجوادهم، والأماكن التي ذكرها شعراء العرب الأقدمون خرج إلى المغرب بعد خلاف مع الأشبيلين بسبب إعتقادة إمامة الفاطميين و ما لبث أن عرف به المعز لدين الله العبيدي الفاطمي، فطلبه معظّماً فوجهه إليه فأعزه وقادته، وإمتدحه إبن هاني وغالى في مدحه.[2]

أصبح إبن هاني شاعر الفاطميين الرسمي والدائم إلى مذهبهم الإسماعيلي، ونظم ابن هاني عدد من القصائد في مدح الخليفة المعز وأسرته والتغني بأمجاد الدولة الفاطمية وتحقير خصومها السياسين وتمخض عن ذلك كله إنشاءه لديوان شعري ضخم إحتوى على أكثر من عشرين قصيدة في مدح المعز وحده حتى إنها سميت بالمعزيات، وهي تمثل نصف الديوان، و التي عكست كل خصائص المذهب الشيعي الإسماعيلي العقائدية والسياسية فإن الذي لا يمكن إغفاله هو إنعكاس شعره على الحيلة الأدبية في المغرب آنذاك.[3]

[1] إبراهيم الدسوقي، مرجع سابق، ص 84
[2] كرم البستاني، ديوان إبن هاني الاندلسي، دار بيروت للطباعة و النشر، بيروت، 1400ه – 1980م، ص 5
[3] يوسف حوالة، مرجع سابق، ص 270

ويبدو أن قدومه إلى أفريقية قد جاء في الوقت المناسب للفاطميين الذين إزدادت حملة أهل السنة عليهم، فكانوا بحاجة ماسة إلى شاعر يمجد إنجازاتهم، وهذا ما وجدوه في إبن هاني الذي لم يقصد جهجه في ذلك و نظراً للمكانة التي وصل إليها إبن هاني جعلت عدد من المؤرخين يضعونه في المقام الأول، ومثال عن القصيدة النونية التي مدح فيها الخليفة المعز:

ولمن ليال ما ذممنا عهدها**** مزكن إلا أنهت شجون

المشرقات كأنهن كواكب *** والناعمات كأنهن غصون

وكأنما يلقى الضريبة دونه **** بأس النعز أو أسمه المخزون.[1]

2- علم اللغة و النحو:

كان للخلفاء الفاطميين دوراً في هذا المجال، فأظهر الخليفة المعز لدين الله إهتمام بالغاً بالنحو، ومثال على ذلك طلبه ذات مرة من أحد الأئمة النحويين المشهورين وهو الفزاري القيرواني تأليف كتاباً في النحو، و مما ذكر عن براعة الخليفة المعز اللغوية والنحوية، كان كثيراً ما يعقد حلقات مجلسه مع كبار العلماء، حيث تناقش فيها كثير من القضايا اللغوية والنحوية مع علماء مشارقة من أمثال إبن قتيبة، وكان المعز يدلي في تلك الحلقات بأقوال عملية ينقض فيها آراء أولئك اللغويين مما يدل على تمكنه من فقه اللغة و النحو.[2]

كذلك يعتبر القاضي النعمان أحد الذين إهتموا بالعلوم العربية، عن طريق تأليفه لكتاب لغوي هو (الرسالة قرآت البيان) التي صنفها في الرد على العالم الكوفي اللغوي عبد الله بن مسلم بن قتيبة.[3]

[1] إبن خلكان، مصدر سابق، ص 432 - 434
[2] القاضي النعمان، المجالس و المسايرات، مصدر سابق، ص 199 -200
[3] يوسف حوالة، مرجع سابق، ص 246

ويعد ابوعبدالله محمد بن جعفر التميمي الفزازي القيرواني ولد بالقيروان في العقد الثالث من القرن الرابع الهجري نشا وتلقي العلوم وشقف بالاقبال علي دراسة النحو واللغة ولذلك يعتبر من أشهر اللغويين والنحاة في العصر الفاطمي، فأسهم بمؤلفاته في إثراء الحركة الأبية الفاطمية من بين أهم مؤلفاته:

ا-كتب النحو:

-كتاب الحروف وكان تاليفه بطلب من الخليفة المعزلدين الله وموضوعه شرح الحروف التي ذكرها النحاة انهاجاءت بمعني

-اعراب الدربديه وشرحها-كتاب المعترض-كتاب المفترق -كتاب مايجوز للشاعر في الضروه

ب-كتب اللغة

-كتاب الجامع -كتاب المثلث -كتاب العشرات -كتاب المئات -كتاب الضاد والظاء -

- كتاب المثلث صنفه الفزاز متبعاً الصفات الخلقية للبشر وهو صغير الحجم.

- كتاب الحروف من أشهر كتب الفزاز وهو كتاب نحوي صرف.[1]

3- علم التاريخ والجغرافيا :

ا-علم التاريخ

ان من اقدم المؤرخين الذين كتبوا في تاريخ افريقيا عيسي بن ابي محمد بن ابي المهاجر وجده ابوالمهاجر وهو الذي ولي افريقيه بعد ولاية عقبه بن نافع في المرة الاولي وقد الف كتاباً في فتوح افريقيه وقد توفي في نهاية القرن الثاني الهجري ،وعبدالله بن ابي حسان اليحصبي الذي

[1] يوسف حواله ،المرجع السابق ، ص 250،ومحمد محمد زيتون ،مرجع سابق ،ص334

كان عالمأ بالتاريخ وانساب العرب ،ومن المؤرخين كذلك محمد بن سحنون قد الف كتابأ في التاريخ سته اجزاء ،وان كتابه في الامامه الذي يمثل الفكر التاريخي العقائدي قد كتب بماء الذهب وقدم للخليفة ،وقد الف محمد بن زياده الله بن الاغلب كتابأ في تاريخ بني الاغلب دون فيه اخبار اسرتة الي ما قبل وفاته سنة (283هـ/896م)،كما ان من المؤرخين الذين فقدت كتبهم محمد بن يوسف الوراق القيرواني المتوفي سنه (363هـ/974م) وهو حجه في تاريخ افريقيه والمغرب وقد نقل عنه البكري كثيرأ في كتاب المسالك والممالك[1]

وخلال فترة حكم الفاطميون وجه ابوحنيفه النعمان المغربي جانبا من فكره الي الناحية التاريخية فالف كتاب (شرح الاخبار وارجوزة تسمي ذات المنن واخري تسمي ذات المحن)وكذلك يعد كتاب (افتتاح الدعوة الزاهرة من اشهر كتبه التاريخيه وهو مخطوط محفوظ بجامعة القاهرة وله كتاب (مناقب بني هاشم ومعالم الهدي ،والمجالس والمسايرات ،والرسالة المرشد الداعي بمصرفي تربية المؤمنيين[2]

وكان بداية الاهتمام بتسجيل النسب البربري منذ عهد الاغالبة ومن اشهر النسابه المؤرخين للنسب البربري ابوسهل الفارسي النفوس حفيد الامام عبد الراحمن بن رستم مؤسس الدولة الرستمية وقد الف ديوان شعر بالغة البربرية ،فمنه تاريخ البربر لذلك كان هذا نواة لكتب التاريخ في هذة الفترة ،اما في العصر الفاطمي فمن اشهر النسابه ابوأيوب بن يزيد مخلد بن كيداد،وقد نشا نشاة مؤرخ وقد اتصل بابي يوسف الوراق اكبر مؤرخي العصر الفاطمي واعطاه نسب ابيه الذي ينتسب الي قبيلة (يفرن)ومن النسابه في هذا العصر ابومحمد بن يغني البرزالي وكان فقيها عالما بانساب البربر،وقيل ان هولاء النسابه والمؤرخين في عصر الاغالبه قد دونوا كتبهم

[1]-المالكي،رياض النفوس ،مصدر سابق ،ص346
[2]-حسن ابرهيم حسن ،مرجع سابق ،ص477

بالغة البربرية وفي العصر الفاطمي جمع الكتاب بين اللغة العربية والبربرية في مؤلفاتهم وقد ضاعت كتبهم الا انه قد انتفع بها من اتي بعدهم [21]

ب- علم الجغرافيا:

في بداية عصرالازدهار لم تكن كتب الجغرافيا الواصفه للبلاد والطرق وخاصة المسالك والممالك قد دونت وان كانت الرحلات الي المشرق للحج والتعليم والتجارة او الي ارجاء افريقيا التي تربطها صلات تجارية ،ولم يذكر علماء الطبقات في بداية عصر الازدهار من الف في المسالك والممالك والمسافات والعادات ووصف احوال البلاد وطبيعتها الجغرافية من انهار واشجار ومطاعم وملبوسات ،وان لم يكن هنالك شك بان هذة الاموروالاحوال والصفات كانت معروفه لهم لانهم لا يدرسونها وانما يمارسونها ويلاحظونها اثناء رحلاتهم ،لكن في العصر الفاطمي في القرن الرابع ان هنالك بعض العلماء الذين الفوا في المسالك والممالك لا ان كتبهم قد فقدت بعد ان استفاد منها من اتي بعدهم فقد الف محمد بن يوسف الوراق المتوفي سنه(363هـ/974م) كتاباً ضخماً في مسالك افريقيه وممالكها وعنه ينقل البكري كثيرا في المسالك والممالك[3]

ومن الخريطة التي عملت المعزلدين الله في المنصورية معاني كثيرا تتعلق بالتقدم في الفكر الجغرافي التاريخي فقد بين كافة اقطار العالم ثم الجبال والبحار والانهار الطرق والمدن ،واذا كانت هذة الخريطة تبين ذلك فان هذا يعطينا المعني الوصفي الذي الذي كان يستمد منه صانع الخريطة المعاني الجغرافية التاريخية التي تتعلق بالاقطار وحدودها والطرق اليها ثم ما

[1]-محمد محمد زيتون،مرجع سابق ،ص376،

2

[3]-نفس المرجع ، ،ص379

فيها من جبال وانهار ومراسي ،ثم المدن وما يدور فيها من سكان ومزوعات ومصنوعات وغير ذلك من الامور التي تتعلق بالجغرافيا[1]

ثالثأ- العلوم التطبيقية:

المقصود بالعلوم التطبيقية، الطب والفلك والرياضيات.

لم تلقى هذه العلوم الإهتمام الكافي بالقدر الذي لقيته باقي العلوم الشرعية و الأدبية

1- الطب:

إرتبط الطب في العصر الفاطمي بعدد من الأطباء اليهود و الذين ساهموا في تطوره وأغلب هؤلاء الأطباء عاصروا الدولة الأغلبية ثم إلتحقوا بخدمة الفاطميين بعد قيامها ببلاد المغرب الإسلامي، ومن بين هؤلاء الأطباء المشهورين إسحاق بن سليمان الإسرائيلي ت (320هـ/932م) و إسحاق بن سليمان الإسرائيلي مصري الأصل الذي سكن القيروان وتوفى فيها ولازم الطبيب إسحاق بن عمران وتتلمذ عليه، وكان طبيباً ماهراً عاش أكثر من مإئة سنة فأسهم في إثراء الحياة العلمية في المغرب وقد ترك إسحاق بن سليمان الإسرائيلي مجموعة من الكتب الطبية القيمة مثل كتاب الأدوية المفردة والأغذية، كتاب مدخل الي صناعة الطب وكتاب الحميات.[2]

ومن الأطباء الذين عاصروا الدولتين الأغلبية والفاطمية زياد بن خلفون وهو أحد الذين تلقى علومه الطبية على يدي سلمان بن عمران ، والتحق بخدمة الخليفة عبيد الله المهدي بعد أن تولى الخلافة.[3]

---

[1]-نفسه ،نفس الصفحة

[2] نزار رضا، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، الطبعة الأولى، المطبعة الوهبية، دت، ص 340

[3] حسن حسني عبد الوهاب، مرجع سابق، ص 241

ومن مشاهير الأطباء أيضاً، أبو سهل دونش الإسرائيلي ويسمى بإسم آخر وهو ادنيم بن تميم الملقب بالشفلجي، ولد بالقيروان في اواخر القرن الثالث وتلقي العلم علي الطبيب إسحاق بن سليمان، ويعد في الطب والعلوم مرجعاً هاماً، حتى أن إبن البيطار الطبيب الأندلسي المشهور أورد إسم أبو سهل في مؤلفاته حيث ذكر أنه أخذ عنه في وصف بعض النباتات، كما كان لدونش نشاط عظيم في التأليف فتنسب إليه المصادر مؤلفات عديدة أثرى بها المكتبة الأفريقية وأغلبها في ميدان الطب والفلك ومن أشهر ما ألف في هذة العلوم المتعدة

1-كتاب في الحساب الهندي المعروف بحساب الغبار وهو من اقدم المؤلفات

2-كتاب في الفلك وحركة الكواكب

3-مصنفا كبير في علم الفلك قدمه للخليفة المنصور الفاطمي ،

4- كتاب التنحيص في الادوية المفردة وقد إحتوى على بيان المكاييل الطبية التي كانت مستعملة آنذاك، وكتاب المستخلف وسلسلة وسائل التسوية.[1]

5-المقارنة بين اللغتين العربية والعبريه

6-شرح سفر التكوين واصله محرر باللغة العربية الفصحى ثم نقل الي العبرية

وفي منتصف القرن الرابع الهجري شهد المغرب بذوغ نجم أسرة طبية مشهورة وهي أسرة الجزار التي إشتغلت بالطب مدة مائه عام، ومن بينهم أحمد إبراهيم بن الجزار من أهل القيروان، وكان ممن لقى إسحاق بن سلمان وأخذ عنه وكان إبن الجزار من أهل الحفظ والتطلع والدراسة

[1] نشيدة رافعي، مصدر سابق ، ص 557

الفصل الرابع

الحياة الثقافية في الدولة الفاطمية في مصر

المبحث الاول :دور الجامع الأزهر في الحياة الثقافية في مصر الفاطمية

المبحث الثاني :دور المكتبات ودار الحكمة والوزراء في الحياة الثقافية في مصر الفاطمية

ويعتبر كتاب زاد المسافر وقوت الحاضر في علاج الامراض لابن الجزار أهم المراجع الطبية التي الفها المسلمون ويوجد منه نسخ في مكتبة الشعب بباريس وفي الجزائر والمانيا الغربية واكسفورد والهند وهولندا وقد ترجم الي اللاتينية في اواسط القرن الخامس الهجري كما ترجم الي اليونانية ويوجد منه نسخ بمكتبة الفاتيكان في روما كما نقل هذا الكتاب الي العبرية .[1]

كما عرف العصر الفاطمي بروز أسرة العزار، التي إشتغلت في الطب في عهدهم، وهي أسرة يهودية عاشت في أفريقية، وأول رجال هذه الأسرة هو موسى بن العزار، وكان بارعاً في طب العيون وهو الحقل الذي تخصص فيه، ولقد إصطحبه الخليفة المعز لدين الله إلى مصر ومما ينسب إليه من مصفات كتاب أمراض العيون ومداواتها.[2]

2- الفلك:

لم يعرف المغرب في عهد الفاطميين إهتماماً كبيراً بالرياضيات والفلك ولكن الخلفاء الفاطميين كانوا مولعين بالفلك والتنجيم، الذي كان له يعد بعلم الإجرام، لذلك قاموا ببناء عاصمة الدولة المهدية وفق حسابات فلكية، فأختطها بطابع الأسد لأنه برج ثابت ولذلك ثبتت، ولانه بيت الشمس الذي هو دليل الملوك ولذلك كان المُلك فيها.[3]

كان الخليفة المنصور هو الآخر عالماً بالنجوم، ولكنه غير مؤمن بتأثيرها وكان يقول دائماً (ولقد وقفت في مواقف الحروب التي وليتها أيام الفتنة، إلى حيث إنقضائها فما وقفت قط موقفا منها بإختيار العلم من علوم النجوم، وكثيراً ما كان لأمر يقع في قلبي ويتحبب لي، وقضايا النجوم تخالفه وتمنع منه، فلا ألقى لتلك القضايا بالاً ولا ألتفت إليها، وأعمل ما يقع في قلبي ويتحبب إلي، فيكون في ذلك التوفيق والنصر، وضد ما يوجبه القول بالنجوم، والله ما طلبت

[1] نشيدة رافعي، المصدر السابق، ص 553
[2] يوسف حوالة، مرجع سابق، ص 381
[3] إبن حماد، مصدر سابق، ص 82

هذا العلم إلا لما يدلنا عليه من توحيد الله جل ذكره وتأثير حكمته في متفاعلاته، فأياك أن تشغل نفسك بغير ذلك ولا تلتفت إليه.[1]

أما الخليفة المعز لدين الله فإنه كان ماهراً في علم النجوم إلى جانب مهارته في علوم الطب و الهندسة ولكنه كان غير مؤمن بتأثيرها هو الآخر، وكان يرى ان النظر في النجوم صالح لمعرفة قدرة الله، ولكنه غير نافع في معرفة حظوظ الناس.[2]

3- الرياضيات:

كان للخلفاء الفاطميين، القائم و المنصور المعز حس هندسي وقيل أن الخليفة الفاطمي الثاني إبتدأ العمل لإجراء عين نهر أيوب إلى القيروان، وكان مقر الخلافة آنذاك المهدية،لكن فتنة أبي يزيد عطلت ذلك وفكر الخليفة المنصور بمواصلة جهود والده ولكن مستشاريه هولوا عليه الأمر وهو تخويف لم يئبأ به المعز إذ إستأنف العمل يوم الأحد غرة محرم سنة(348هـ/959م).[3]

ولكن نمو مدينة المنصورة العاصمة الجديدة التي بناها أبوه بعد إنتصاره على ثورة أبى يزيد قلل من متجه المشروع، وأياما كان لأمر عن الفلكيين والرياضيين الذين عاشوا في العصر الفاطمي بالإضافة للخلفاء نجد أن الطبيب أبو سهل دونش الإسرائيلي الذي صنف كتباً في الفلك والحساب ككتاب الحساب الهندي المعروف بحساب الغبار، وكتاب في الفلك وحركة الكواكب ومصنف كبير في علم الفلك إهداء للخليفة المنصور، بالإضافة إلى أبو سهل كان هناك فلكي يهودي يدعى نسيم بن يعقوب القيرواني كان بارعاً في حركة الكواكب.[4]

ومن خلال ما سبق وضح لنا انه قد ساهمت عدة عوامل في إزدهار الحياة الثقافية ببلاد المغرب الإسلامي، من بين أهم تلك العوامل هي تشييد الفاطميين لمراكز أشعاع فكري و

[1] القاضي النعمان، المجالس و المسايرات، مصدر سابق،ص135
[2] نفس المصدر، ص 148
[3] القاضي النعمان، المجالس و المسايرات،مصدر سابق ، ص 148
[4] حسن حسني عبد الوهاب، مرجع سابق، ص 303 - 304

مؤسسات تعليمية كانت قاعدة لنشر المذهب الشيعي، كما أثرت تلك المراكز الحركة الفكرية عن طريق عقد المجالس و المنافسة مما نتج عنه تفعيل لحركة التأليف.

في الطب، فقد فتح داره لمعالجة المرضى وهيأ سقيفته (صيدلية) يبيع فيها غلامه ما كان فيها من أدوية بإرشاد إبن الجزار نفسه.[1]

وإلى جانب عمله كطبيب كانت هوايته جمع الكتب الطبية وإقتنائها فقد ذكر أن بين مخلفاته وجد خمسة و عشرون قنطار من الكتب الطبية ومن مؤلفاته:

– رسالة في النوم واليقظة.

– رسالة في الزكام.

–الجذام –اسبابه وعلاجه

–الوباءونعت الاسباب

–المعدة وامراضها ومداواتها

–اصوال الطب

–مجربات في الطب

– الفرق بين العلل التي تشبه اسبابها وتختلف اعراضها

– النصح جمع فية ادوية الملوك والخواص

– طب الفقراء المساكين ويهدف هذا الكتاب إلى تنشيط العلوم الطبية وتوجيه المرضى إلى أنواع من العلاج الذاتي.[2]

[1] نفس المصدر ، ص 553
[2] حسن حسني عبد الوهاب، مرجع سابق، ص 245

المبحث الأول

دور الجامع الازهر في الحياة الثقافية في مصر الفاطمية

يتناول هذا المبحث دور الجامع الأزهر من خلال تأسيس الأزهر ودوره في التدريس والدراسة المنظمة وحركة التأليف مع اعتماد الجامع الأزهر جامعاً رسميا للدولة .

1- تأسيس الازهر:

فتحت مصر في عهد عمر بن الخطاب عام(20هـ/641م) علي يد عمرو بن العاص وبني بها مسجده والجامع المعروف اليوم باسم " جامع عمرو بن العاص عام(21هـ /642م) ووفد كثير من القبائل العربية على مصر واقاموا بها وذاعت اللغة العربية بين اهليها، بسبب اتصال العرب باهل مصر واختلاطهم بهم[1].

وقد استقر بمصر كثير من الصحابة ومشاهير التابعين واتباع التابعين ونشأت بها طبقة من المجتهدين كالليث بن سعد المتوفي عام (175هـ/791م) وهاجر اليها الامام الشافعي المتوفي عام (204هـ/819م) ونمت الحركة العلمية في الفسطاط وكثرت الحلقات في مسجد عمرو الذي أصبح مركزا علميا لنشر الدين الإسلامي وتعاليمه السمحة وكبرت هذه الحركة العلمية واتسعت وازدهرت، واما هذا المسجد الجامع كثير من العلماء والاعلام والائمة ممن افادط انحاء العالم الإسلامي وادوا له خدمة صادقة في ميادين الدين والشريعة واللغة والعلوم وأشهر هؤلاء عبد الله بن عمرو بن العاص،وعبد الله بن لهيعه، ثم الليث بن سعد وقد كان للإمام محمد بن ادريس الشافعي بمسجد عمرو زاوية يدرس فيها مذهبه [2].

---

[1]محمد عبد المنعم خفاجة، علي علي صبحي، الازهر في ألف عام، الجزء الأول، المكتبة الازهرية للتراث. الطبعة الثالثة. 1432هـ – 2012م، ص18

[2]محمدعبدالمنعم ،علي علي صبح ، المرجع ا لسابق، ص18 .

انتشر المذهب الشافعي في مصر علي يد الشافعي وتلاميذه ومن قبل كانت السيادة لمذهب المالكي، الذي كان اول من ادخله الي مصر عثمان بن الحكم الجذامي المتوفي عام(163هـ/780م)، كما كان اول محاولة نشر المذهب الحنفي فيها علي يد القاضي إسماعيل بن سميع الكندي، الذي ولاه العباسيون قضاة مصر عام(164هـ/781م)[1].

كان في مصر عدد من الفقهاء الشافعية والمالكية والحنفية، اما الحنابلة فكانوا قليلين، ولم يسمع بهم الا في القرن السابع وما بعده وكان بها عدد من أئمة القراءات ومن الصلحاء والزهاد والصوفية وائمة النحو واللغة وارباب المعقولات وعلوم الأوائل والحكماء والأطباء والمنجمين وقد ظل التدريس في الجامع العتيق عامر الحلقات مدة طويلة[2].

خضعت مصر اول ما خضعت للحكم الإسلامي للخلفاء الراشدين ، ثم للدولة الاموية ثم لدولة بني العباس وكان يختار لها ولاة يثق بهم الخلفاء واستقل بمصر احمد بن طولون ، وكان قد ولي الحكم فيها سنة (253هـ/867م) ثم أضيفت اليه نيابة الشام والعواصم والثغور الافريقية فأقام بها مدة طويلة وفي جامعه المشهور وكان ميلاده في بغداد عام(214هـ /829م) وكان ابوه طولون من الاتراك الذين اهداهم نوح الساماني عامل بخاري الي المأمون واستمر ابن طولون اميرا علي مصر حتي مات عام(270هـ/883م) وكانت عاصمة الملك في أيام الدولة الطولونية هي مدينة احمد بن طولون واصبح مسجده المشهور محط الرحال ومجلس العلماء ومستقر للحلقات العلمية الكثيرة التي تدرس فيها علوم الدين واللغة والادب وظهر في مصر وفي حلقات مسجد احمد بن طولون كثير من العلماء والائمة والادباء والشعراء[3].

---

[1] جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، تحقيق محمد ابوالفضل إبراهيم، الجزء الأول، الطبعة الاولي ،1967م – 1387هـ، ص133.

[2] نفس المصدر ،نفس الصفحة

[3] السيوطي،حسن المحاضرة ، مصدر سابق، ج2، ص136.

أسس جامع ابن طولون عام (263هـ/877م) في مدينة احمد بن طولون التي سماها " القطائع" وفرغ من بنائه عام (266هـ/879م)، وصلي فيه القاض بكار اماما وخطب فيه أبو يعقوب البلخي،وأملي فيه الحديث الربيع بن سليمان تلميذ الامام الشافعي وظلت الحلقات العلمية فيه الي امد بعيد فكانت فيه دروس للتفسير والحديث والفقه على المذاهب الأربعة والقراءات والطب[1].

وفي عهد الدولة الاخشيدية ظل المسجد العتيق "مسجد عمر بن العاص " ومسجد احمد بن طولون يؤديان رسالتهما العلمية، الى أن أنشأ جوهر الصقلي قائد الخليفة الفاطمي " المعزلدين الله " الجامع الازهر، وقد شرع في بنائه يوم السبت 6جمادي الأول سنة (359هـ/ 970م)،وأكمل بناؤه 7رمضان سنة (361هـ، / 22يونيو 972م)، وكان الغرض من انشائه ان يكون رمزا للسيادة الروحية للدولة الفاطمية ومنبرا للدعوة التي حملتها الدولة الي مصر[2].

وقد أطلق على هذا المسجد اسم الازهر نسبة الي فاطمة الزهراء التي ينتسب اليها الفاطميون، أولا كان يحيط به قصور فخمة وتسمي بالقصور الزهراء او لأنه يظن ان هذا الجامع أكثر الجوامع فخامة ورواد، او للتفاؤل بانه سيكون أعظم المساجد ضياء ونورا[3].

وضع يوم السبت 24جمادي الأول سنة (359هـ /970م) الحجر الأساسي له وظل العمال والمهندسون يعملون في بنائه عامين تقريبا حتى جاءت اول جمعة رمضان سنة (361هـ /972م) فجمعت فيه باحتفال رسمي هائل تحلت فيه ابهة الملك وعظمته التي اشتهر بها الفاطميون أكثر من سواهم[4].

---

[1] نفسه.

[2] مجمد عبد المنعم خفاجة، علي علي صبح، المرجع السابق ، ص30.

[3] نفس المرجع ، ص30.

[4] المقريزي.الخطط ،مصدر سابق ،ج4 ،ص49

2- دور الأزهر في التدريس :

وبعد ان استقر سلطان المعز، وتم بناء المعقل الذي أقامه للدعوة، افرغ جهده في احكام دولته وتنظيمها ووفقا في ذلك اكثر توفيقا وقطع المعز الفاطمي كل علاقة بينه وبين الخليفة العباسي، وقضي علي كل صلة روحية له في مصر فقصد التدريس في الازهر علي المذهب الفاطمي في الفقه، وتعاليم الفقه، وتعاليم الشريعة في الدين والفلسفة والتوحيد، واستجلب لهذه الدراسة اكابر العلماء وفطاحل الفقهاء في مصر، وكان عددهم ثلاثين عالما، اجزل لهم العطاء و بني لهم منازل فخمة الحقت بالأزهر فيما بعد وصارت من اوقافه وشرعوا يدرسون ويتفقهون في مذاهب الفاطميين وتعاليمهم ويهدمون بذلك المذاهب الأخرى التي كانت شائعة في بغداد مقر الخلافة وسائر البلاد الإسلامية[1].

وكانت هذه النخبة الممتازة من الأساتذة وعلى راسها كبير العلماء " أبو يعقوب " قاضي الخندق سبب من الأسباب التي جعلت الازهر يقبل عليه كل طالب من اقاصي الأرض بعد ان ذاع صيته في الافاق وان اول ما درس في الازهر الفقه الفاطمي على مذهب الشيعة وفي سنة(365هـ/975م)، جلس قاض مصر " ابوالحسن علي بن النعمان بن محمد بن صيون" وأملي مختصر ابيه في الفقه لأهل البيت ويعرف هذا المختصر بالاختصار وكان مختصر عظيما اثبتت فيه أسماء الحاضرين. فكان الازهر علي ذلك وظل معطلا منذ افتتاحه أربع سنوات من التدريس حتى جاءت سنة (365هـ/975م)، وافتتحت الدراسة فيه باجتماع عظيم حضره كثيرون وقيدت اسماءهم[2].

---

[1] محمد عبد المنعم وعلي علي صبحي، مرجع سابق، ص31.

[2] محمد عبد المنعم خفاجة، علي علي صبحي، المرجع السابق، ص30.

بعد ذلك قام الخليفة المعز وابنه العزيز بالله وجعلوا يعقوب بن كلس وهو يهودي الأصل ثم أسلم، وقد نشط الوزير فالفا كتابا في الفقه، يتضمن ما سمعه من الخليفة المعز وابنه من بعده وهذا الكتاب مبوب على أبواب الفقه الفاطمي وكان يقرؤه على الناس، وكان يجلس بنفسه يوم الجمعة يقرأ على الناس في مجلس خاص به مصنفاته كما يجتمع يوم الثلاثاء بالفقهاء وجماعة المتكلمين واهل الجدل[1].

سلك الفاطميون في دعواتهم طريق الجهر والخفاء اذا اعوزتهم الحاجة وكانوا يدرسون الفقه الفاطمي علانية لأنه الوسيلة المناسبة التي يستطيعون بها الدخول علي سائر الشعب المصري الذي كانت تغلب عليه السنة ومذاهبها سيما المذهب الشافعي منها ولان حاجة الناس الي الفقه ماسة ينظمون به شؤونهم ويحددون به احوالهم الشخصية ، وما يتبعها من حقوق وواجبات ، سيما وان هذا الفقه في قضاياه ليس بعيد الخلاف مع السنة بعد مزج التعاليم المتشعبة وفلسفتها مع مبادئ التوحيد الإسلامي وجعلوا ذلك بابا من أبواب الدعوة وكان القائم بهذه الدعوة هو داعي الدعاة وهو من كبار الموظفين وكانت وظيفة قاض القضاة وداعي الدعاة تسندان في كثير من الأحيان الي رجل واحد[2].

خصص لداعي الدعاة قسم كبير من قصور الخلفاء الفاطميين وكان يساعد في نشر تعاليم الفاطمية اثنا عشر نقيبا، كما كان له نواب ينوبون عنه في البلاد في الشريعة الإسلامية تحت نفوذه وله مكان خاص بالقصر في يوم الاثنين ويوم الخميس ما اعده لمحاضرة في أصول المذهب الفاطمي، وكانت المحاضرات تعرض قبل القائها علي الخليفة، فيقرؤها ويذيلها بإمضائه ثم تبلغ إليهم عن طريق " داعي الدعاة" وهو الذي يعرضها بنفسه علي الخليفة [3].

---

[1] نفس المرجع، نفس الصفحة.

[2] نفسه ، ص34.

[3] محمد عبدالمنعم خفاجي ،علي علي صبحي ، المرجع السابق ،ص34

كانت هنالك رسوم لهذه المحاضرات تعرف ب "جمع النجوى " وهي نوع من الصدقة مقدارها ثلاثة دراهم وثلث درهم هذه للعامة اما السادة الاسماعيلية فكان الواحد منهم يدفع ثلاثة وثلاثين دينارا وثلث دينار ويمتازون عن عامة الشعب فيعطي الواحد منهم رقعة مذيلة بإمضاء الخليفة وفيها هذه العبارة " بارك الله فيك وفي مالك وولدك ودينك " وقد بذل الخليفة الحاكم بأمر الله مجهودا كبيرا في نشرها،حتى أرغم الناس عليها بقوانينه الجائرة وانضموا اليها مكرهين[1].

نجد ان الدعوة الفاطمية قد بنيت علي اراء فلسفية مصدرها عقائد الباطنية والمعتزلة والفلسفة وهي أساس الشريعة عند الفاطميين قد حلت في عهد الحاكم في محل القرآن والسنة ومنها يتضح كيف بلغت هذه الدعوة وعملت في عقول الأهالي حتى تجاسر الحاكم ان يدعي الالوهية وان الله قد تجسم في شخصه هذه الدعوة تلخص من تعاليمها والاصل فيها انهم اخذوا مذهب الافلاطونية الحديثة وطبقوه على مذهبهم الشيعي تطبيقا غريبا[2].

ومن امثلة ذلك في هذه الفترة ان الشاعر ابن هاني الاندلسي قال في المعز:

ما شئت الا ما شاءت الاقدار ***** فاحكم فانت الواحد القهار

وكأنما انت النبي محمد ***** وكأنما انصارك الأنصار

وهو الذي تجري شفاعتة غدا ***** حقا وتخمد اذ تراه النار

نشأ الازهر واتخذ اول ما أنشئ مسجدا لعبادة الله والدعاية للفاطميين ودولتهم، ثم عقدت في جنباته حلقات الدروس العامة، فكان الأساتذة من فقهاء الشيعة يجلسون لإلقاء دروسهم علي كل من يحضره في الفقه واللغة والادب والمنطق والطبيعيات والرياضيات وأول كتاب قرئ في الازهر هو " الاختصار " في فقه آل البيت لابي حنيفة النعمان كذلك كتابه " الدائم " من

[1] نفس المرجع.نفس الصفحة

[2] نفسه.

أصول المذهب الإسماعيلي ونهج علي منهاجه الوزير يعقوب بن كلس في كتابه " مصنف الوزير" وله كتاب اسمه ومختصر الاثار فيما روي عن الائمة الاطهار " وكتابه أيضا " الينبوع"[1].

وظل الجامع الازهر متابعاً لحلقات الدروس التي يلقيها بنو النعمان في سنة(369هـ/979م)، اذا بدات حلقات الازهر تتحول الي دراسة جامعية منظمة مستقرة فقد بدء يعقوب بن كلس وأبو المعز يقرأ بانتظام فيه كتابه المعروف بالرسالة الوزيرية في الفقه الشيعي وكان يجلس بنفسه لقراءته في الناس خاصتهم وعامتهم ويهرع لسماعه سائر الفقهاء والقضاة والادباء واكابر القوم ورجالات الدولة والدعاة وكانت تمتاز حلقات ابن كلس بتحررها من القيود الرسمية واتجاهها نحو الأهداف العلمية وبذلك كانت اول مجالس عقدت بالجامع الازهر وفي عام (378هـ / 988م) استأذن ابن كلس الخليفة العزيز بالله في ان يعين بالأزهر جماعة من الفقهاء للقراءة والدرس يحضرون مجلسه ويلازمونه ويعقدون مجالسهم بالأزهر في كل جمعة من بعد الصلاة حتي العصر وكان عددهم 37 فقيها وكان رئيسهم ومنظم حلقاتهم هو الفقيه أبو يعقوب قاض الخندق وقد رتب لهم العزيز ارزاق وجزيات شهرية وانشا لهم دارًا للسكن بجوار الازهر وخلع عليهم في يوم الفطر واجري عليهم ابن كلس أيضا رزقا من ماله الخاص[2].

وفي عام (380هـ/990م) رتب المتصدرون لقراءة العلم بالأزهر وبذلك صار الازهر مهدا جامعي للعلم والتعليم والدراسة، وكان هؤلاء الأساتذة الذين رتبهم ابن كلس للقراءة والدرس بالأزهر واقرهم العزيز بالله اول المدرسين الذين عينوا بالجامع الازهر ومن هذا التاريخ يبدأ

[1] محمد عبد المنعم خفاجة،علي علي صبحي، المرجع السابق، ج1، ص38.

[2] المقريزي،الخطط، ج4، ص49.

الازهر حياته الجامعية العلمية الصحيحة وفي الحق ان هذا يدل على ان ابن كلس كان وزيرا عظيماً وعالما جليلا واديبا كبيرا[1]

وكان ابن كلس يعقد بداره مجالس علمية وادبية دورية ينتظم في سلكها اكابر الفقهاء والادباء والشعراء وكان يشرف بنفسه على هذا المجالس وقد اخذ ابن كلس بقسط من التأليف والكتابة فوضع كتابا في القراءات وكتاب في الفقه، وكتاب في أدأب رسول الله وكتاب في عمر الأديان والصحابة بالإضافة الي مختصره المعروف بالرسالة الوزيرية وكان كثير الصلات والإحسان وكان هذا الوزير والعالم الاديب مفخرة في جبين عصره وقد أشاد شعراء العصر بجداله وجوده ومن ذلك ما قاله أحدهم حين اصابت يده الوزير:

يد الوزير هي الدين فان المت ***** رأيت في كل شي ذلك الالما

تامل الملك وانظر فرط عينه ***** من اجله واسال القرطاس والقلما[2]

لقد كان الازهر الشريف منذ نشأته موضع عناية الخلفاء الفاطميين يتعهدونه بالعناية والرعاية ويغدقون على من به من العلماء والطلبة العطايا والهبات ويذهبون اليه بأنفسهم للصلاة والوقوف على حاله مما كان له الأثر البالغ في نفوس الشيوخ والطلبة الي التفوق للعلم

[1] محمد عبد المنعم، علي علي صبحي، مرجع سابق، ص38.

[2] نفس المرجع ،ص41

الازهر في ظلال الفاطميين:

مما تقدم ان الازهر بدأ بنائه في 24جمادي الأول عام(359هـ/ ابريل 970م) وافتتح للصلاة في يوم الجمعة 7رمضان (361هـ/ 972م) وبدء نظام الحلقات العلمية فيه عام 365هـ، 976م، وصار جامعة إسلامية كبير عام(378هـ/ 988م) وان الفضل في ذلك يرجع الي المعز وقائده جوهر، ثم الي القاضي النعمان الشيعي، ثم الي الوزير يعقوب بن كلس[1].

كان المسجد منذ نشأته يسمي جامع القاهرة باسم العاصمة الجديدة وقد تكون تسميته بالجامع الازهر قد تأخرت قليلا عن التسمية الاولي وان اسم " الجامع الازهر" أطلق عليه بعد انشاء القصور الفاطمية في عهد العزيز بالله فقد كان يطلق عليها اسم القصور الزهراء ومنها أطلق علي جامع القاهرة وهو مسجد الدولة الرسمي اسم الجامع الازهر حتى أوائل القرن التاسع ثم تقلص الاسم القديم جامع القاهرة شيئا فشيئا وغلب عليه اسم الجامع الازهر[2].

ومن اشهر العلماء الذين شهدوا عصر المعز والعزيز هم ابن زولاق المصري المؤرخ(306 / 378هـ) وعبد الغني المصري(332 – 409هـ/943 –1018م) الحسن بن الهيثم المصري الفيلسوف واشتهر بعد عصر العزيز وتوفي عام 430هـ، وابن يونس المصري المتوفي(399هـ/1008م)، والجوني النحوي المتوفي عام (430هـ/1038م،) ولا شك ان هؤلاء العلماء وغيرهم قد كانت لهم حلقات في الازهر ، اما من الادباء والشعراء في هذه الفترة الشاعر أبو الرمقمق المتوفي (399هـ/1008م)، والشاعر ابن وكيع المتوفي (393هـ/1003م)، والشاعر التهامي المتوفي416هـ-1025م، والكاتب المصري المسبحي"(366 – 420هـ/976،- 1029م)" وشاعر دولة العزيز والحاكم عبدالغفار وقتله الحاكم عام (395هـ/1005م)، ولا شك

[1]محمد عبدالمنعم خفاجي ،علي علي صبحي ، المرجع السابق، ص41.

[2]نفس المرجع ، ج1، ص41.

ان هؤلاء الادباء والشعراء كانوا يحفلون بألقاء ثمرات قرائهم علي تلاميذهم من حلقات الازهر العلمية الحافلة[1].

الازهر في عصر الحاكم:

وفي عهد الحاكم استمر الازهر يؤدي مهمته العلمية وان كان الازهر فوجئ بإقامة الخليفة جامعة جديدة سماها " دار الحكمة" او دار العلم الشهيرة سنة (395 / 1005م،) سياتي الحديث عنها في المبحث الثاني ،بدأ الأزهر حياته الجامعية ومع ان دار الحكمة لبثت مدي حيث تنافس الازهر وتستأثر وحركه بالدراسة المتصلة المنتظمة في تعاليم تتبع لصرامة نظمها وبرامجها في الشؤون المذهبية ان اضطربت احوالها وضعف نفوذها العلمي، هذا بينما كان الازهر يسير في سبيل حياته الجامعية الوليدة بخطي بطيئة ولكن محققة ، ويسير في نفس الوقت الي التحرر من اغلال تلك الطبقة المذهبية العميقة التي كادت في البداية ان تقضي علي صبغته الجامعية الصحيحة[2].

مشاركة الازهر في الحياة العقلية في عهد الفاطميين:

كان للأزهر نشاط ضخم في الحياة العقلية والعلمية في العهد الفاطمي حتي نهايته عام(567هـ/1171م،) وقد جاءت الدولة الفاطمية الي مصر مع نفوذها السياسي بحركة علمية قوية فقدمت حركة العلم والادب والفن في مصر والشام خطوات حتي لا يعد شيئا بجانبها ما كان في العهد الطولوني والاخشيدي ويصح ان توازن بما كان في العراق ولا سيما العلوم العقلية والفلسفية فقد ازدهرت في مصر وسارت شوطا بعيدا ونشطت الحركة العقلية في مصر والشام وعنيت الدولة بدور الكتب وذلك بفضل الازهر ودار العلم وخصائصها العلمية ، وعنيت الدولة

[1]ابن خلكان، مصدر سابق، ج1، ص85-86.

[2]محمد عبد المنعم، علي علي صبح، مرجع سابق، ص43.

بدور الكتب ونشر العلم وتشجيع العلماء ، فظهر الكثير من المؤرخين والفلاسفة والعلماء والرياضيين واللغويين والنحويين والادباء ومنهم تلميذ ابي جعفر النحاس المصري الذي توفي عام 388هـ/998م)، وابن باشا وابن القطاع النحوي المتوفي(469هـ/1076م)، وسواهم[1].

ويقول المقريزي:" ان اول ما درس بالأزهر الفقه الفاطمي على مذهب الشيعة " ولقد كان بمن ألقى محاضراته في الازهر المؤيد الشيرازي داعي الدعاة الذي ناظر فيها المعري في عهد المنتصر الخليفة الفاطمي وكان الشيرازي شاعرا كتب الي المنتصر لما حسده الحساد باحتجاب الخليفة عنه بعد قدوم الشيرازي الي مصر، كتب المؤيد الشيرازي:

اقسم لو أنك توجتني **** بتاج كسري ملك الشرق

وانلتني كل أمور الوري **** من قد مضي منهم ومن قد بقي

وقلت ان لا نلتقي ساعة **** اجبت يا مولاي ان نلتقي

لان ابعادك لي ساعة **** شيب فؤادي مع الفراق

فأجاب المنتصر بالله بخطه:

يا حجة مشهورة في الوري **** وطود علم أعجز المرتقي

ما غلقت دونك ابوابنا **** الا لأمر مؤلم مقلقا

ولا حجبنا ملاك فستق **** بودنا وارجع الي الاليف

خفنا على قلبك من سمعه **** فصرنا صد اب مشفق

شيعتنا قد عدموا رشدهم **** في الغرب يا صاح وفي الشرق

[1]السيوطي، حسن المحاضرة، ج1،مصدر سابق، ص532.

فانشر لهم ما شئت من علمنا **** وكن لهم كالوالد المشفق

مثلك لا يوجد فيمن مضي **** من سائر الناس ولامن بقي

وله مؤلفات اخري عدا سيرته وديوانه ومحاضراته منها : كتاب الابتداء والانتهاء ، وكتاب المسالة والجواب ، وكتاب نهج العبادة وشرح المعاد ، والمسائل السبعون ، ونهج الهداية للمهتدين ، واساس التأويل بالفارسية ، والسبح السبع ، والايضاح والتعبير في فضل يوم القدير ، تأويل الأرواح، المجالس المستهدفة، ولقد أصيبت الحياة العقلية في مصر الإسلامية بكثير من الاضطراب والعنف في أواسط القرن الخامس الهجري ، أي منذ اضطربت شؤون الخلافة الفاطمية في عهد المنتصر بالله ، ونكبت مصر بالشدة العظمي ، وكانت عنف القحط والوباء أعواما طويلة (446 – 464هـ/1054"–1071م) وانشغل المجتمع المصري حينا بما توالي عليه المحن وشغل الخلفاء ورجال الدولة بالتنازع علي السلطات وترتيب الانقلابات السياسية العنيفة لمن تعهد الحركة الفكرية وقترت الدولة علي معاهد التعليم لنضوب مواردها وبددت خزائن الكتب اثناء الفتنة وكانت من انفس واعظم ما عرف العالم الإسلامي [1].

وكان لهذا الاضطراب أثره في الازهر ودار الحكمة فركزت حركة الدروس والتحصيل تبعا لركود الحياة العامة واضطراب الحياة الخاصة، وفي القرن الخامس في عهد امير الجيوش بدر الجمالي المتقلب علي الدولة (465 – 487هـ/1072–1094م)" وولده الأفضل شاه هنشاه (487 – 515هـ/1094–1121م) عاد النظام والامن والرخاء الي البلاد وانتظمت الحياة واستعادت الحياة الفكرية نشاطها بما اسبغ عليها من الرعاية، وما بذل للإنفاق علي معاهد الدرس من الأموال والارزاق[2].

---

[1] المقريزي،الخطط، ج2، ص354.

[2] محمد عبد المنعم خفاجة، علي علي صبح، مرجع سابق، ص51.

كان الازهر منذ بدأت فيه الدراسة مفتوح الباب لكل مسلم يقصد اليه الطلاب من مشارق الأرض ومغاربها، وكان يضم بين طلبته دائما الي جانب الطلاب المصرين عددا كبير من أبناء الأمم الإسلامية يتلقون الدراسة، وتجري عليهم الارزاق، وتقيم كل جماعة منهم في مكان خاص بها وهذا هو نظام الاروقه الشهير والذي استمر قائما حتى العهد الأخير، وما زالت منه الي اليوم بقية بالجامع الازهر[1].

نعم من هذه الاروقة الرواق السناري الذي كان قائم في فترة السلطنة الزرقاء في السودان (1504 / 1821م) وهو من الاروقة المشهورة لدي السودانيين.

اما مواد الدراسة بالأزهر فكانت علوم الدين واللغة كانت في المقدمة دائما، وكان للعلوم الدينية نوع خاص اوفر حظ، فعلوم القران والحديث والكلام والأصول والفقه علي مختلف المذاهب وكذلك علوم اللغة من النحو والصرف والبلاغة ثم الادب والتاريخ، هذه كلها كانت زاهرة بالأزهر خلال العصور الوسطي، وقد كانت الصيغة المذهبية تقلب علي الدراسة بالأزهر ولا سيما في بادية عهدها، ولم يكن ذلك غريبا في ظل دولة كالدولة الفاطمية ولكن هذه الصيغة المذهبية لم تكن دائما مطلقة، ولم تكن دائما لزاما علي الطلاب وان الخلافة الفاطمية رغم تمسكها بصيغتها المذهبية العميقة لم تستطع ان تحشد سواد الشعب المصري الي جانبها في هذا المضمار، بل نراها في أحيان كثيرة تلجا في ذلك الي سياسة الرفق والتسامح[2].

ومن اكبر الدلائل علي سياسة الرفق والتسامح المرسوم الديني الذي أصدره الحاكم بأمر الله وهو من غلاة الفاطميين في سنة (389هـ / 1008م) وفيه يقرر بعض الاحكام ويفسرها علي اثر ما وقع بين الشيعة واهل السنة من خلاف ، ويحاول ان يوفق في ذلك بين المذاهب

---

[1] المقريزي،الخطط، ج4، ص54.

[2] محمد عبد المنعم، علي علي صبح، المرجع السابق، ص54.

المختلفة وقد جاء فيه: " يصوم الصائمون علي حسابهم ويفطرون، ولا يعارض اهل الرؤية فيما هم عليه صائمون ومفطرون، صلاة الخميس للذين بما جاءهم فيها يصلون، وصلاة الضحى وصلاة التراويح لا مانع منها ولا هم عنها يدفعون، بخمس في التكبير علي الجنائز المخمسون، ولا يمنع من التكبير عليها المربعون، يؤذن بحي علي خير العمل المؤذنون ولا يؤذن من بها لا يؤذنون، و لا يسب احد من السلف ولا يحتسب علي الواصف فيهم بما يوصف والخالف فيهم بما خالف، لكل مسلم مجتهد في دينه اجتهاده والي الله ربه ميعاده، وعنده كتابه وعليه حسابه، ليكن عباد الله علي مثل هذا عملكم منذ اليوم، لا يستعلي مسلم علي مسلم ، ولا يعترض علي صاحبه فيما اعتمد ، من جميع ما نصه امير المؤمنين في سجله هذا"[1].

هذا الرفق والتسامح في الدولة الفاطمية ليس ثبات بل متغلب حسب الأحوال في الدولة بصورة كبيرة.

اما عن الكتب الدراسية التي كانت تدرس بالأزهر في العهد الفاطمي كما قلت سابقا اول كتاب درس بالأزهر هو كتاب " الاختصار" الذي وضعه أبو حنيفة النعمان قاض المعز لدين الله في فقه آل البيت ثم كانت له كتب اخري وهي كتاب " دعائم الإسلام" وكتاب " اختلاف الفقهاء" وكتاب " الاخيار" الذي عني بتدريسه في الازهر وكتاب " اختلاف أصول المذاهب" ومن المرجح انها كانت تقرا وتدرس بالأزهرحتى أواخر القرن الرابع[2].

[1]ابن خلدون، المقدمه،ج4، ص60.

[2]ابن خلكان، المصدر السابق، ج2، ص419.

ثم قرأ بالأزهر كتاب الفه الوزير ابن كلس في الفقه الشيعي على مذهب الإسماعيلية مما سمعه في ذلك من المعز لدين الله والعزيز بالله وهو المعروف بالرسالة الوزيرية وكان يجلس لقراءته وتدريسه بنفسه[1].

الكتب الاولي التي قررت للتدريس هي كتب اشتقت من المصادر الرسمية وكان بها صيغه رسمية واضحة، وكان التدريس بالأزهر يجري على مذهب الشيعة بصفة رسمية وشد ذلك في بادي الامر حتى انه في سنة (381هـ/991م)، في عهد العزيز بالله قبض على رجل وجد عنده كتاب" الموطا" للأمام مالك وجلد من اجل احرازه[2]، وفي سنة (416هـ/1025م)، امر الخليفة الظاهر الاعزاز دين الله ولده الحاكم بأمر بالله بان يدرس للناس كتاب" دعائم الإسلام" وكتاب " مختصر الوزير" ورتب لمن يحفظها مالا[3].

ان الكتب الفقهية التي كانت تدرس بدار الحكمة كانت تدرس أيضا بالأزهر واما عن العلوم الأخرى فلم تلقي ضوء علي أنواع الكتب التي كانت تدرس بالأزهر في هذا العصر في العلوم الأخرى وكانت تشمل مصنفات اعلام الأساتذة المعاصرين الذين انتهت اليهم الرياسة في بعض العلوم او الذين تولوا التدريس بالأزهر مثل العلامة ابن الحسن علي بن إبراهيم الحوضي ، امام العربية والنحو ، وصاحب كتاب اعراب القران ، وابن باشاه النحوي صاحب كتابه " المقدمة" و" شرح الجمل" وابن القطاع اللغوي صاحب كتاب" الاختصار" وابي القاسم الرعيني الشاطبي امام القراءات وصاحب القصيدة الشهيرة في علم القراءات " جزر الاماني ووجه التهاني" وغيرهم ممن انتهت اليهم الرياسة في هذا العصر[4].

---

[1] المقريزي،الخطط، ج4، ص157.

[2] نفسه، ص157.

[3] نفسه، ص169.

[4] محمد عبد المنعم خفاجة، علي علي صبحي، المرجع السابق، ص56.

عنيت الدولة الفاطمية عناية خاصة باقتناء وانشاء المكتبات العظيمة وكان بالقصر الفاطمي مكتبة جامعة ذكرها المؤرخون في وصف عظمتها ونفائس محتوياتها، وكان بها ما يزيد علي مائتي ألف مجلد في سائر العلوم والفنون، في الفقه والحديث واللغة والتاريخ والادب والطب والكيمياء والفلك وغيرها، وبعد استيلاء صلاح الدين علي القصور ومن جملة ما باعوه خزانة الكتب وكانت من عجائب الدينا ويقال انه لم يكن في جميع بلاد الإسلام دار كتب أعظم من التي كانت بالقاهرة في القصر[1].

وكان للجامع الازهر مكتبة خاصة وكانت المساجد الجامعية تزود في هذه العصور بمجموعات من الكتب ولا سيما كتب الحديث والفقه ولكن يوجد ما يوحي على ان الازهر له من خزائن الكتب نصيب حسن، وكانت له مكتبة كبيرة ذات أهمية خاصة وذلك في سنة(517هـ/1123م) قد اسند الي داعي الدعاة ابن الفخر صالح منصب الخطابة بالجامع الازهر مع خزانة الكتب، اسناد الاشراف على خزانة الكتب الي داعي الدعاة وهو أكبر رئيس ديني بعد قاضي القضاة دليل علي قيمتها واهميتها[2].

وهناك من اعلام الفكر والادب في هذا العصر من كانت لهم صلة عملية بالأزهر فتلقوا دراستهم او تولوا التدريس فيه، فمنهم المسبحي الكاتب والمؤرخ الشهير وهو الأمير المختار عز الملك محمد ابن عبد الله بن احمد الحراني ، ولد بمصر سنة(366هـ/976م)، وتوفي(420هـ/1029م) وكان من الأقطاب الامراء والعلماء ، تولي الوزارة للحاكم بأمر الله واخذ بقسط في مختلف علوم عصره ومن المعقول ان يكون المسبحي وهو من أولياء الفاطمية واقطاب علمائها من أساتذة المعهدين الفاطميين ، دار الحكمة والازهر وشغف المسبحي

[1] المقريزي،الخطط، ج2، ص253 –255.

[2] محمد عبد المنعم خفاجة، علي علي صبح، المرجع السابق، ج1، ص57.

بتدوين التاريخ والف فيه عدة كتب منها تاريخه الكبير المسمى " اخبار مصر" وكتب المسبحي كتبا اخري في التاريخ والادب والفلك ولكن لم نلتقي شيئا منها[1].

ومنهم أبو عبيدة القضاعي الفقيه والمحدث والمؤرخ وهو محمد بن سلامة بن جعفر ، ولد بمصر في أواخر القرن الرابع وتوفي سنة(454هـ/1062م)، وكان من عهد الخليفة المنتصر بالله الفاطمي واوفده المنتصر سفيرا الي ثيودورا قيصر قسطنطينية سنة(447هـ/ 1055م) "ليحاول عقد الصلح بينها وبين مصر وكتب عدة مصنفات في الحديث والفقه والتاريخ منها " الشهاب" و" ومسند الاصحاب" وهما في الحديث وكتاب" مناقب الامام الشافعي " و" أبناء الأنبياء" و " عيون المعارف" وهما مختصرات في التاريخ ، وكتاب " المختار في ذكر الخطط والاثار" وهو تاريخ مصر والقاهرة حتي عصره[2].

ومنهم الحوضي النحوي اللغوي وهو أبو الحسن علي بن إبراهيم بن سعيد وكان من أئمة اللغة في عصره واشتغل مدة طويلة بالتدريس في مصر والقاهرة والف كتبا كثيرة في النحو والادب منها كتاب " اعراب القران" وكانت وفاته في سنة(430هـ/1038م)، كذلك من العلماء والادباء ابن بالشاذ النحوي الشهير وهو أبو الحسن طاهر بن احمد المصري المعروف بابن بشاذ ، كان امام عصره في اللغة والنحو، والف فيهما عدة كتب ، واشتغل حينا بديوان الانشاء في عهد المنتصر بالله وتوفي(469هـ/1076م)، لذلك كان الازهر بحق اعظم مؤسسة لصرح الحياة العقلية والثقافية في عهد الفاطميين.

كان هناك اهتمام من قبل الفاطميين بالعلوم الرياضية والطبية والفلكية والجغرافيا تلك العلوم التي أنشأوا لها في عهد الحاكم سنة(359هـ/970م)، مؤسسة خاصة اسموها دار الحكمة

---

[1] السيوطي، المصدر السابق، ج1، ص265.

[2] نفس المصدر ، ص266.

ولذلك من هذا الاهتمام كانت هذه العلوم تدرس في الازهر، لكن لا شك ان الصدارة والشطر الأكبر من العناية كانت للعلوم النقلية الدينية ولا سيما علوم قانون الشريعيه[1].

الازهر جامع الدولة الرسمي:

في يوم عيد الفطر سنة (362هـ/973م) ركب المعز لدين الله اول الخلفاء الفاطميين بمصر عقب مقدمةالي عاصمة ملكه الجديد الي الجامع الازهر لصلاة العيد والقي خطبة بليغة ابكي فيها الناس ، وكانت هذه اول صلاة رسمية يشهدها الخليفة الفاطمي بالجامع الازهر ، واستمر الازهر يستأثر لهذا الامتياز الرسمي في ظل الدولة الفاطمية زهاء أربعين عاما تقام فيه الجمع الرسمية ، ويخطب الخليفة فيه بنفسه في جمع رمضان وفي الأعياد حتي تم انشاء الجامع او جامع الانوار في عهد الحاكم بأمر الله وكان الخليفة العزيز بالله قد بدأ بانشائه منذ(380هـ/990م) وشهد به الجمعة في رمضان وخطب فيه غير مرة ، ولكنه توفي قبل اتمامه فعني ولده الحاكم بأمر الله بإتمامه منذ(393هـ/1003م)، واستغرق بناءه عشر سنين ولما تم بناءه عني الحاكم بأمر الله بفرشه وتأثيثه عناية كبيرة وزين بالستور الفخمةواقيمت فيه الجمعة الرسمية في رمضان سنة (403هـ/1012م)، وصلي فيه الحاكم بالناس وكان يوما مشهورا[2].

وألغي الجامع الازهر لأول مرة في جامع الحاكم منافسا ينازعه الصفة الرسمية التي استأثر بها حتى ذلك الحين، وكانت الجمعة الرسمية تقام أيضا من وقت الي اخر في بعض المساجد الفاطمية الأخرى، مثل جامعي راشدة والمقسى اللذين انشاهما الحاكم بأمر الله وكانت الخطب

[1] محمد عبد المنعم خفاجة، علي علي صبح، المرجع السابق، ج1، ص60.

[2] المقريزي، الاتعاظ، ص92.

الخلافية تلقي في الازهر وجامع الحاكم وكذلك في جامعي عمرو وبن طولون الذين لبثا يحتفظان دائما بهيبتهما القديمة[1].

ولكن الجامع الازهر لم يفقد من جراء هذه المنافسة مكانته الخاصة بل كان دائما يعتبر في نظر الخلفاء الفاطميين ورجال الدولة مسجد الدولة الأول ، فكانت إقامة الجمعة والصلوات الموسمية الجامعة بالأزهر من اخص المظاهر المذهبية الرسمية التي اسبغتها عليه الخلافة الفاطمية ، وقد راينا في تقدم ان الجامع الازهر انشي ليكون رمزا الامامة للدولة الجديدة ومنبرا لدعوتها وقد لبث الازهر منذ انشائه محتفظ بهذه الصفة علي الرغم من قيام عدد من المساجد الاخري الفاطمية الجامعة التي نافسته فيما بعد من إقامة الجمعة والصلوات الموسمية وكان الخليفة يشهد الصلاة أيام الجمع والاعياد الموسمية ويخطب فيه بنفسه في أحيان كثيرة وكانت خطبة الجمعة الرسمية ما تزال علي عهدها تلقي بالجامع الازهر حتي أواخر الدولة الفاطمية.

وكان الجامع الازهر يستأثر منذ عهد المعز لدين الله حتى قيام الجامع الحاكمي بالخطب الرسمية الثلاث في رمضان ثم كانت تلقي هذه الخطب بعد ذلك على الترتيب الاتي:

الاولي: بالجامع الحاكمي " جامع الانوار" والثانية: بالجامع الازهر،والأخير: بالجامع العتيق او جامع عمرو[2].

ظل الجامع الازهر في العهد الفاطمي فضلا عن صفته الجامعية وعن إقامة الجمع والصلوات الرسمية فيه مركزا لكثير من المظاهر والمناسبات الرسمية الأخرى فمن ذلك انه كان مركز المحتسب، وكان منصب المحتسب من اهم المناصب الدينية في الدولة الفاطمية وهو الثالث بعد قاضي القضاة وداعي الدعاة وعمله يتناول الامر بالمعروف والنهي عن المنكر عن

---

[1] القلقشندي، المصدر السابق ،ج3، ص176.

[2] المقريزي،الخطط، ج4، ص61-62.

قاعدة الحسبة وله نواب في جميع انحاء القطر ويجلس بالجامع الازهر وجامع مصر " جامع عمرو" يوما بعد يوم[1].

كذلك انه كان مركز الاحتفال الرسمي بالمولد النبوي الشريف ففي اليوم الثاني عشر من شهر ربيع الأول يركب القاضي بعد العصر ومعه الشهود الي الجامع الازهر كذلك كان الاحتفال المحزن بيوم عاشوراء او مأتم عاشوراء يقام بالجامع الازهر قبل انشاء المشهد الحسيني في سنة (549هـ/1154م،) ومن المناسبات التي كانت تقام في الازهر ليالي الوقود الأربع وهي ليلة اول رجب وليلة نصفه وليلة اول شعبان وليلة نصفه وكان الخليفة يقصد مساء الي منظرة الجامع الازهر وكانت بجواره من الجهة القبلية وتشرف عليه ويجلس الخليفة في هذه المنظرة ومعه حرمه ، وكانت ليالي القود من المناسبات العامة التي يتبوا فيها الجامع الازهر مكانه خاصة ، فيخرج الناس اليه من كل فج ويبدو فيها المسجد الشهير كانه شعله نور[2].

هذا فيما يخص إقامة هذه المناسبات في الجامع الازهر اما عن طريقة الاحتفال انظر الفصل الثاني الأعياد والاحتفالات.

كذلك كان الجامع الازهر أيام المعز والعزيز والحاكم مركزا لمجالس الحكمة الفاطمية، وكانت هذه المجالس التي رتبتها الخلافة الفاطمية لبث دعوتها وتوطيد امامتها تتخذ صورة الدعوة الي قراءة علوم آل البيت والتفقه فيها وكانت مجالس الحكمة تعقد أحيانا في القصر وأحيانا في الجامع الازهر ويشترك في القائها بعض كبراء الدولة مثل الوزير ابن الكلس ثم عهد

[1] القلقشندي، المصدر السابق، ج3، ص487.

[2] محمد عبد المنعم خفاجة، علي علي صبح، المرجع السابق، ج1، ص65-67.

بعد ذلك الي داعي الدعاة بالأشراف على تنظيم هذه الدعوة وبثها ووضعت لها نظم ورسوم خاصة[1].

وقد تعهد الخلفاء الفاطميون الجامع الازهر بالتجديد والعمارة في فرص عدة وفي سنة(378هـ/988م) جدد فيه العزيز بالله أشياء ثم جدده ولده الحاكم بأمر الله وزوده بمجموعة من التنانير الفضية ورتب له في سنة(400هـ/1009م) مع بعض المنشآت الفاطمية الأخرى اوقاف ينفق من ريعها علي ادارته وشؤونه فكانت اول وقفيه رتبت لجامع الازهر وقام الخليفة المنتصر بالله أيضا بتجديد الازهر وجدده من بعد الحافظ لدين الله، وانشا فيه مما يلي الباب الغربي مقصورة عرفت بمقصورة فاطمة الزهراء[2].

وهكذا لبث الازهر خلال حياته الطويلة الخاصة مواقع العناية والرعاية من الخلفاء والسلاطين والامراء ويتعهدونه بالتجديد والإصلاح ولم يحظ جامع اخر بهذا الفضل في ذلك ما يتمتع به الازهر من الصفات العلمية الي جانب صفته الدينية.

---

[1] المقريزي،الخطط، ج2، ص225-226.

[2] محمد عبد المنعم خفاجة، علي علي صبح، المرجع السابق، ج1، ص69.

المبحث الثاني

دور المكتبات ودار الحكمة والوزراء في الحياة الثقافية في مصر الفاطمية:

1- دور المكتبات ودار الحكمة في الحياة الثقافية :

أ/ دور المكتبات :

تاريخ المكتبات في الإسلام يرتبط ارتباطا وثيقا بالتاريخ العربي الإسلامي فالمعروف ان العرب قبل الإسلام عاشوا في الجزيرة العربية الإسلامية احقابا طويلة وهم في شبه عزلة عن العالم رغم اتصالاتهم المحددة مع الروم والفرس والاحباش عن طريق التجارة وبشكل عام كانت حياتهم بدوية متنقلة اما علومهم فكانت تتناسب ومتطلبات حياتهم ولم يهتم العرب قبل الإسلام بالتدوين ، فقد اعتمدوا علي الذاكرة في حفظ ونقل نتاجهم الفكري وبالتالي لم يكن عند العرب قبل الإسلام سجلات مكتوبة بحيث لا يمكن الحديث عن شي اسمه مكتبة ويمكن ان يعزي ذلك الي الإسلام وعدم توافر مواد للكتابة بالرغم من أن قسما منهم عرف الكتابة وكتب علي عظام الحيوانات وسعف النخيل والحجارة[1].

اهتم الخلفاء بتأسيس المكتبات العامة وجمعوا فيها الكتب العربية والفارسية والمترجمة عن اليونانية والفارسية، كما انشأوا المكتبات في المدارس والمساجد ولم يكن هذا غريبا لان الإسلام حض علي العلم، واستخدام العقل في أمور الحياة فقال تعالي " هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون"[2] وقد زاد من هذا النهضة العلمية والثقافية استخدام الورق في الكتابة واعطوا الحبر الوانا مختلفة وزخرفوا وجوه الكتب وذهبوها، ونشطت حركة التدوين والتأليف نشاط لم يعهده

---

[1] عمر احمد همشري، ربحي مصطفي عليان، اساسيات علم المكتبات والتوثيق والمعلومات، ط1، عمان، مطابع جريدة الأسواق ،1988م، ص13.

2 سورة الزمر، اية 9

التاريخ الا في العصر الحاضر، ونظرا لاهتمام المسلمين بالقران الكريم وتدوينه صنعوا النقاط واشكال الحروف منعاً للحن القرأن ووضعوا قواعد اللغة، فقد قام أبو الأسود الدؤلي بوضع النقاط علي الحروف ثم جاء نصر بن عاصم الليثي ونقط الحروف فجعل للباء نقطة والتاءنقطتين والجيم نقطة في بطنها ثم وضع الخليل بن احمد الفراهيدي الشكل فوضع الضمة والفتحة والكسرة والتنوين وحل اشكال النطق[1].

بإزدهار حركة التأليف والترجمة ظهر الاهتمام بالكتاب وازدهرت هذه المكتبات تبعا لتزايد اعداد الكتب وشقف الناس الشديد بالقراءة وكان من الطبيعي ان تؤدي هذه النهضة العلمية الي جمع الكتب والمؤلفات وتكوين المكتبات الخاصة ببعض الافراد وقد كانت في مجموعها صغيرة ولكن مكتبات الخلفاء وكبار رجال الدولة ما لبثت ان تحولت الي مكتبات عامة لخدمة طوائف معينة من القراء ولقد اوصي بها أصحابها ان تحفظ في المساجد والمدارس حفظا دقيقا وكذلك فان أساتذة معاهد العلم اهدوا مؤلفاتهم ومكتباتهم الخاصة الي معاهدهم التي كانوا يدرسون فيها[2].

لقد كان القران الكريم ولا يزال فتحا جديد في تاريخ المعرفة الإنسانية فهو قد رفع العلم والعلماء الي اسمي منزلة، اقسم الله في محكم آياته بالكتاب وبالتعلم وما يسيطرون كما حض القران علي القراءة والتعليم في اول سورة نزلت علي الرسول الأمين "ص" ومن هنا فليس بغريب ان توصف الحضارة العربية الإسلامية بانها كتب ومكتبات واذا كان المصحف الشريف هو اول كتاب ظهر في لغة العرب، فقد بدأت حركة التأليف منذ منتصف القرن الأول الهجري وشهد القرن الثاني ظهور الكتب وحركة تدوين التراث والتاريخ متأثرة في ذلك بطريقة كتابة الحديث أما القرنان الهجريان الثالث والرابع راينا ازدهار حركة التأليف خصوصا بعد إقامة صناعة الورق

[1] عبد الله إسماعيل الصوفي، المكتبات وخدماتها، ط1، عمان، جمعية عمال المطابع، "ب. ت"، ص65.

[2] حسن رشاد، المكتبات ورسالتها، ط3، دار الفكر العربي،ب.ث، ص31.

في بغداد ونظرا لحب المسلمين الأوائل للكتب والقراءة والعلم وكنتيجة لاتصالهم بالثقافات الأجنبية التي وجدوها في البلاد التي فتحوها انتشرت عندهم أنواع عدة من المكتبات[1].

ان تاريخ المكتبات جزء لا يتجزأ من تاريخ الحضارة العربية الإسلامية والفكر الإسلامي، ارتقت بارتقائه وساعدت علي ازدهاره ونضجت معه وانحطت بانحطاطه وان تاريخ الكتب عند المسلمين مهم جدا واساس المعرفة تطور المعرفة الإنسانية عندهم، ذلك انه لم تتفوق علي المسلمين امة من الأمم في حبهم للكتب والعناية بالمكتبات والمعرفة عامة، والمكتبات من اهم وسائل نشر المعرفة علي مدي العصور وقد انتشرت المكتبات في الإسلام انتشارا واسعا وهي وان كانت ثمرة من ثمار الحضارة العربية الإسلامية الا انها تعكس في تاريخها هذه الحضارة التي كانت نفسها ثمرتها وان الاطوار التي مرت بها هي اطوار الحضارة الإسلامية بشكل عام ويعد العصر العباسي عصر الابداع في الحضارة الإسلامية وفيه نضجت واينعت واتت اكلها وزخرت البلاد الإسلامية بالعلماء والتلاميذ والمعاهد والمدارس وكان للمكتبات من ذلك نصيب موفور اذ تباري الخلفاء والامراء والافراد والوزراء والحكام والولاة في العناية بالمكتبات وفي تشجيعها[2].

أنواع المكتبات في الحضارة الإسلامية:

عرفت الحضارة الاسلامية انواع عدة من المكتبات ومن تلك الانواع ،المكتبات العامه والمكتبات الخاصة والمكتبات الخلفاء وهي التي سوف نتحدث عنها

[1] احمد بدر، المدخل الي علم المكتبات والمعلومات، دار المريخ للنشر، الرياض، 1985م، ص33.

[2] سعيد احمد حسن، أنواع المكتبات في العالمين العربي والإسلامي، ط1، دار الفرقان للنشر والتوزيع، 1984م، ص2.

أ. مكتبات الخلفاء:-

هي نوع من المكتبات انتشرت علي امتداد العالم الإسلامي من الشرق الي الغرب وهذه المكتبات كان ينشئها الخلفاء والامراء والحكام من اجل انفسهم وقد جعلوها حلقات للمناظرة والسمر والعلوم كما كانت من اجل نشؤ مذهب يعتنقه الحكام والامراء ومن امثلتها المكتبة التي أسسها الساميون في بلاد خرسان، ومكتبة الحكم الثالث وخزانة الكتب في العصر الفاطمي[1]، واذا اتينا الي مصر زمن الخلافة الفاطمية وجدنا اهتماما منقطع النظير بالعلم والكتب والمكتبات، ذلك ان الدعوة الفاطمية قامت علي العلم وعلي نشر مبادئها عن طريق التعليم والاقناع والتوجيه وبث الأفكار بشكل غير مباشر.

ولعل اول من اهتم بالعلم علي مقياس واسع المعز الذي بني القاهرة والجامع الازهر ثم خلفه ابنه العزيز الذي توسع كل التوسع في ميدان العلم والتعليم فأنشاء دار للعلم بجوار الجامع الازهر سنة(378هـ/ 988م) وجعلها لخمسة وثلاثين من العلماء وكذلك اهتم اهتماما بالغا بالكتب تفنن في جمعها والحصول عليها وساعده علي ذلك ان وزيره يعقوب بن كلس نفسه كان محبا للعلم مشجعا لاهلها جماعة للكتب نصيرا للفنون والحقيقة توصف خزائن الفاطميين انها من عجائب الدنيا ولم يكن في جميع بلاد الإسلام دار كتب اعظم منها، وكان عندهم نوعان من الخزائن: الاولي خزائن القصر الخارجية عدتها أربعون خزانه اشهرها خزانة التي قيل فيها "أمّا خزانة الكتب فكانت في احد مجالس البياسرتان العتيق اليوم وكان فيها ما يزيد علي مائة الف مجلد في سائر العلوم يطول لأمر في عدتها" اما الخزائن الداخلية فكان الاطلاع عليها محظوراعلي العامة علي حين ان العامة كان مسموحا لهم الاطلاع والاختلاف الي خزائن القصر الخارجية[2].

[1] سعيد احمد حسن، أنواع المكتبات في العالمين العربي والإسلامي، ط1، دار الفرقان للنشر والتوزيع، 1984م، ص2.
[2] محمد ماهر حمادة، المكتبات في الإسلام نشأتها وتطورها ومصائرها، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر، الطبعة الاولي، 1390ه / 1970م، ص2.

كذلك يقول المقريزي عن هذه الخزائن (وكانت من عجائب الدنيا ويقال انه لم يكن في جميع بلاد الإسلام دار كتب أعظم من التي كانت بالقاهرة في القصر ومن عجائبها انه كان فيها 1200نسخة من تاريخ الطبري الي غير ذلك، وكذلك بها ألف وستمائة كتاب وكان بها من الخطط المنسوبة أشياء كثيرة[1].

الواقع ان مكتبات الفاطميين كانت تحوي نسخا عديدة ويهتم الخلفاء بجمع نوادر المؤلفات وامهات الكتب، والكتب المخطوطة بخطوط مؤلفيها والكتب المخطوطة بخطوط أشهر الخطاطين ولو كلفهم ذلك كثير من المال والجهد والعناء ذكر عند العزيز (الفاطمي) كتاب (العين في اللغة) فاخرج منه نيفا وثلاثين نسخة من خزائنه منها واحدة بخط الخليل بن احمد مؤلفها وحملت اليه نسخة من تاريخ الطبري اشتراها بمائة دينار فامر الخزان فاخرجوا من خزائنه عشرين نسخة منها نسخة بخط محمد بن جديد جامعه[2].

كذلك اهتم الفاطميون بتأثيث مكتباتهم بأفخم الأساس وفرش الأراضي بالبساط الجميلة المزخرفة وتعليق الستور الممتازة علي الأبواب والممرات فقد دخل احد السياح مكتبة الفواطم هذه فراي فيها قطعا من الحديد الأزرق غريب الصفة فيها صورة أقاليم الأرض وجبالها وبحارها ومدنها وانهارها ومساكنها وجميع المواطن المقدسة مبينة للناظر مكتوب بأسماء طرائقها ومدنها وجبالها وبلادها وانهارها وبحارها ومدنها وغيرها بالذهب والحرير[3]، وقد تعاودت الفتن والحروب والثورات علي هذه المكتبات فانتقصت وانتهبها حتي دخل صلاح الدين القاهرة والغي الخلافة الفاطمية سنة (567هـ/1171م)، فطرح محتويات جميع مكتبات الفاطميين للبيع بالمزاد العلني.

[1] المقريزي، الخطط ،ج2، ص253.
[2] محمد ماهر حمادة، مرجع سابق، ص119.
[3] احمد امين، ظهر الإسلام، ج1، ض119.

ب/ دور دار الحكمة في القاهرة :

هنالك منافسة بين الفاطميين والعباسيين في السياسة والعلم والادب وفي القرن الرابع الهجري أسس الفاطميون دار الحكمة بالقاهرة سنة (395هـ / 1004م)، علي نحو ما كان عليه بيت الحكمة في بغداد وجعلوا فيها مكتبة كبيرة وضمه فيها الاف الكتب المنوعة والنادرة المنال ، والتي تمتاز بجودة الخط، وجمال التجليد ودقة الزخارف وهي في شتي العلوم والفنون والمعارف تجد فيها كتب الفقه والنحو واللغة والحديث والسير والنجوم والرومانيات والكيمياء والفلسفة والطب وغيرها من كل كتاب عدة نسخ وفيها المصاحف المذهبة بالخطوط المنسوبة ، كخط ابن مقلة وابن البواب وغيرهما من الخطاطين[1].

يقول المقريزي: ان الحاكم بأمر الله (375هـ – 410هـ / 985م – 1019م) نقل اليها من كتب قصره ومن خزائن القصور المعمورة بما يقدر بستمائة الف مجلد من اصل تلك الكتب كانوا يعدون مائة الف مجلد بديعة الخط والتجليد وبلغ عدد كتب دار الحكمة بعد هذا مليون وستمائة الف مجلد وانه لم يكن في جميع بلاد الإسلام دار كتب اعظم منها ، وكان فيها مصورات جغرافية والات فلكية وخطوط نادرة واقلام منسوبة وتحف فنية نادرة ومن ذلك كرتان ارضيتان احداهما من الفضة كان قد صنعها بطليموس ثم صارت الي الأمير خالد بن يزيد بن معاوية، ومكتوب عليها حملت هذه الكرة من الأمير خالد بن يزيد بن معاوية ، اما الكرة الثانية فكانت من النحاس صنعها أبو الحسن لأسد الدولة صالح بن مردوس الكرابي اول امراء المرؤوسين بحلب[2].

في سنة (395هـ/1005م) فتحت الدار الملقبة بدار الحكمة بالقاهرة وجلس فيها الفقهاء وحملت الكتب اليها من خزائن القصور المعمورة، دخل الناس اليها ونسخ كل من التمس نسخ

---

[1] حيدر قاسم ، المرجع السابق، ص68.

[2] المقريزي،الخطط، ج1، ص181.

شي مهما فيها ما التمسه، وكذلك من راي قراءة شيء مهما فيه، وجلس فيها القراء والمنجمون وأصحاب النحو واللغة والأطباء بعد فرشت الدار وزخرفت وعلقت علي جميع أبوابها وممراتها الستور وأقيم قوام وخدام وفراشون وغيرهم، واهتموا بخدمتها وحصل في هذه الدار من خزائن امير المؤمنين الحاكم بأمر الله من الكتب من سائر العلوم والادب والخطط المنسوبة مالم ير مثله مجتمعا لاحد قط من الملوك واباح ذلك كله لسائر الناس علي طبقاتهم من يؤثر قراءة الكتب والنظر فيها فكان من المحاسن المأثورة أيضا التي لم يسمع بمثلها اجراء الرزق لمن رسم له الجلوس فيها والخدمة لها من فقيه وغيره وحضرها الناس علي طبقاتهم وجعل فيها ما يحتاج الناس اليه من الحبر والاقلام والورق والمعابد وكان الحاكم بأمر الله يشرف بنفسه علي الحركة العلمية التي كانت في دار الحكمة[1].

واوقف الحاكم للدار ما يكفي لإدامة عمارتها والمرتبات من يشتغل فيها من العلماء والفقهاء والخدم ولأثار الدار وما يلزمها من المصروفات المختلفة وما يحتاج من مرتاديها من أدوات الكتابة ولوازمها وكان لها نسبة معينة من اوقاف الجامع الازهر وجامع المقس وجامع راشدة، وغير ذلك وسار الخلفاء الفاطميون على طريقته فضاعفوا اوقافهم وصرفوا عليها بسخاء وقيل ان النفقة عليها بلغت "43" مليون درهم سنويا وقيل ان النفقة السنوية كانت " 257" دينار في السنة[2].

والسبب الذي حمل الخلفاء الفاطميين علي ان يضاعفوا النفقة علي دار الحكمة وان يصرفوا عليها بجود وسخاء انهم اتخذوها مركزا ثقافيا لنشر دعوتهم ومبادئ مذهبهم الذي يؤيد حقهم في الخلافة خاصة وان النزاع بينهم وبين العباسيين كان قويا علي الخلافة وكانت الدولة العباسية في ضعف سياسي وقد تحكم الاعاجم في الدولة وانتزعوا السلطة من الخليفة فلجا الخلفاء

[1] حيدر قاسم التميمي، المرجع السابق، ص70.

[2] المقريزي،الخطط، ج1، ص185.

العباسيون الي الطعن بنسب الفاطميين وادعوا انهم ليسوا من نسل الامام جعفر الصادق وشنوا حملة قوية ضد مذهبهم والطعن في نسبهم ولم يجد الفاطميون بداً من مقاومة هذا العداء فلجاوا الي الدعاوي المذهبية في الدفاع عن خلافتهم والرد ما كتبه عنهم علماء اهل السنة انصار الخلافة العباسية ونقض ما كتبوه عنهم وكانت الدعوة الفاطمية اقوي بكثير من الدعوة العباسية[1].

كانت دار الحكمة تنظم الدعوة في مصر فأنها صارت مركز لنشر المذهب الفاطمي شمال افريقيا وبلاد الشام وبلاد الجزيرة وتخرج منها اعلام المذهب ومجتهدو ودعاته الذين خدموا الفاطميين اجل خدمة وامدوا الخزانة الفاطمية بشتي الكتب الفقهية والعلمية التي تعزز مذهبهم وتؤيد خلافتهم ومن الذين تولوا دار الحكمة هو داعي الدعاة أبو نصر هبة الله بن موسي بن ابي عمران الشيرازي المعروف بلقب المؤيد في الدين تولي الدار في خلافة المنتصر (427 487هـ / 1035 – 1094م) وله ثمانمائة مجلس عقدها في دار الحكمة وهي تقع في ثماني مجلدات كبيرة تناول فيها موضوعات اسماعيلية شتي دينية وسياسية وادبية وتأويلية وبجانب هذا فان الدار خدمت العلم خدمة تذكر كان يدرس فيها من النحو واللغة والطب والفلسفة والكيمياء وتخرج منها اعلام الفكر في العصر الفاطمي[2].

بقيت الدار عامرة بمجالسها العلمية حتي (461هـ / 1068م) فأصابتها نكبة طوحت بكثير من كتبها النفيسة وذلك ان الخليفة المنتصر بالله بن الظاهر(427 – 487هـ / 1025 – 1094) كان ضعيفا سيئ التصرف مدمنا علي الخمر اهمل البلاد فثار عليه الجيش بقيادة ابن حمدان سنة (461هـ / 1068م) واضطره الي بيع كنوز قصره لسد حاجتهم وامتدت ايدي الجيش الي خزانة كتب دار الحكمة وكانت تحوي كنوزا ثمينة ومما كان فيها الفان واربعمائة

[1] حيدر قاسم التميمي، مرجع سابق، ص71.

[2] نفس المرجع، ص 71

ختمة مكتوبة بخط محلي بالذهب والفضة فاقتسمها الاتراك وفرقوها بينهم وفرقوا كتب دار الحكمة وما فيها من نفائس وحملوا منها عدة احمال الي الإسكندرية ولما وصلت قرية " ابيار" سطا عليها بعض العربان من قبيلة " لواتة" فنهبوها واحرقوا ورقها وانتزعوا جلودها الثمينة وجعلوا منها احذية وهكذا تبدد قسم لا يستهان به من كتب دار الحكمة وهي من النكبات الكبيرة التي اصابتها[1].

في شهر ذي الحجة من سنة (516هـ / 1122م) حدثت في الدار فتن أدت الي غلقها وتعطيل مجالسها العلمية وذلك بسبب انه كان يتردد الي الدار رجلان أحدهما يدعي " بركان" والأخر يدعي: حميد بن مكي الاطفحي القصار" مع جماعة وكان القصار هذا يبث تعاليم هدامة وما زال يغالي بها حتى ادعي الالوهية ولاقت تعاليمه رواجا عند بعض البسطاء الذين كانوا يترددون الي الدار كما استفسر استاذين من أساتذة الدار فتفاقم امرهم وخشي اولوا الامر عاقبة هذه الحركة الهدامة فأغلقت دار الحكمة وقبض الي المضللين ونكل بهم.

ولكن هذا لم يكن السبب الأصلي الذي ادي الي اغلاق دار الحكمة وانما سببا مباشرا لغلقها والسبب الرئيسي هو: ان الفاطميين افترقوا الي فرقتين مستعلية ونزارية، فالمستعلية يدعون الي ان الامامة انتقلت بعد المنتصر بالله الي ابنه المستعلي بالله ثم الي أولاده من بعده وهم حزب الخليفة واما النزارية فيدعون ان الامامة انتقلت بعد المنتصر بالله الي ابنه نزار كان ذلك بالنص من ابيه المستعلي بالله وكانت مجالس المناظرة تعقد في دار الحكمة بين أصحاب الفرقتين ولكن النزارية تغلبوا علي المستعلية بدعواتهم و تعزيز مذهبهم فمال الناس اليهم وكثر النمو في المذهب وخشي المستعلية من تفوق النزارية عليهم لذا راوا من الحكمة غلق دار الحكمة وتعطيل

[1] حيدر قاسم ،مرجع سابق،ص71 .

مجالس العلم فيها الي ان تهدا الأحوال ويترك الناس الجدل في المذهب فامر الأفضل بغلق الدار[1].

وبعد عدة اشهر هدأت حركة النزارية واستقرت الأمور فطلب بعض خدم دار الحكمة من الخليفة لأمر بالله (495 – 524هـ/ 1101 – 1149م) ان يعيد فتح الدار ففاوض الخليفة وزيره " المأمون البطائحي" في الامر فأجاب الوزير لهذه الفكرة مشترطا اذا اعيد فتح الدار ان تسير الأوضاع الشرعية التي يقرها المستعلية وان يبني لها محل بعيد عن محلها الأصلي فشيد دار العلم الجديدة وكانت دار كبيرة ونقلوا ما كان في دار الحكمة القديمة وفتحت الدار الجديدة في شهر ربيع الأول (517هـ/ 1123م) وعاد الانتفاع بها كسابق عهدها وجعل بها خازن أبو محمد حسن ابن ادم من اقطاب العلم والفضل ولم تذل عامرة بمجالسها العلمية الي ان انتهت الدولة الفاطمية سنة(567هـ / 1171م)[2].

وبعد احتلال صلاح الدين الايوبي مصر حاول طمس معالم الدولة الفاطمية وقضي على مذهبهم فهدم دار الحكمة وشيد في محلها مدرسة الشافعية.

ومن الأغراض التي انشات دار العلم او دار الحكمة من اجلها ثلاث:

- استيعاب الكتب والمطالعات والمحاضرات.
- تثقيف القضاة وتدريبهم على الا يسمح لهم بدخول الدار حتى يتموا دراستهم في الجامع الازهر.
- تعليم موظفي الدعوة وذلك بعد ان يتم هؤلاء دراسته النحو والفلسفة والمنطق والنجوم في الازهر ثم يغادرونه الي دار الحكمة.

---

[1] المقريزي،الخطط، ج2، ص274 – 275.

[2] حيدر قاسم التميمي، المرجع السابق، ص77

وهذا كانت هذه الجامعة التي أطلق عليها اسم دار العلم او دار الحكمة تقوم بوظيفة من أكبر الوظائف في الدولة وهي وظيفة اعداد الدعاة وتزويدهم بالعلوم التي يستعينون بها على نشر الدعوة وكانت هذه الدعوة نفسها تمتزج بالفلسفة[1].

وقد ذكرنا ان دار الحكمة قد أغلقت للأسباب السابقة وتم فتحها بعد فترة من الهدوء وعندما تسلم الوزير بدر الجمالي مقاليد مصر جد في ان يجمع من كتب هذه المكتبة ما سلم من الحرق فاستعاد ما استطاع ان يعيدها للمكتبة من الأقطار واسترد ما كان في حوزة بعض الناس ولهذا استطاع ان يعيد للمكتبة شيئا من مكانتها.

من كل ما تقدم وما ذكرنا وعن دار الحكمة يدل على انها كانت بمثابة جامعة فيها اساتذتها وبها مكتبتها وفيها كل ما يبعث على النشاط العلمي والبحث والتحصيل فالفاطميون بإنشائهم الجامع الازهر ودار الحكمة كانوا اسبق الناس الي انشاء الجامعات التي تمتاز بها المدينة الحديثة في أيامنا هذه[2].

مجالس الحكمة في عهد الحاكم بأمر الله:

كان اخذ العهد شرطا أساسيا بدخول أي معتقد جديد الي المذهب الإسماعيلي والتعرف عن اسرار المذهب او علم الباطن المعروفة والحكمة وكان تعليم الحكمة يتم في مجالس يحضرها المعتقد الجديد اما منفردا او مع اخرين[3].

لم يكن ينتظم في هذه المجالس سوي المعتقدين فقط ولا يسمح لغيرهم بحضورها وحتي يمكن السيطرة علي ذلك فأنها كانت تعقد داخل قصور الامام في مكان مخصص وهذا الغرض سواء

---

[1] حيدر قاسم التميمي، المرجع السابق، ص140.

[2] نفسه، ص141.

[3] ايمن سيد فؤاد، المرجع السابق، ص574.

في افريقية او في القاهرة، وفي اعقاب الفاطميين لمصر لم تطووا اختلافات أساسية علي طريقة تبليغ الدعوة وعقد مجالس الحكمة التي كان يتولاها في الستين عاما الأولي للحكم الفاطمي في مصر قاضي القضاة حيث توارث ستة من اسرة بني النعمان منصب القضاة في هذه الفترة وكان اول من أضيفت اليه الدعوة الي جانب القضاة منهم هو الحسين بن علي بن النعمان سنة (389هـ/998م)، وكانت هذه المجالس تعقد في اول الامر يومين في الأسبوع " الخميس والجمعة" في موضع بالقصر يعرف ب" المحوّل" وكان الداعي في أوقات الاجتماع يصلي بالناس في رواقه[1].

فخلال اليومين في الأسبوع يعقد الداعي خمسة مجالس، مجلس للأولياء ومجلس للخاصة وشيوخ الدولة ومن يختص بالقصور من الخدم وغيرهم ومجلس لعوام الناس وللطارئين على البلد ومجلس للنساء وكان يعقد في جامع الازهر ومجلس لحرم نساء القصر[2].

اما كيفية اعداد هذه المجالس وكتابتها فان الداعي كان يعمل المجالس في داره ثم ينفذها الي من يختص بخدمة الدولة ويتخذ لهذه المجالس كتبا يبيضونها بعد عرضها علي الخليفة وفي زمن الخليفة الحاكم بأمر الله وفي إطار سياساته المتناقضة طرا تحول كبير على مجالس الحكمة وذلك ان مجموعة من الناس جرت عادتهم بالحضور الي القصر لسماع ما يقرا عليهم من كتب مجالس الدعوة اجتمعوا في ذي القعدة سنة(396هـ /أغسطس سنة 1006م) ولكنهم ضربوا جميعهم ولم يقرا عليهم شيء[3].

وفي سنة (400هـ/ 1009م) قرأ سجل صادر من الحاكم بأمر الله بقطع مجالس الحكمة التي كانت تقرا على الاولياء يومي الخميس والجمعة، كما قرأ سجل اخر يقال ما كان يؤخذ على

---

[1] حيدر قاسم التميمي، المرجع السابق، ص142-143.

[2] ايمن سيد فؤاد، مرجع سابق، ص576.

[3] المقريزي،الاتعاظ، ج1، ص367.

ايدي القضاة من الخمس والفطرة والنجوى، ثم عاد الحاكم في سنة (401هـ/1010م) وكتب سجلا امر فيه بإعادة مجالس الحكمة واخذ النجوى[1].

ونجد ان هذه الإجراءات اتخذها الحاكم بأمر الله في اعقاب افتتاحه لدار الحكمة في فترة أراد فيها التقرب لأهل السنة وفي يوم الخميس 18رمضان سنة(404هـ/5 مارس 1014م) اجتمع الاولياء وغيرهم بالقصر لسماع ما يقرأه القاضي من كتب مجالس الحكمة منعوا من ذلك[2].

لكن مجالس الدعوة عادت للانعقاد زمن الخليفة الفاطمي الظاهر لإعزاز دين الله سنة (417هـ/1026م) وعادت سابق عهدها ونظام عملها في نشر العلوم والمعارف المختلفة إضافة الي عملها وهدفها الرئيسي في نشر تعاليم الدعوة الفاطمية بين صفوف المجتمع.

انشاء الفاطميون دار الحكمة او دار العلم أولا ليضاهوا العباسيين في دار الحكمة ولكن الفاطميون أنشأوا دار الحكمة لنشر مذهبهم الشيعي وبالتالي كان استخدام دار الحكمة من قبل الفاطميون هو مما يؤيد مذهبهم ويعزز خلافتهم والدار نفسها معقدة غاية التعقيد فكان ينظمها فقهاء الدولة مع فقهاء دار الحكمة ويكون هذا تحت اشراف الداعي ثم الخليفة نفسه ثم بعد هذا التحفظ كانت تذاع علي السامعين فالدار دار دعوة منظمة للمذهب الإسماعيلي تحت ستار من العلم ومناهج الدار تتبع السياسة العليا للدولة، فهي دار دعوة ثم هي دار علم او حكمة وعلي هذا فان الدار مرت بأدوار مختلفة تتبع بذلك سياسة الخليفة التي يرمي الي تحقيقها.

هذه الصبغة السياسية لا نجدها في بيت الحكمة ببغداد فهي مؤسسة ثقافية عالية، تهدف الي نشر الحكمة والعلم والادب فالروح العلمية هي السائدة في الدار وحرية الكلام والمعتقدات مطلقة

[1] المقريزي ،الاتعاظ، المصدرالسابق، ص39.

[2] ايمن سيد فؤاد، المرجع السابق، ص678.

وتحكيم العقل والمنطق فوق كل اعتبار وهذا ما لم يكن في دار الحكمة في القاهرة او مصر الفاطمية.

2- دور الوزراء في الحياة الثقافية :

نعلم ان الخلافة الفاطمية قامت لتنافس العباسية وتحاول ان تقضي عليها وكان بين الخلافتين صراع عنيف استعمل فيه كل سلاح ممكن ومن الأسلحة التي استعان بها الفاطميين وابدعوا فيها سلاح العلم والادب والثقافة اذ ان مذهبهم الشيعي الذي يخالف مذهب جمهور السنة كان في حاجة الي الدعوة وكسب المؤيدين في انحاء العالم الإسلامي من جهة والوقوف في وجه علماء السنة في مصر والعراق وغيرهما ولم يقتصر الامر في تشجيع الحياة العقلية والأدبية علي الخلفاء فحسب بل كان لكبار رجال الدولة وعلي راسهم الوزراء الفاطميين اثر كبير في إزدهارها ، واذا استعرضنا تاريخ الوزراء الفاطميين لظهر لنا بجلاء الدور الكبير الذي لعبوه في تنشيط الحركة الفكرية وازدهار النهضة الثقافية حتي أصبحت مصر مسرحا لنشاط عقلي وادبي ولم يقتصر كثير من الوزراء علي حبهم للعلم والادب وتشجيعهم لأهله بل كان منهم من قام بالتأليف في مختلف أنواع العلم وقرض الشعر[1]، فيعقوب ابن كلس اول وزراء الدولة الفاطمية له كثير من المؤلفات، فالف كتابا في القراءات وكتابا في علم الابدان وكتابا في الفقه الإسماعيلي وكتابا في ادأب رسول الله ولعل اشهر كتبه كتابه في مختصر الفقه وهو المعروف بالرسالة الوزيرية فمنه ما سمعه من المعز وولده العزيز، ويقول المقريزي: " ان هذا الكتاب وهو مبوب علي أبواب الفقه يكون قدره مثل نصف صحيح البخاري، ملكة ووقفت عليه وهو يشتمل علي فقه الطائفة الاسماعيلية[2]، والف الوزير أبو شجاع محمد بن الاشرف بن محمد علي بن خلف الذي تولي الوزارة في سنة(457هـ/1065م) كتاب "(مواد البيان") في ترتيب الكتابة

[1] محمد حمدي المناوي، الوزارة والوزراء في العصر الفاطمي، دار المعارف بمصر القاهرة، د.ت، ص105.
[2] المقريزي، الخطط، ص23

للدولة الفاطمية وحاول فيه ان يقنن لفن الكتابة قوانين ويقعد لها القواعد ولعل اكثر الوزراء اهتماما بالناحية الثقافية وخاصة الشعر الوزير الصالح بن رزبك الذي كان شاعرا عظيما جمع شعره في مجلدين وقد اتخذ الصالح من الشعر وسيلة لمحاولة نشر المذهب الشيعي والحط من شان المذهب الاخر، وله في ذلك قصيدة سماها "(الجوهرة في الرد علي القدرية") كما كان الصالح فقيها متعمقا في علوم الشيعة اذ كان من علماء المذهب الجعفري وقد الف كتابا في فقه الشيعة اسماه ("الاعتماد في الرد علي اهل العناد").[1]

امر اخر له دور كبير واهمية وهو اهتمام الوزراء بمحاولة نشر العلم علي أوسع نطاق وبين طبقات الشعب وذلك بتشجيع نسخ الكتب وجمع النادر منها وانشاء المكتبات والقاء الدروس في المساجد كما بينا سابقا ومن الوزراء الذين كان لهم تأثير في الحياة الثقافية المأمون البطحائي الذي كانت له عناية خاصة بعلوم الطب، فعندما وصل الطبيب أبو جعفر يوسف بن حمداي الاندلسي نزل ضيفا علي الدولة الفاطمية واطلقت له الهبات والرسوم وخصصت له دار بالقاهرة ، واكثر من هذا كتب له منشور يمجد صناعة الطب ويذكر مأثر ابن حسداي عن عالم الطب ثم يقدر السجل تعيينه أستاذا لهذا العلم يجيد من يراه اهلا لهذه الصناعة ويقصده كل من يريد الاستنارة ومن كتب ابن حسداي التي قدمها المأمون البطحائي "(الشرح المأمون") وهو شرح لكتاب الايمان لأبقراط وبذلك ساعد المأمون علي ظهور جيل من الأطباء تخرجوا علي ايدي ابن حسداي[2].

وكان للعناية الكبيرة التي اولاها الوزراء للعلم والعلماء والادباء وإغداقهم الانعامات عليهم اكبر الأثر في ازدهار الحركة العلمية والأدبية بمصر ووفود العلماء والادباء من كل مكان وان يقبلوا علي التأليف في كل فرع، كما كان من عوامل ازدهار الكتابة الفنية في العصر الفاطمي ان

[1] محمد حمدي المناوي، المرجع السابق، ص106.
[2] نفس المرجع، ، ص 110.

معظم وزراء القرن الأول كانوا من الكتاب حتي اسماهم المؤرخون الوزراء أصحاب الاقدام، وبذلك كانت الكتابة عملا مرموقا ينظر اليه نظرة تجلي واحترام ويصل اليها كل من يتطلع الي منصب الوزراء، وان نظرة العلماء والادباء الذين وجدوا في كنف الوزراء الفاطميين الرعاية والتشجيع خير دليل علي ما لهؤلاء الوزراء من اثر في النهضة العلمية والأدبية التي شهدتها مصر طوال العصر الفاطمي فكان من جلساء ابن كلس الحسين بن عبد الرحيم المعروف بالرزاز مصنف كتاب " الأسجاع" وأبو عبد الله محمد بن احمد ابن سعيد التميمي الطبيب الذي صنف للوزير كتاب في الطب في عدة مجلدات اسمه (مادة البقاء بإصلاح فساد الهواء التحرز من ضرر الادباء) كما الف عدة مؤلفات منها (كتاب تخليص النفوس) وكتاب(الفحص والاخبار) ومقالة في (ماهية الرمد وانواعه واسبابه وعلاجه)[1].

ومن اشهر العلماء الذين وفدوا الي مصر وعاصروا ابن كلس وخدموا العزيز أبو عبد الله محمد بن جعفر التميمي المعروف بالرزاز القيرواني النحوي، وقد الف كتابا في النحو علي حروف المعجم جمع فيه سائر الحروف التي أشار اليها النحويون في قولهم (الكلام اسم وفعل محرف جاء لمعني) بل لقد وجد كثير من فقهاء مذاهب اهل السنة الامن والاستقرار في مصر أيام بن كلس، أمثال محمد بن سليمان المعروف بابي بكر الفال المتوفي سنة(380هـ/990م) والذي كانت اليه رياسة المالكية في عصره واليه وكانت حلقته في الجامع تدور علي سبعة عشر عمود لكثرة الطلاب الذين قصدوه للأخذ منه، وأبو القاسم الجوهري عبد الرحمن بن عبد الله القاضي المصري المالكي صاحب مسند الموطأ المتوفي سنة(380هـ/990م) ايضا[2].

ولا شك ان اثر ابن كلس علي الحركة الفكرية والثقافية كان قويا حتي ظلت مزدهرة الي النصف الأول من القرن الخامس الهجري، وقد ساعد علي استمرار تقدمها وجود وزراء أقوياء يحبون

[1] محمد حمدي المناوي ، المرجع السابق، ص12 .
[2] نفس المرجع ، ص113.

العلم والادب وأهلها، مثل الجر الجرجائي والباجوري وغيرهم، حتي لقد حاول الفلاحي وزيد المستنصر سنة (4326هـ/1044م) ان يغري أبا العلاء المعري الشاعر والفيلسوف بالحضور الي مصر فكتب الي والي حلب سجلا بدعوته الي مصر حيث تبني له دار علم يكون متقدما ما فيها كما امر له بخراج معرة النعمان في حياته وبعده ولكن أبا العلاء اثر البقاء في بلدة واستعفي الوزير فأعفاه، ولعل ابرز شخصية علمية في تلك الفترة القضاعي الفقيه الشافعي والمؤرخ المصري الذي لقي الرعاية والتشجيع برغم مخالفته لمذاهب الدولة وتولي القضاء، وعمل في ديوان الانشاء وقد الف القضاعي كثيرا من الكتب لعل من أهمها كتابه في (خطط مصر) الذي اعتمد عليه المقريزي في كتابه(الخطط)[1].

ولقد اخذت الحركة الفكرية والثقافية شانها فكان كل شي اخر في الدولة في الضعف في أواخر القرن الخامس نتيجة لضعف الخليفة والوزراء وكانت الاحداث والفتن التي تعرضت لها البلاد في الداخل والخارج عاملا في اهمال الحركة العلمية حتي ان مكتبة القصر التي كانت اعظم مكتبة في ذلك الوقت قد أصابها من المحن والتخريب الشيء الكثير ونهبت كتبها وعمل الجنود من جلود الكتب احذية وقيل ان الوزير أبا الفرج محمد بن جعفر المغربي قد اخذ من مكتبة القصر من الكتب حمولة خمسة وعشرين جملا وسواء استولي المغربي علي هذه الكتب استخلاصا حقه او حبا في العلم، ولكن لما عاد الوزير بدر الجمالي أعاد الاستقرار للبلاد وعاد لحياة العلم والفكر ازدهارها وقوتها، وظلت كذلك حتي نهاية الدولة، وابتدأت مصر تجذب اليها من جديد العلماء والمفكرين والادباء واخذ العلماء يتجهون بمؤلفاتهم والشعراء بأشعارهم الي الوزراء الذين اصبحوا أصحاب السلطة الحقيقية والقوة المسيطرة وبدات تظهر الأسماء اللامعة أمثال ابي عبد الله محمد بن بركات النحوي المصري تلميذ القضاعي وقد تناول موضوع الخطط من بعده في كتابه (خط مصر) كما الف في علوم اللغة كتاب الفه للأفضل هو كتاب

[1] محمد حمدي المناوي ، المرجع السابق ، ص 15 .

الايجاز في معرفة ما في القران من ناسخ ومنسوخ، وكذلك علي بن جعفر بن علي السعدي المعروف بابن القطاع الذي رحل عن صقلية وجاء الي مصر وجد الرعاية من الأفضل والف كثيرا من الكتب[1].

وانتقل الشعراء من مدح الخلفاء الي مدح الوزراء حتي ان من يتعرض منهم لمدح الخليفة كان لابد له ان يقرن اسم الوزير باسم الخليفة ،ولإحلت عليه نقمة الوزير وسخطه، والويل للشاعر الذي يتجه بمدائحه الي غيرهم اذ انه بذلك يتعرض للإهمال مهما بلغ شعره من الجودة، ولقد كان هؤلاء الوزراء بدورهم ذواقين للشعر محبين للأدب، بل حبا في الادب نفسه ولذلك وفد الي مصر كثير من اعلام الادب يجدون من وزرائها الرعاية والتقدير فكان لذلك اثره في ازدهار الحركة الأدبية من جديد فامتازت هذه الفترة بروعة الشعر وبراعة النثر، وحفلت دواوينهم بأئمة البيان حتي أصبحت رسائلهم وكتبهم مثالا يحتذي أمثال ابي الفتح الدمياطي وابن الحلال وابن الصيرفي والقاضي الفاضل فطلت النهضة الأدبية في ازدهارا واصبح لمصر في عهد هؤلاء الوزراء الزعامة الأدبية في العالم العربي، فالدولة الفاطمية وان استطاعوا ان يحافظوا علي البلاد وان ينموا ثروتها التي جذبت العلماء والشعراء والكتاب والفنانين من البلاد الأخرى في حين انتاب الضعف الخلافة العباسية وانقسمت دولتهم الي دويلات صغيرة فقيرة فأصبحت مصر قبلة كل من يسعي الي الثروة ويحبون العيش لثرائها واستقرارالامور فيها، بل لقد شجع جود الوزراء وعطاياهم كثير من الشعراء الي ارسال مدائحهم وهم في بلادهم وكانت هبات الوزراء ترسل لهم في أماكنهم دون تحمل مشقة الحضور الي مصر، وكان الوزراء بذلك قد شجعوا الحركة الأدبية والثقافية في مختلف البلاد العربية لا في مصر فحسب.

ونخلص الي القول ان الحياة الثقافية في الدولة الفاطمية في مصر كانت اهم مايميزها انشاء الجامع الازهر الذي لعب دورا كبيرا في الحياة الثقافية كذلك لعبت المكتبات دورا كبيرا بسبب

[1] محمد حمدي المناوي، المرجع السابق، ص116.

المنافسة بين الفاطميين والعباسيين وانشاء الفاطميون دار الحكمة لنشر مذهبهم الشيعي بالاضافة الي مساهمة الوزراء في الحياة الثقافية .

الخاتمة

نستخلص من هذه الرسالة التي تناولت الحياة الاجتماعية والثقافية في الدولة الفاطمية في المغرب ومصر في الفترة (297-567) هـ - (909-1171) م ، أن هناك تغير طراء على الحياة الاجتماعية والثقافية في المغرب ومصر ولذلك أن الدولة الفاطمية حاولت الإستفادة من كل العناصر السكانية أو الاجتماعية الموجودة في المغرب سبب إختلافها المذاهب مع أهل المغرب الذين كانوا سنة لذلك نجدها حولت التقرب إلى فئات المجتمع من خلال السلطة والإستفادة من القبائل المنازعة فيما بينها ولذلك بتقريب قبيلة على الأخرى وأستفادة من علماها نشر المذهب الشيعي وظهور فئات لم تكن لهم وزن قبل الفاطمين مثل العبيد وحاولت التستلط في سبيل نشر مذهبها الشيعي تعتبر عناصر المجتمع وظهر في طبقات المجتمع في عهد الفاطميين .

أما من الناحية الثقافية فقد أدى قيام الدولة الفاطمية بالمغرب الإسلامي ثم إنتقالها إلى مصر تنشيط الحياة الفكرية ، وفي الحقيقة أن هذا النشاط لم يكن بسبب تشجيع الدولة لذلك وإنما لأتجاهها المذهب دور فيذلك حيث أن التناقض الفكري بين الدولة الفاطمية وأهل المغرب ومصر هو الذي جعل الحياة الفكرية والثقافية تنشط وتمثلت تلك الحياة الفكرية في ظهور مختلف العلوم من فقه وحديث وتفسير وعلوم أدبية من نثر وشعر ولغة ونحو بالإضافة إلى العلوم الطبية والفلك والهندسة فأرتبطت تلك العلوم بالدرجة الأولى بالمذهب الشيعي الإسماعيلي.

أما عوامل أزدهار الحياة الفكرية والثقافية ، فتمثلت فيو جود مراكز الإشعاع الثقافي المنتشرة في أنحاء المغرب ومصر والتي استقطبت مشاهير الأدباء والمفكرين والعلماء الذين ساهموا في شهرة هذه المراكز كالمهدية والمنصورة ورقادة والمسيلة في المغرب وفي مصر الأزهر الذي

لعب دور كبير في الناحية الثقافية وكذلك دور دار الحكمة ، فلم يكن لهذه المراكز أن تبلغ هذه المكانة لولا توفر المؤسسات الثقافية بها من مساجد وكاتبيب ومكتبات ، التي أعتبرت القاعدة الأساسية لنشر العلم والمعرفة في أوساط المغاربة والمصريين وكانت اهم نتائج هذة الدراسة

كانت كل الوسائل الشرعية والغير شرعية ممسوح بها في نظر السلطة الفاطمية في سبيل تحقيق هدفها الأكبر وهو حكم العالم الإسلامي .

عملت الدولة لتحسين علاقتها مع القبائل المغربية لتحسين الوضع الاجتماعي لقبيلة بعينها ، مشروط بما تقدمه هذه القبائلمن خدمات للسلطة .

حظى العبيد لدى الفاطميين بمكانة اجتماعية مرموقة فاعتلوا أخطر المراتب في أجهزة الحكم .

لقد أفرزت الطبيقية في المجتمع الفاطمي في المغرب ومصر بروز نمطين من حيث المستوى الاجتماعي هنالك فئة مترفه تمتلك الأموال والقصور مثل الخلفاء والأمراء والجند وفئة محرومة سخرت ثرواتها لخدمة مصالح الفئة الأولى مثل الفلاحون والحرفيون والفقراء .

تمتعت المرأة عموماً بكل حقوقها المادية والاجتماعية .

كذلك أزدهرت الحياة الثقافية بوجود مراكز الإشعاع الثقافي في المغرب ومصر والتي استقطبت المشاهير والمفكرين والعلماء .

لقد تفرد الفاطميون بإنشاء دور الكتب الكبرى في الإسلام وإجتمع فيها من أهمها الكتب ومصادر العلوم المختلفة ، مما أثر الفاطميين التي لايزال المسلمون يستفيدون منها حتى اليوم جامع الأزهر .

كذلك اتضح أن التفاوت الطبقي بين الفئات الاجتماعية العكس من في أحوال الطعام واللباس ، فكان تأنق الخلفاء ورجال الدولة من الرسميين في تناول الأطعمة والتزين بالثياب الفاخرة ، وأكتفى عامة الناس بالضروري منها بل أن بعض الفئات الفقيرة كانت تموت من الجوع .

لعب الأزهر والمساجد في العهد الفاطمي دورها في الحركة العلمية حيث أتخذها الفاطميون قواعد لنشر المذهب الشيعي الإسماعيلي .

أعطت الدولة الفاطمية أهل الذمة حقةق كبيرة فاقت أمثالهم من المواطنيين من أهل السنة بإستثناء زمن الحاكم بأمر الله الذي ضيق عليهم ،اما اهم التوصيات التي يمكن ان نشير اليها فهي:

إجراء مزيد من الدراسات حول الجانب الاجتماعي والثقافي .

الإهتمام بالمخطوطات التي تتحدث عن التاريخ الفاطمي ولم يتم تحقيقها بعد .

المصادر و المراجع

قائمة المصادر والمراجع

اولآ: المصادر:-

*القران الكريم

* كتب الحديث (صحيح البخاري)

أ- الكتب :-

1. أبوالحسن علي بن محمد بن عبدالحق (أبن الصغير)، سيرة أخبار الأئمة الرستميين في تاهرت، محمد ناصر وإبراهيم بحاز، الجزائر ، د.ت .
2. أبو الحسن القابسي ، الرسالة المفصلة لأحوال المتعلمين وأحكام المتعلمين والمتعلنين، تحقيق: أحمد خالد ، ط1 ، الشركة التونسية للتوزيع ، تونس ، 1986م.
3. أبوعبدالله محمد بن عبدالله ابي بكر القصاعي (أبن الأبار)، الحلة السيراء، تحقيق: حسين مؤنس، ج2، الشركة العربية للطباعة والنشر، تونس، 1968م.
4. القاضي عياض أبو الفضل بن موسى (ت 544هـ – 1149م) ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مالك ، تحقيق محمد بن تاويت الطنجي ، وزارة الأوقاف منشورات إسلامية ، الرباط ، د.ت .
5. ابو العباس احمد بن محمود (القلقشندي)، صبح الأعشي، ج3، الكتب الخديوية، المطبعة الأميرية بالقاهرة، 1332هـ– 1914م.
6. ابوالعباس احمد بن علي تقي الدين (المقريزي):
7. ـــــــــــ المواعظ والاعتبار بذكر الحطط والآثار، ج1، تحقيق، خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت.
8. ـــــــــــ اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء،ثلاثه اجزاء، تحقيق: جمال الدين السيال، ط2، ج1 ، القاهرة، 1316هـ – 1996م .

9. ـــــــــــ أغاثة الأمه بكشف الغمة، تحقيق محمد مصطفى زيادة، جمال الدين الشيال ، القاهرة ، 1940.
10. ابو العباس بن احمد محمد ابن عذاري(المراكشي) ، البيان المغرب في اخبار الاندلس والمغرب، ط3، دار الثقافة، بيروت، 1983م.
11. ابوزيد عبدالرحمن بن محمد (الدباغ) ،معالم الايمان في معرفه اهل القيروان،تحقيق ،محمد ماضور،المكتبة التتيقه،تونس،ج3،(د،ت،ط) .
12. أبوحنيفه بن محمد بن حيون التميمي المغربي (القاضي النعمات):
13. ـــــــــــ المجالس والمسايرات تحقيق : إبراهيم شيوخ، محمد اليعلاوي والحبيب الفقهي ،ط1 ، دار المنتظر ، لبنات ، 1996م .
14. ـــــــــــ إختلاف أصول المذاهب ، تحقيق : مصطفى غالب ، ط3 ، دار الأندلس للطباعة والنشر ، بيروت ، 1983م .
15. ـــــــــــ رسالة افتتاح الدعوة ،تحقيق فرحات الدشراوي ،الشركة التونسية للتوزيع،تونس
16. أبوعلي منصور الجوذري العزيزي ، سيرة الأستاذ جوذر ، تحقيق محمد عبد الهادي وكامل حسين ، دار الفكر ، القاهرة ، 1954م .
17. أبي القاسم بن حوقل، صورة الأرض (المسالك والممالك والمغاوز والمهالك)، دار مكتبة الحياة ، بيروت، 1996م.
18. أبي بكر عبد الله بن محمد المالكي ، رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وزهادهم وفضائلهم وأوصافهم ، تحقيق بشير الكبوش ، ط1، ج2، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 1403هـ – 1983م.

19. أبي عبد الله محمد أدريسي، نزهة المشتاق في أختراق الأفاق، مج1، مكتبة الثقافة الدينية ، ب.ت .
20. أبي عبد الله محمد بن علي بن حماد ،أخبار ملوك عبيد وسيدتهم، دار الصحوة، القاهرة، د.ت.
21. ابي عبيدالله (البكري)، المغرب في ذكر أفريقيا والمغرب، مكتبة المثنى، بغداد، د.ت.
22. أحمد بن خالد الناصري السلاوي، الاستقصاء والأخبار دول المغرب الأقصى، ج1، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1954.
23. أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد (الطعام والشراب) ط1، تحقيق: عبد الحميد الرصيني، الكتب العلمية، بيروت، 1404هـ – 1983م .
24. الحسن بن محمد الفاسي (الوزان)، وصف أفريقيا، ط2، ج1، دار المغرب الإسلامي، 1983م.
25. الداعي أدريس عماد الدين ، تاريخ الخلفاء الفاطميون بالمغرب ، ط1 ، ج5 ، تحقيق : محمد اليعلاوي ، دار المغرب الإسلامي ، بيروت ، 1985م .
26. جلال عبد الرحمن السيوطي ، حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبرهيم ، ط1 ، ج1 ، 1967م .
27. خير الدين الرزكلي ، الإعلام ، ط15 ، ج3 ، 2002م .
28. شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد عثمان(الذهبي) ، العبر في أخبار من غيره، تحقيق: فؤاد سيد ، الكويت ، 1961م .
29. شمس الدين أبوعبدالله محمد بن أحمد(الذهبي)، سير إعلام النبلاء، ط1، ج15، مؤسسة الرسالة ، بيروت، 1403هـ – 1983م.

30. شهاب الدين النويري ، نهاية الأرب في فنون الأدب ، تحقيق ، عماد علي حمزة ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، د،ت .
31. عبد الله بن أبي القاسم ابن خرداذيه، المسالك والممالك، مطبعة بديل، ليدن ، 1889م .
32. عبد الله بن أسعد اليافعي اليمني، مرأة الجنان وعبر اليقضان في معرفة ما يعتبر من حدواث الزمان، ط1، ج1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1997م .
33. عبد الرحمن أبن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ط1 ، دار الفكر، بيروت، 1401هـ . 1978م .
34. عبد الرحمن بن نصر الشيرازي، نهاية الرتبة في طلب الحسبة، مطبعة لجنة التاليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1365هـ – 1946م.
35. عمادالدين اسماعيل بن علي بن محمود(أبو الفداء)، المختصر في أخبار البشر ، ج2 الناشر،المطبعة الحسينية المصرية ،الطبعة الاولي،(د،ت).
36. علي السنوسي الإدريسي، الدور السنية في أخبار السلالة الأدريسية، مطبعة الشباب، مصر، 1349هـ .
37. علي بن محمد الحزري بن الأثير، الكامل في التاريخ، ط1، ج6، دار الكتب العلمية، بيروت، 1408هـ – 1978م.
38. محمد بن محمد(اليماني) ، سيرة الحاجب ، جعفر ، ج1 ، نشر وايف نوف مجلس كلية الآداب ، الجامعة المصرية ، القاهرة ، 1936م .
39. محمد بن أبي القاسم بن أبي دينار ، المؤنس في أخبار أفريقية وتونس ، ط1 ، مطبعة الدولة التونسية، 1286هـ.
40. نزار رضاء، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ط1، الوهبية ، د.ت.

ب- كتب المعاجم والبلدان :-

1. صفي الدين البغدادي، معجم البلدان، مرصد الإطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، تحقيق: على محمد البخاري، ط1، ج2، دار المعارف، بيروت، 1373هـ – 1954م .
2. عماد الدين إسماعيل أبي الفداء ، تقويم البلدان ، طبع وتصحيح : زينون وسيلان ، دار الطباعة السلطانية ، باريس ، د،ت .
3. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج3، دار صابر، بيروت، 1397هـ – 1977م.

ثانياً المراجع:

أ. الكتب:

1. إبراهيم الدسوقي جاد الرب، شعر المغرب حتى خلافة المعز، مكتبة النجاحي، القاهرة، د.ت.
2. ابي محمد ماهر حمادة، المكتبات في الإسلام نشأتها وتطورها ومعدتها، ط1، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر، بيروت، 1390هـ – 1970م .
3. أحمد أمين، ظهر الإسلام، ج1، دار الكتاب العربي اللبناني، بيروت، 1975م .
4. أحمد بن أبي الضياف (ت1291هـ/1845م)، إتحاف أهل الزمان باخبار تونس وعهد الزمن، ج1، الدار التونسية للنشر،تونس،1976م.
5. أحمد مختار عمر، النشاط الثقافي في ليبيا، ط1، منشورات كلية التربية، د.ت.
6. آدم متز، الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهدري، تحقيق: محمد عبد الهادي أبوريدة، ط5، دار الكتاب العربي، بيروت، د.ت.
7. أيمن فؤاد سيد، الدولة الفاطمية في مصر، تفسير جديد، ط1، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، 1413هـ – 1992م .
8. بشرى الجوهري، شخصية مصر ودراسة في عبقرية المكان، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1970م.

9. بطرس البستاني، رسائل أخوان الصفا وخلان الوفاء، ج4 ، دار بيوت للطباعة والنشر، بيروت، 1983م.
10. جروهما، ادولف، أوراق البردي العربية، ط2، القاهرة، 1934-1945م.
11. جوليات شارك اندري، تاريخ أفريقيا الشمالية، تحقيق: محمد مزالي والبشير بن سلامة، ج1، الدار التونسية للنشر، تونس، 1938م.
12. الحبيب الجنحاني ،دراسات في التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للمغرب الاسلامي ،الناشر ،دارالغرب الاسلامي ،الطبعة الثانية،1986م .
13. حرجي زيدان، تاريخ التمرد الإسلامي، ج2، منشورات مكتبة الحياة، بيروت، 1967م.
14. حسن إبراهيم حسن وطه أحمد شرف، المعز لدين الله، ط2، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، د.ت.
15. حسن إبراهيم حسن، الفاطميون في مصر أعاملهم السياسية والدينية بوجه خاص، المطبعة الأميرية، القاهرة، 1932م.
16. حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي ،ط3، ج3 ، دار الجيل، بيروت، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1416هـ – 1996م.
17. حسن إبراهيم حسن، تاريخ الدولة الفاطمية في المغرب ومصر وسوريا وبلاد العرب، مكتبة النهضة، القاهرة، 1964م.
18. حسن حسني عبد الوهاب، ورقات عن الحضارة العربية بأفريقيا التونسية، جزئين، مكتبة المنار، تونس، 1965م.
19. حسن رشاد، المكتبات ورسالتها، ط3، دار الفكر العربي، د.ت.
20. حسين مؤنس:
21. ـــــــــــ تاريخ المغرب وحضارته، ج1،الناشر،العصر الحديث،1992م.

22. ـــــــــــــ حسين مؤنس، معالم تاريخ المغرب والأندلس، ط2، دار الرشاد، القاهرة، 1997م.
23. حيدر قاسم التميمي، الحكمة العباسي دوره في ظهور مراكز الحكمة في العالم الإسلامي، ط1، دار الزهران، عمان، 1432هـ – 2012م.
24. مؤلف مجهول، الإستبصار في عجائب الأمصار، تحقيق، سعد زغلول، دار الثقافة العامة، العراق، 1986م.
25. رابح بونار، المغرب العربي تاريخيه وثقافته، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، د.ت.
26. زنوبة نادس مرسي، محاضرات في تاريخ وحضارة الدولة الفاطمية، دار الثقافة العربية، القاهرة، د.ت.
27. سعد زغلول، تاريخ المغرب، ج3، منشأة المعارف، الإسكندرية، 1990م.
28. سلام الشافعي محمود، أهل الذمة في مصر في العصر الفاطمي، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1994م.
29. عارف تامر، المعز لدين الله، ط1، منشورات الأفاق الجديدة، بيروت، 1402هـ – 1986م.
30. عبد السلام الكنوني، المدرسة القرآنية في المغرب من الفتح الإسلامي إلى أبن عطية، ط1، مكتبة المعارف، الرباط، 1411هـ – 1981م.
31. عبد العزيز المجذوب، الصراع المذهبي بأفريقيا إلى قيام الدولة الزيدية، الدار التونسية للنشر، تونس، 1975م .
32. عبد الله إسماعيل الصوفي، المكتبات وخدماتها، ط1، عمال المطابع، عمان، د.ت.

33. عبد الله محمد جمال الدين، الدولة الفاطمية قيامها ببلاد المغرب وانتقالها إلى مصر إلى نهاية القرن الرابع الهجري مع عناية خاصة بالجيش، دار الثقافة للنشر والتوزيع ، القاهرة، 1990م

34. عبد المنعم عبد المجيد سلطان، الحياة الاجتماعية في العصر الفاطمي، طار الثقافة العامة، القاهرة، 1999م.

35. عبد المنعم ماجد، ظهور الخلافة الفاطمية وسقوطها في مصر، ط4، دار الفكر العربي، القاهرة، 1994م.

36. عبد الوهاب منصور، قبائل المغرب، ج1، المطبعة الملكية، الرباط، 1986م.

37. علماء الحملة الفرنسية، وصف مصر، ترجمة: زهير الشابي، دار الشباب، د.ت.

38. على إبراهيم حسن، تاريخ جوهر الصقلي، ط2، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1993م.

39. على محمد الصلابي، الدولة الفاطمية، ط1، مؤسسة إقراء للطباعة والنشر والتوزيع، 2008م.

40. عمر أحمد همشري، ربحي مصطفى عليان، أساسيات علم المكتبات والتوثيق والمعلومات، ط1، مطابع جريدة الأسواق، عمان، 1988م.

41. فرحات الدشراوي، الخلافة الفاطمية بالمغرب، ط1، دار المغرب الإسلامي، بيروت، 1994م.

42. كرم البستاني، ديوان أبن هاني الأندلسي، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، 1400هـ – 1980.

43. مبارك الميلي، تاريخ الجزائر القديم والحديث، ج2، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، د.ت.

44. محمد أبو العزائم داؤود، الأثر السياسي والحضاري للمالكية في شمال أفريقيا حتى قيام دولة المرابطين، منشورات مكتبة الفصلية، مكة المكرمة، 1405هـ – 1985.
45. محمد اليعلاوي، شعراء أفريقيون معاصرون للدولة الفاطمية، مجلة جوليات الجامعية التونسية، عدد4، 1073هـ.
46. محمد بن زيتون، القيروان ودورها في الحضارة الإسلامية، ط1، دار المنار، القاهرة، 1408هـ– 1988م.
47. محمد بن عميرة، دور زناتة في الحركة المذهبية بالمغرب الإسلامي، الشركة الوطنية، الجزائر، 1984م.
48. محمد حمدي الماوي، الوزارة والوزراء في العصر الفاطمي، دار المعارف بمصر، القاهرة، د.ت.
49. محمد سهيل طقوش، تاريخ الفاطميين في شمال أفريقيا ومصر وبلاد الشام، ط2، دار النفاش، 2007م.
50. محمد عبد المنعم خفاجة، علي على صبحي، الأزهر في الف عام، ط3، جزاءن، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة، 1432 – 2012م.
51. محمد علي دبوز، تاريخ المغرب الكبير، ج1، القاهرة، 1994م.
52. محمد محمود علي، النظم المالية في الدولة الإسلامية على ضوء كتاب الخراج لأبي يوسف، دار الثقافة، قطر، 1987م.
53. محمود شاكر، الدولة العباسية، المكتب الإسلامي، ط6 1421هـ، 2000م.
54. محمود شيت خطاب، قادة الفتح المغرب العربي، ط7، ج1، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 1984م.

55. مصطفى غالب، أعلام الإسماعيلية، دار النهضة للتاليف والترجمة، دار الثقافة، بيروت، 1984م.
56. موريس لومبار، الإسلام في مجده الأول، ترجمة إسماعيل العربي، المؤسسة والوطنية للكتاب، الجزائر، 1979م.
57. موسى لقبال، الحسبة المذهبية في بلاد المغرب العربي نشأتها وتطورها، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر، 1971م .
58. يوسف حوالة أحمد، الحياة العلمية في أفريقيا منذ الفتح وحتى منتصف القرن الخامس الهجري 90-450 هـ، ج1، مركز بحوث الدراسات الإسلامية، مكة المكرمة، 1321هـ – 2000م

ب. القواميس والموسوعات:

1. إبن النديم، الفهرست، دار المعرفة، بيروت، 1994م.
2. أحمد رضاء، قاموس رد العامي إلى الفصيح، ط2، دار الرائد العربي، بيروت، 1981م.
3. الفيروزي أبادي، أبو العباس أحمد بن على الغذاءي ، القاموس المحيط ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1995م.
4. طيبة صالح الشذور، الفاظ الحضارة العباسية في مؤلفات الجائظ، القاهرة، 1994م .
5. عبد الحكم العفيفي، موسوعة 1000 مدينة إسلامية، ط1، الأوراق الشرعية للطباعة والنشر، بيروت ، 1421هـ – 2000م.

ج. الرسائل الجامعية:

1. رفيق بولاس، الأوضاع الاجتماعية بالمغرب في عهد الخلافة الفاطمية، ماجستير، جامعة مونتي القسطنتينية، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، 2007م.

2. نشيدة رافعي، الحياة الفكرية والثقافية في المغرب في العصر الفاطمي (296-362هـ) رسالة دكتوراة، جامعة الجزائر، السنة الدراسية، رسالة غيرمنشورة ، 2002م – 2003م.

الملاحق

ملحق رقم (1)

خريطة توضح اتساع الدولة الفاطمية

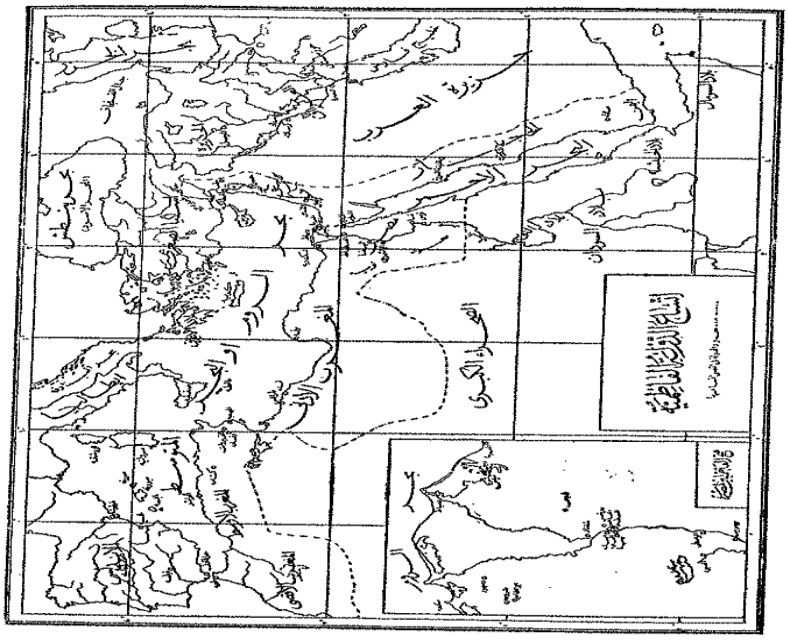

المصدر: علي إبراهيم حسن، تاريخ جوهر الصقلّي، ص19.

ملحق رقم (2)

الدولة الفاطمية

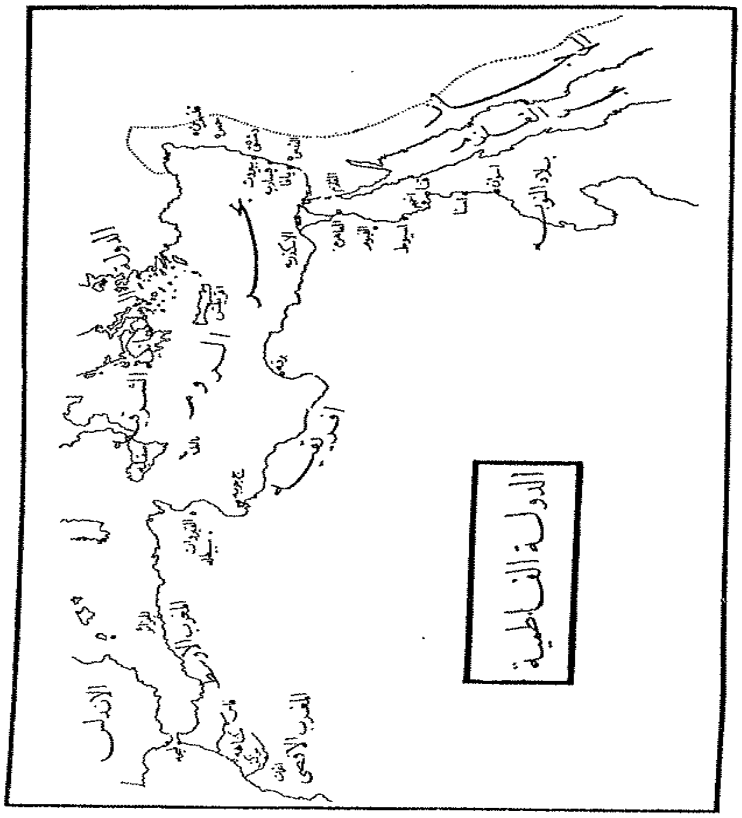

المصدر: علي إبراهيم حسن، تاريخ جوهر الصقلّي، ص129.

ملحق رقم (3)

القاهرة في عهد الفاطمية

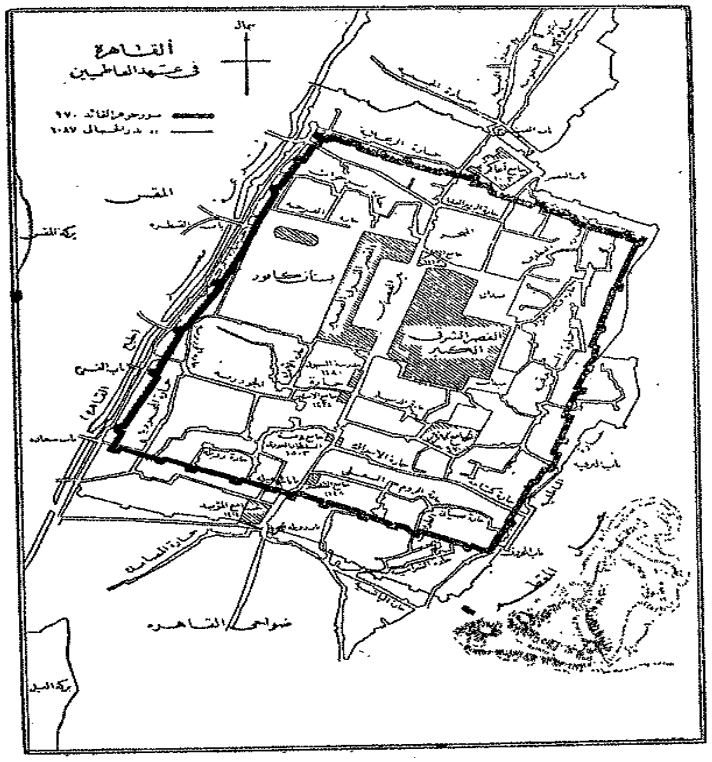

المصدر: علي إبراهيم حسن، تاريخ جوهر الصقلّي، ص80.

ملحق رقم (4)

صورة للجامع الازهر

— ٩٢ —

الجامع الأزهر

المصدر: علي إبراهيم حسن، تاريخ جوهر الصقلّي، ص92.

ملحق رقم(5)

أسماء الحكام الفاطميين

ومدة حكم كل منهم

عبيد الله المهدي	(٢٩٧ - ٣٢٢هـ/ ٩١٠ - ٩٣٤م)
أبو القاسم محمد، القائم بأمر الله	(٣٢٢ - ٣٣٤هـ/ ٩٣٤ - ٩٤٦م)
أبو طاهر إسماعيل، المنصور بنصر الله	(٣٣٤ - ٣٤١هـ/ ٩٤٦ - ٩٥٣م)
أبو تميم معد، المعز لدين الله	(٣٤١ - ٣٦٥هـ/ ٩٥٣ - ٩٧٥م)
أبو منصور نزار، العزيز بالله	(٣٦٥ - ٣٨٦هـ/ ٩٧٥ - ٩٩٦م)
أبو علي منصور، الحاكم بأمر الله	(٣٨٦ - ٤١١هـ/ ٩٩٦ - ١٠٢١م)
أبو الحسن علي، الظاهر لإعزاز دين الله	(٤١١ - ٤٢٧هـ/ ١٠٢١ - ١٠٣٦م)
أبو تميم معد، المستنصر بالله	(٤٢٧ - ٤٨٧هـ/ ١٠٣٦ - ١٠٩٤م)
أبو القاسم أحمد، المستعلي بالله	(٤٨٧ - ٤٩٥هـ/ ١٠٩٤ - ١١٠١م)
أبو علي المنصور، الآمر بأحكام الله	(٤٩٥ - ٥٢٤هـ/ ١١٠١ - ١١٣٠م)
أبو الميمون عبد المجيد، الحافظ لدين الله	(٥٢٦ - ٥٤٤هـ/ ١١٣١ - ١١٤٩م)
أبو المنصور إسماعيل، الظافر بالله	(٥٤٤ - ٥٤٩هـ/ ١١٤٩ - ١١٥٤م)
أبو القاسم عيسى، الفائز بنصر الله	(٥٤٩ - ٥٥٥هـ/ ١١٥٤ - ١١٦٠م)
أبو محمد عبد الله، العاضد لدين الله	(٥٥٥ - ٥٦٧هـ/ ١١٦٠ - ١١٧١م)

المصدر: محمد سهيل طقوش، تاريخ الفاطميين في شمال أفريقيا ومصر وبلاد الشام، ص 527.

ملحق رقم (6)

خريطة الدولة الفاطمية في افريقية والمغرب

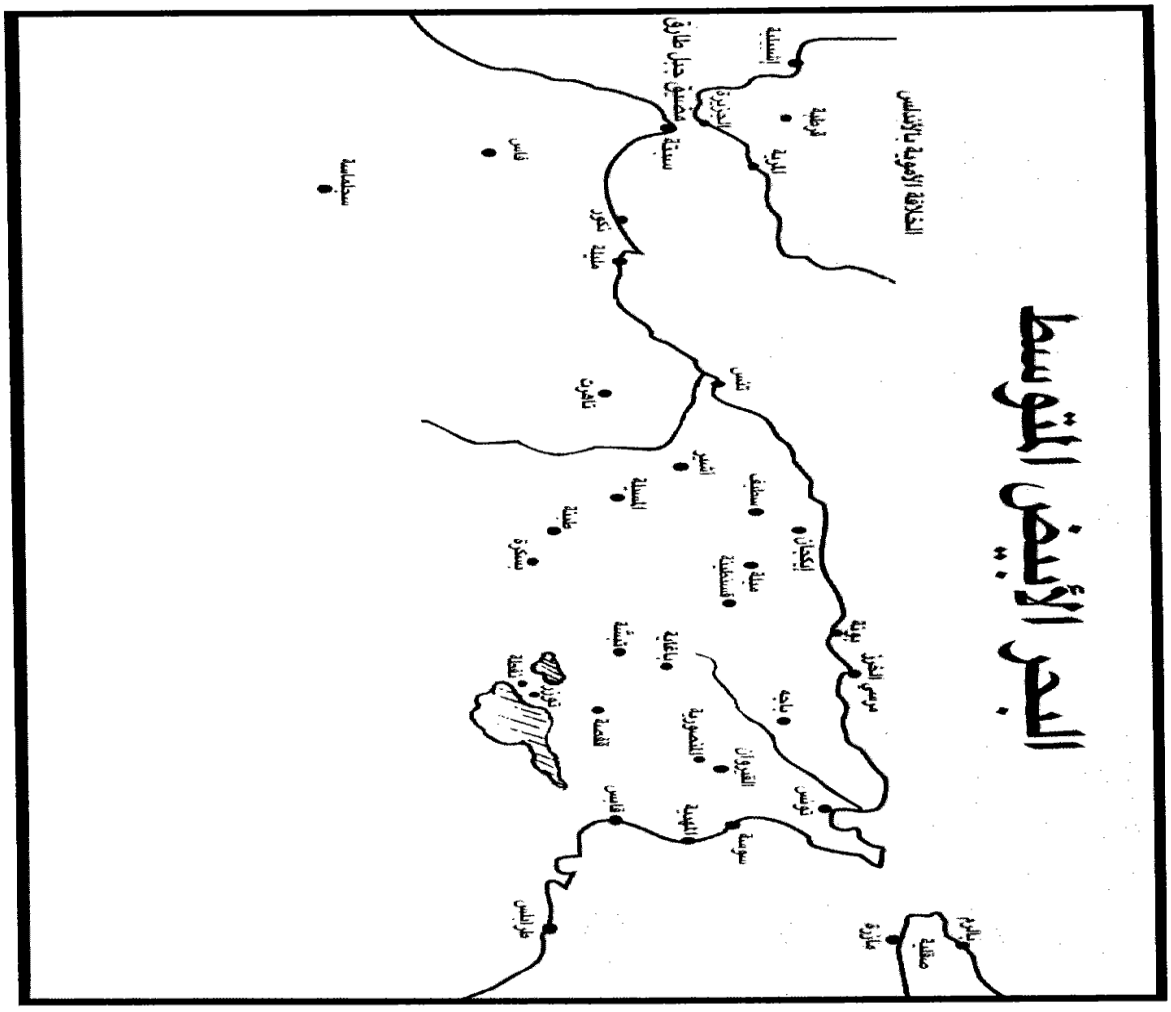

المصدر: محمد سهيل طقوش، تاريخ الفاطميين في شمال أفريقيا ومصر وبلاد الشام، ص

ملحق رقم (7)

منارة الجامع الحاكم في مدينة القاهرة

— ١٢٣ —

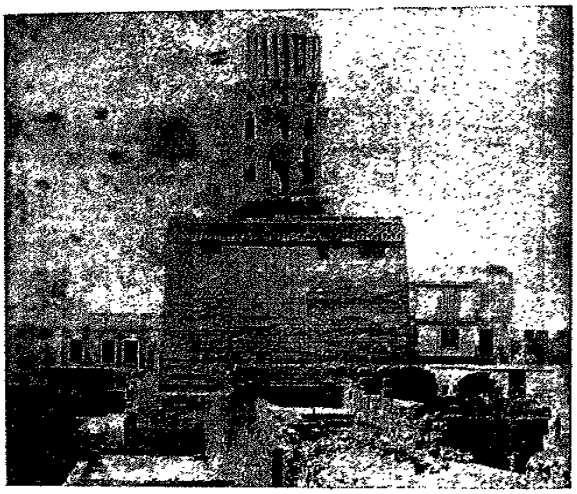

منارة جامع الحاكم

المصدر: علي إبراهيم حسن، تاريخ جوهر الصقلّي، ص 132.